

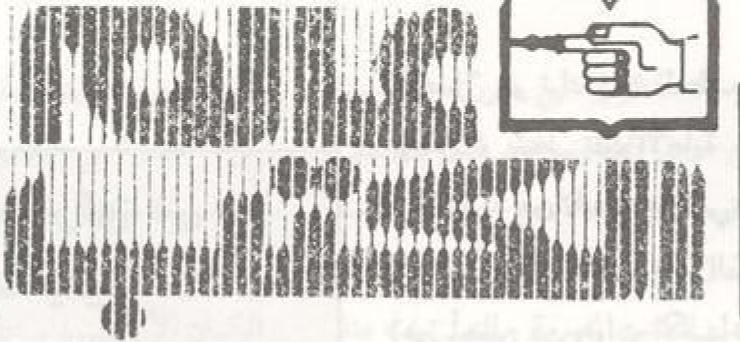
مجلة فصلية متخصصة

المجلد الثاني عشر | العدد الأول | رجب ١٤١١هـ - يناير ١٩٩١م



مكتبة الملك فهد الوطنية





المؤسسان
عبدالعزيز أحمد الرفاعي
عبدالرحمن فيصل المعمر

مجلة فصلية متخصصة تهتم بالكتاب وقضاياه
الناشر دار ثقيف للنشر والتأليف - الرياض - المملكة العربية السعودية

المجلد الثاني عشر | العدد الأول | رجب ١٤١١هـ - يناير ١٩٩١م

○ منهاج النشر

- يشترط في المواد المراد نشرها:
١- أن تكون في إطار تخصص المجلة.
٢- مكتوبة بالآلة الكاتبة أو بخط واضح.
٣- لم تنشر من قبل.
٤- معتمدة على المنهجية والموضوعية في المعالجة.
- تخضع الدراسات والبحوث للتحكيم قبل نشرها.
- ترتب المواد وفقاً لأمور فنية بحتة.
- لايجوز إعادة نشر أية مادة من مواد المجلة كاملة إلا بإذن مسبق. وفي حالة الاقتباس يرجى الاشارة إلى المصدر.
- ما ينشر يعبر عن رأي كاتبه فقط ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.

○ بيانات إدارية

- المراسلات الخاصة بالتحرير توجه باسم رئيس التحرير (٤٧٧٧٢٦٩).
- المراسلات الخاصة بالاشتراكات والإعلانات توجه باسم مدير الإدارة (٤٧٦٥٤٢٢).
- عنوان المجلة:
- عالم الكتب
ص.ب: (١٥٩٠) الرياض: (١١٤٤١)
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٧٦٥٤٢٢ ـ فاكس ٤٧٦٣٤٣٨
- الاشتراك السنوي في الداخل والخارج ١٠٠ ريال سعودي أو ما يقابلها بالدولار الأمريكي.
- الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة.

المحتويات

الدراسات

الفصل والوصل والاستطراق في التخصصات الأكاديمية

دراسة صريحة لحالة فريدة بجامعة القاهرة

سعد محمد الهجرسي

أستاذ ورئيس قسم علوم المكتبات والمعلومات - كلية الآداب

جامعة الملك سعود

استطراد بل استهلال من الإنسانيات ومن العلوم

تنتمي المفردتان الأوليان (الفصل والوصل)في عنوان الدراسة ، إلى واحد من أقدم التخصصات الأكاديمية في العلوم الإنسانية ، وهو الدراسات التراثية التقليدية للبلاغة العربية المعروفة باسم "المعاني والبيان والبديع".

وتعود المفردة الثالثة (الاستطراق)فيه ، إلى واحد من أهم قطاعات البحث في العلوم الطبيعية ، وهو الدراسات الفيزيائية الإمبيريقية للسوائل بعامة والماء بخاصة . وبالنسبة لهذه الأخيرة لأشك أننا جميعا في المرحلة قبل الجامعية ، قد عرفنا بدرجات قد لاتكون متساوية في الفهم والإدراك "قانون الأواني المستطرقة" ، وهو الذي تنتمي إليه الكلمة الثالثة . ولكنني بالنسبة للاثنتين قبلها أشك كثيرا ، أننا جميعا أو حتى نصفنا أو ربعنا أو ماهو أقل ، قد سمعنا من قبل بموضوع "الفصل والوصل" في البلاغة العربية ، بله أن نكون قد أدركناه بمستوى الإدراك لقانون الأواني المستطرقة .

ولست أدعي أنا وقد درست ذلكما الفصل والوصل منذ عدة عقود ، أنني الآن أستطيع توضيح أمرهما كاملا في ذلك الاستطراد الجموح ، بل ليس من الملائم على الإطلاق أن أفعل ذلك ..! ولكني على أية حال أتذكر من أمرهما مايكفي لبيان المفارقة أو الموافقة حول مفهوم "الفصل والوصل" في البلاغة العربية ، مع مفهومهما في ماضي هذه المنشأة الأكاديمية ذات الأربعين ربيعا وفي مستقبلها المحتمل كذلك ، وهى قسم المكتبات والوثائق بأقدم الجامعات المصرية الحديثة . فهذا الحد الأدنى من التوضيح الضروري لهما ، هو الذي سيجعل مستوى الكلمتين الأوليين معنا، في مستوى الكلمة الثالثة من حيث الخلفية الاستطرادية. ذلك أننا سوف نرى أيضا شيئا من هذا القبيل حول مفهوم "الاستطراق" كما عرفناه أو نعرفه في قانون الأواني المستطرقة، مع مفهومه الذي عاشته كاملا منشأتنا الأكاديمية،لعدة سنوات في المرحلة الأولى لحياتها بجامعة القاهرة.

أتذكر أن "الوصل" هو عطف بعض الجمل على بعض بالواو ، وأن "الفصل" هو ترك ذلك العطف . ومن أشهر النماذج التي يحسن فيها الوصل أو ينبغي تلك الإجابة ، التي تلقاها "هارون الرشيد" حينما سأل أحد الأفراد من تابعيه عن شيء ، حيث قال التابع (لا ، وسلمك الله) . ذلك أن "الواو" هنا كما قال "الصاحب بن عباد" حين سمع بتلك الإجابة (هي أحسن من واوات الأصداغ على خدود الملاح) . وفي قمة النماذج لبلاغة "الفصل" قوله تعالى (أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام ...) . كما أتذكر أن موضوع "الفصل والوصل" كان من أدق الأبواب وأكثرها صعوبة في علوم البلاغة العربية ، وكان الأستاذ الذي يقوم بتدريسه كثيرا مايردد على أسماعنا قولة مأثورة (سئل بعضهم عن البلاغة فقال : هي معرفة الفصل والوصل) .

وأختم هذا الاستطراد الاستهلالي ببعض التساؤلات التي يتطلبها المقام ويقتضيها الحال ، بشأن التسمية التي اختيرت منذ أربعة عقود لمولود جديد ، تقررت إضافته عام ١٩٥٠ إلى إخوة سبقته بالجامعة الأم في مصر : هل كان من الممكن الاستغناء عن "واو العطف" في تلك التسمية التليدة لوليدنا المحروس ..! ..؟ وهل كان "الوصل" بين "المكتبات" و "الوثائق" في اسمه نوعا من البلاغة "التراثية" المعقولة أو الواجبة آنذاك فقط ..!..؟ وهل أصبحت البلاغة "البنيوية" الحاضرة تحتم اللجوء إلى "الفصل" ... ليس بحذف "واو الوصل" وإنما بـ "النفي" لكل من المتعاطفين بعيدا عن الآخر ..!..؟ وهل سيجري أحدهما أو كلاهما بعد هذا "النفي" المفروض عليهما أو المرغوب فيه ، وراء "وصل" آخر مع "الغانية" الجديدة وما هي بجديدة ... وهي التي غازلت الطرفين معا منذ فترة ، بلباسها الخارجي المنقوش ..!..؟ وهل من الممكن أن تحل مشكلتهما بإنشاء دار "كلية" ، لهما وللأقارب والأتباع معهما ..!..؟ فلتكن هذه التساؤلات فاتحة للشهية الآن ..! ولننتظر الإجابة أو الإجابات إذا تيسرت ، في خاتمة الحديث والكتابة ..!

الاستطراق ..! أو الفصل ..! أو الوصل ..!

نزل الوليد الجديد في الحجر الجامعي الأم بمصر منتصف القرن العشرين ، وكان اسم هذا الحجر في ذلك الوقت "جامعة فؤاد الأول" ..! وقد عاش هذا الوليد عامين أو ثلاثة في صيغة "معهد" عام يعطي درجة الدبلوم ، ثم انتقل إلى صيغة "القسم" الحالية بكلية الآداب ، الذي يمنح الدرجات المعيارية للجامعة وللكلية ، بما فيها الليسانس والماجستير والدكتوراه إلى جانب الدبلومات . ومن المسلم به أن المسؤلين عن ولادة ذلك "المعهد" ثم "القسم" ، كانوا قد هجنوا المفهوم الفرنسي لقطب الوثائق التاريخية ، مع المفهوم الأنجلو - أمريكي لقطب المكتبات . وصنعوا من هذا التهجين المزدوج ذلك القسم الأكاديمي المصري المستطرق ، الذي بقي بشكل

"الوصل" في اسمه الرسمي ، وبواقع "الاستطراق" في مقرراته الدراسية وطلابه ، منذ أوائل الخمسينيات حتى أواخر الستينيات . فقد كان على رأس المولود مصريان ، من عشاق التاريخ والأدب حسب المدرسة الفرنسية ، وهما "صبري السوربوني" و "إبراهيم سلامة" . كما كان من حواريه اثنان من كبار المسئولين في دار الكتب المصرية ، التي تبنت منذ الثلاثينيات الأصول الأنجلو - أمريكية في أعمال المكتبات ، وهما "محمد أحمد حسين" ، و "عبدالمنعم عمر" .

كان من الممكن خلال تلك المرحلة المبكرة في الخمسينيات والستينيات ، بقوة ذلك "الاستطراق" الوحدوي الداخلي في المقررات الدراسية وفي الطلاب بالقسم ، وداخل الإطار المحبوك لهذا "الوصل" الخارجي في التسمية والشعار، أن تنشأ وتزدهر كينونة بنائية موحدة لهذا القسم الفريد ..! كما كان من الممكن في التربة المصرية العربية الإسلامية ، أن يتخلص القسم من الشوائب الضارة في الخلفية الفرنسية الأنجلو أمريكية التي قام عليها ، وأن تتأصل فيه عناصر تلك البيئة الثلاثية بدرجة كاملة ..! بل لقد كان من الممكن أن يصبح كيانا جامعيا فعالا ، رائدا بحق لكل الحياة الأكاديمية بأقطار هذه المنطقة من حوله ، بسبب طبيعته ذات العلاقة المباشرة مع جميع التخصصات الأخرى ، وقد سبق غيره من الأقسام المماثلة في تلك الأقطار بأكثر من خمسة عشر عاما..! ولكن تلك الأمنيات الأسطورية لم تقع وماكان من الممكن أن تقع..! تماما كما أن الوحدة المصرية السورية عام ١٩٥٨ لم تصل كما كانت هي الأمنية ، إلى وحدة العرب الاندماجية من المحيط إلى الخليج !

فقد كان هناك إخلاص حاد جاد بالحق أو بالباطل ، من جانب أعضاء هيئة التدريس جميعا خلال ذلكما العقدين الأولين ، كل منهم لما نشأ عليه وعرفه هو في هذا القطب أو ذاك ، من المحورين اللذين قام عليهما القسم . بل إن هذا الإخلاص الحاد الجاد أخذ يتمثل فيما هو أضيق من ذلك ، حتى لقد كان هناك ومايزال اتجاهان فرعيان بل لعلهما قد أصبحا ثلاثة ، داخل قطب الوثائق وحده ..! وليس من المبالغة في شيء أن نقول: إن هذا الإخلاص الحاد الجاد ، قد تأصل في نفوس أعضاء هيئة التدريس خلال ذلكما العقدين المبكرين ، حتى لقد ورثه الجيلان الثالث والرابع بعدهما في السبعينيات والثمانينيات ..! وإنني الآن أكاد أخشى أن نصبح جميعا بسبب ذلك الإخلاص الحاد الجاد الحاضر والموروث ، وكأن كل عضو منا بما عرفه ونشأ عليه ، هو فقط الممثل الوحيد للقطب الذي ينتمي إليه مكتبات أو وثائق ..! أو حتى معلومات ..! عند من يرونها أميرة جديدة من ذوات الدم الأزرق النادر ..! وهي "الغانية" التي مضت الإشارة إليها في الاستطراد الاستهلالي قبلا .

*** *** ***

وفي أواخر الستينيات حتى أوائل السبعينيات حدثت تجربة فريدة ، لنمط من "الفصل" في طلاب القسم وفي مقرراته الدراسية كليهما ، مع بقاء "الوصل" الخارجي في تسميته الرسمية . ذلك أن جميع أعضاء هيئة التدريس على الجانبين آنذاك ، وقد أنهكهم الشد والجذب داخل هذا الكيان الأكاديمي المستطرق ، ظنوا خطأ أن الحل هو القضاء الكامل على ذلك "الاستطراق" ، الذي عاشوا في ظلاله لحوالي عقدين . وقد تيسر لهم ذلك الحل بجعل مرحلة الليسانس لقطب المكتبات وحده ، وبقاء الدراسات العليا كما كانت منفصلة لكل من القطبين . وأيا كانت العوامل التي أدت إلى النهاية السريعة لتلك التجربة ، فمن الواضح أن ذلك النمط من "الفصل" كان كاملا من الناحية الأكاديمية الخالصة . ذلك أنه كان لكل من قطبي المكتبات والوثائق ، حريته الكاملة دون أي تدخل من جانب القطب الآخر ، في مقرراته الدراسية من حيث التسمية والمحتوى ، وفي شروط القبول للطلاب وإجراءات هذا القبول ، بل وفي الدرجات التي يمنحها كل منهما .

ولم تستمر تجربة "الفصل" الكاملة السابقة أكثر من نصف عقد ، ثم حدث في منتصف السبعينيات وأوائل الثمانينيات ماحدث قبلا في أواخر الستينيات ، وهو البحث عن نمط شكلي آخر لحدود الفصل والوصل بين القطبين العتيدين . وكانت بذور "الغانية" التي ظهرت في القسم لأول مرة منتصف الستينيات ، كرجل أوربي غامض النسب باسم "التوثيق" ، قد أثارت بين الشقيقين آنذاك تنافسا محدود الأثر على الارتباط به ، حتى لقد استخدم أحد القطبين التوافق اللفظي في اسمه لإثبات هذا الارتباط ..! ولكن هذه "الغانية" بعد ذلك ، وقد غيرت ثيابها وجنسها واسمها ، فاتخذت "التحسيب" لباسا ، وعادت إلى القسم أنثى أنجلو أمريكية باسم "المعلومات" وذلك منذ بداية السبعينيات حتى أوائل الثمانينيات - تلمظ لها كل من الأخوين اللدودين وسال لعابه ..! بل لقد أزمع كل منهما أمره ، على الاقتران بها ولو سرا أو عرفيا دون أخيه ، وأصبح على استعداد كامل لقتل من يقف في سبيل هذا الاقتران الملهوف ..!

وقد تقرر حقنا للدماء في سياق البحث عن النمط الثالث والأخير لعلاقات الأخوين الحميمين ، ألا يدخل اسم هذه "الغانية" في التسمية الرسمية للقسم ، وأن يبقى كما هو باسمه الذي أنشيء به وكان هذا القرار بشقيه توفيقا من الله ونعمة ، ليبقى للقسم عراقته وأوليته بين أشقائه في الأوطان العربية الأخرى ..! فليس يليق بأي تخصص علمي عريق ، أن يغير اسمه أو اسم مؤسسته الأكاديمية ، مع كل تطور في أدوات العمل أو مناهج البحث أو الموضوعات الداخلة فيه ..! والأمثلة لهذه المسلمة كثيرة نذكر منها على مستوى الأقسام : الكيمياء ، والطبيعة ،والحيوان، والجغرافيا ، والتاريخ ، والاجتماع . كما نذكر على مستوى الكليات :

الآداب ، والتجارة ، والحقوق ، ودار العلوم ، والزراعة ، والعلوم .

وهكذا تقرر بنعمة من الله وتوفيقه ، أن يبقى نمط "الوصل" بين القطبين بواو عطف واحدة في الاسم ، كما يبقى "الاستطراق" في السنة الأولى بمرحلة الليسانس وحدها ، وأن يأخذ "الفصل" مجراه في كل شيء بعد ذلك ..! وقد مضى على هذا النمط الثالث والأخير فترة تقرب من فترة النمط الأول ، باستثناء تلك السنوات القليلة التي تحقق فيها "الفصل" الأكاديمي الكامل . ثم بدأنا نسمع عن التطلع إلى نمط شكلي رابع ، نحاول أن نبني فيه من جديد مؤسستنا الأكاديمية الرائدة ..! ومن الطرافة والمفارقة المثيرين للتساؤل بل الشك في جدوى هذا التطلع وجديته، أنه يحدث في الوقت الذي بلغ فيه القسم أشده ، وتحقق له النضج والاستواء حسب المعايير الشرعية الإسلامية ، وبعد أن ثبتت أوضاعه وترسخت قواعده على امتداد الأربعين سنة ..!

الازدواجية والنمو العلمي في المنشآت الأكاديمية

ونقف الآن وقفة مؤقتة للتأمل المبدئي في ماضي هذه المنشأة الأكاديمية المصرية ..! نبحث في ثناياها عن المتغيرات التي قد تكون ، هي السبب الحقيقي وراء هذه الحيرة المستمرة ، بين الفصل والوصل والاستطراق ..! فقد يكون السبب في حيرتنا هو هذه الازدواجية في بنية القسم بين قطبين . لكل منهما شخصيته ومقوماته ، برغم أوجه التقارب الكبير بينهما ..! كما قد يتأيد هذا الاحتمال المقبول شكلا على الأقل ، بالإيقاع السريع للنمو العلمي في الحياة الأكاديمية بعامة ، الذي أصبح يحتم في الوقت الحاضر إعادة النظر من حين لآخر ، في بنية التخصصات الأكاديمية وفي إعادة التشكيل للأقسام أو الكليات التي تمثلها . بل إنه مع التسليم بذلك الاحتمال بوجهيه السابقين ، قد يتبين أنه ليس هو السبب الحقيقي وراء ذلك التطلع الرابع ، وأن هناك في الحقيقة متغيرا معينا تفتقده هذه المنشأة ، وأن هذا الافتقاد هو مكمن الداء وسبب الحيرة . كما قد يتبين في هذا الاحتمال الثاني ، أن المتغير المفتقد قريب جدا من عيوننا بحيث أصبحنا لانراه ، وأنه كان معروفا مألوفا في كل علومنا التراثية الأصيلة والمقتبسة ، ولكننا لسبب أو لآخر نجهله أو نتجاهله في تخصصنا الحاضر ..!

وإذا كان هذا الاحتمال الثاني صحيحا ، وإنه لكذلك ، فلن يصلح أمر هذا الثنائي أو حتى الثلاثي الكائن في منشأتنا الأكاديمية المصرية ، ولافي أمثالها من المنشآت الأكاديمية بالأقطار العربية الأخرى ، بأي نمط سابق أو لاحق من أشكال الوصل أو الفصل أو الاستطراق أو غيرها ، إذا بقي جهلنا أو تجاهلنا لذلك المتغير المفتقد . فهناك مثلا القسم الجديد بجامعة الملك سعود ، وعمره الآن أربعة أعوام لأربعة عقود ، والمفروض أنه فردي البنية دون الازدواج الذي عشناه نحن – سرعان ماظهرت عليه أعراض الحيرة والاضطراب بل الأزمة ، بسبب الازدواجية المزعومة داخل قطبه الفردي . ومعنى ذلك أن الأمر لايعود إلى ثنائية البناء الأصلي ، ولكنه بالأحرى يعود إلى عنصر حيوي يفتقده البناء ، سواء أكان فرديا أو ثنائيا أو حتى ثلاثيا فما فوقه ..!

وفي سياق هذا الاحتمال الثاني بشأن ذلك العنصر المفتقد ، قد يتبين أن تطلعنا الحاضر لنمط شكلي جديد نضع فيه منشأتنا الأكاديمية المصرية ، ليس أكثر من تعبير سيكلوجي غامض عن ذلك الإخلاص الحاد الجاد ، الذي عرف به أعضاء هيئة التدريس بيننا لأربعة عقود مضت ..! ومن هنا فإن تحقيق هذا التطلع الرابع المثير للتساؤلات والشكوك . لن يقضي على الأزمة الحقيقية في هذه المنشأة ، مادام هذا الإخلاص الفردي هو الأساس للعلاقات التي تجمعنا ..! ذلك أن هذه الأعراض ستتكرر في كل شكل جديد ، حتى يصل الأمر إلى أحد التطلعات الكاريكاتيرية ، وهو أن يكون هناك قسم مستقل لكل واحد من أعضاء هيئة التدريس فينا ..! بل إنه مع تحقيق ذلك التطلع المستحيل ، قد تبقى الحيرة والاضطراب في داخل الفرد الواحد نفسه ، بينه في يومه وفي غده ..!

*** ***

قد يبدو قسمنا فريدا بين الأقسام في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، من حيث الاحتمال المقبول شكلا لأعراض الحيرة والاضطراب فيه ، وهو الازدواجية في تكوينه وفي بنيته الداخلية ، بالإضافة إلى النمو العلمي للتخصصات الأكاديمية في الوقت الحاضر . ولكن الازدواجية بمفهومها الأكاديمي وكذلك الإيقاع السريع للنمو العلمي حاليا ، من الأمور النسبية التي لاينبغي أن يعلق على شماعتها كل أعراض الحيرة والاضطراب . فهذه الازدواجية تكاد تكون ماثلة في كل الأقسام من حوله ، ماسبقه منها وماجاء بعده . وإذا كان النمو العلمي في بعضها قد يقل قليلا عما يمر به قسمنا ، ففي بعضها الآخر قد يساويه أو يتجاوزه ..!

أقسام اللغات العريقة في الكلية مثلا ، وفي مقدمتها العربية والإنجليزية والفرنسية ، تحمل قدرا غير قليل من الازدواجية في بنيتها وتكوينها ، بين أدب اللغة وتاريخه في جانب ولغوياتها وفقهها في الجانب الآخر . بل لقد يكون هناك من دوافع التنافس بين أعضاء هيئة التدريس بتلك الأقسام على الجانبين ، مايساوي أو يزيد على أسباب التنافس الموروث بين الأعضاء في جانبي المكتبات والوثائق . ومن الطبيعي أن تلك الازدواجية النسبية ماثلة أيضا في أقسام اللغات حديثة الإنشاء بالكلية كالألمانية والإسبانية . وقد أنشيء هذان القسمان بعد قسم المكتبات والوثائق بعقدين أو ثلاثة . ولنأخذ كذلك مثلا آخر أحد الأقسام العريقة بالكلية كالتاريخ ، فنجد فيه مستوى من التنافس بين فروعه

الثلاثة أو الأربعة ،يشبه التنافس السابق في أقسام اللغات أو يزيد عليه.

إن القضية ليست وجود الثنائية فما فوقها في بنية القسم ، بما يتبعها من التنافس أو بما يصاحبها من النمو العلمي السريع ، فذلك في ذاته قد يكون هو المظهر الصحي المرغوب ..! ولكن القضية الفاصلة أو فلنقل المتغير الذي نبحث عنه ، هو الوجود أو الافتقاد للإدراك من جانب الأفراد في الأطراف أو الأقطاب المتنافسة ، للحدود العلمية الدقيقة ، التي تصل وتفصل بين اهتمامات كل منهم . فإذا كان هذا الإدراك متوفرا بالقدر الكافي ، يصبح التنافس بل الإخلاص الحاد نفسه عند كل فرد ظاهرة طبيعية وصحية . ولايفكر أي من الطرفين أو الأطراف إزاءها في الاستقلال بقسم خاص ، فيقول مخطئنا : إن هذا هو الحل العلمي الصحيح أما عند افتقاد هذا الإدراك فليس يجدي أي من الأشكال المحتملة ، لا الاستطراق ولا الوصل ولا الفصل الجزئي ، ولاحتى إنشاء دار كلية جديدة ..!

كما أن النمو العلمي بإيقاعاته السريعة في الوقت الحاضر ، لايحتم بذاته شكلا معينا يكون هو الوحيد في كل البيئات والظروف ، الذي ينبغي أن تصاغ فيه المؤسسة الأكاديمية لأي تخصص . ذلك أن هذه الأشكال ، من الوحدة الاندماجية أو الفيدرالية بأحد الأقسام . حتى المعهد المنفرد أو الكلية الكاملة لأحد التخصصات الدقيقة أو العريضة ، لاتحتمها فقط درجة النمو العلمي الذي تمر به تلك التخصصات . ولكنها تأخذ وضعها الحتمي الحقيقي في ضوء المحصلة النهائية ، لمجموعة معقدة من العوامل والمتغيرات ، غالبا مايكون فيها ذلك النمو العلمي هو العنصر الثانوي الأقل شأنا .وليس من المهم تأييدا لتلك النظرة الصحيحة، أن نعرف درجة النمو العلمي في أربع تخصصات ، هي العمارة والألكترونيـــات في قطاع الهندسة بمفهومها الواسع ، ثم الآثار والإعلام اللذين ولدا وترعرعا في رعاية الآداب ، بمفهومها الذي عرفته أقدم الجامعات في الأوطان العربية .

منذ بضع سنوات في جامعة الملك سعود ، خرجت العمارة كما خرجت الحاسبات الألكترونية واستقل كل منهما بكليته ، ومع ذلك مايزال هذان التخصصان كما هما في أحضـان كلية الهندسة بجامعة القاهرة ، ولست أظن ولا أتوقع أن النمو العلمي سيدفع بهما أو بأحدهما إلى الاستقلال . والأمر على العكس تماما بالنسبة للآثار والإعلام فما يزالان كما هما في كلية الآداب بجامعة الملك سعود ، مع أن كلا منهما قد ترك كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وأصبح له كليته الخاصة به منذ عقدين أو نحوهما . ومعنى ذلك أن القضية بالنسبة لنا ليست بالضرورة ، هي الإيقاع السريع للنمو العلمي في الوقت الحاضر ، ولكنها للمرة الثانية تكمن في ذلك المتغير المعروف المجهول ، وهو مقدار الإدراك والاقتناع من جانب الأفراد في القطبين المتنافسين ، للحدود العلمية الدقيقة التي تصل وتفصل بين اهتمامات كل منهم .

إن الإدراك الدقيق المحدد للفرق بين الهوية الأكاديمية لكل من الفلسفة وعلم النفس ، كائنا مايكون ذلك الفرق بينهما وهذه الهوية لكل منهما ، إذا كان هو الذي يضمن الآن التعايش السلمي بين قسميهما داخل الكلية، فهو نفسه أيضا الذي حقق لهما الحياة المستقرة الثابتة حينما كانا معا تحت السقف لقسم واحد . ومن المؤكد أن العكس صحيح تماما ، بالنسبة لأي ثنائي أكاديمي لايتحقق لأصحابهما ذلك الإدراك الدقيق لهوياتهم وانتماءاتهم العلمية . فإذا كان وجودهما تحت سقف واحد بأحد الأقسام ، يؤدي برجالهما إلى التنافس غير المحمود ، وإلى كثير من الشد والجذب المرهق لهم جميعا ، فإن استقلال كل من القطبين بقسم خاص ، ينتقل بذلك التنافس وبهذا الشد والجذب ، إلى مستوى أكثر خطورة على الأمن الأكاديمي ، في الكلية بخاصة وفي الجامعة بعامة ..!

بل إن الافتقاد لذلك الإدراك العلمي يؤدي إلى الحيرة والضلال ، حتى دون وجود هذه الازدواجية المأثورة في منشأتنا الأكاديمية المصرية . فكل أو أكثر المنشآت المماثلة لها في الأقطار العربية الأخرى ، تعيش الآن نفس الحيرة والضلال ، برغم أن العدد الأكبر منها نشأ وتطور دون هذه الازدواجية في بنائه .ذلك أن الهوية الأكاديمية لتخصصنا بمفهومه الشامل، سواء أكانت منفردة أم مثناة أم مثلثة أو حتى مربعة ، ماتزال هناك وهنالك كما هي هنا رمالا متحركة ، تتبدل هيئتها بل تكاد تتذرى هباء مع كل تغير في مجالها ، مهما يكن ذلك التغير سطحيا أو عرضيا ..!

إن الشيء المفتقد في المنشآت الأكاديمية للتخصص ، الذي أصبحت تنفرد أو تزدوج أو تتثلث في اسمه بضع كلمات عربية (مثل :المكتبات ، المعلومات ، التوثيق ، الوثائق ، المحفوظات ، الأرشيف ، الخ .) ، هو أن نبني من تلك الرمال المتحركة هوية ثابتة متماسكة ، واضحة المعالم والحدود في تكوينها الذاتي ، وفي علاقاتها مع كل التخصصات الأكاديمية القريب منها والبعيد .

استطراد بل التباس من الغزالي ومن موريس

من المفارقات ذات الشأن بالنسبة لمن يبحث بإخلاص ، أمور هذه المنشأة الأكاديمية المصرية وأمثالها بالأقطار العربية الأخرى ، أنه مدفوع إلى القراءة وإعادة القراءة ، ليس في مجالها الخاص وحده ولا في المجالات الشقيقة فقط ، وإنما ينبغي له أن يقرأ ويقرأ ، ويمعن النظر فيما قرأ وفيما يعيد قراءته ، بمجالها ومجال شقيقاتها كما يقرأ ويقرأ ويمعن النظر فيما قرأه وفيما يعيد قراءته ، بالمجالات الأخرى لجميع التخصصات الأكاديمية ، من الإنسانيات والاجتماعيات والعلميات والتطبيقات . ذلك أن مثل هذه القراءات بكل من كمها وكيفها ، لاتتطلبها فقط طبيعة

العلاقات الفريدة ، بين ماتقوم عليه تلك المنشأة الأكاديمية المصرية وأمثالها موضوعا وفكرا ، وبين الرصيد الفكري المتزايد دائما لكل التخصصات الأكاديمية بفئاتها الأربع السابقـات . ولكن يتطلبها أيضا درجة المراهقة النسبية التي يعيشها هذا التخصص الفريد ، وقد تأخر دخوله إلى الساحات الأكاديمية العربية في الوقت الذي استقر فيه الأمر وتمكنت الأوضاع ، بالنسبة لأكثر التخصصات في هذه الساحات .

الاستطراد بل الاقتباس في هذه المرة الثانيـة مصدره قراءتان لمادتين، تفصل بينهما في الكتابة ثمانية قرون بل أكثر ..! تنتمي أولاهما إلى التراث العربي الإسلامي في أزهى عصوره ، ويقلم أحد أعلامه وأوسعهم عطاء وأدقهم بيانا ، وهو حجة الإسلام الإمام الغزالي (ت ١١١١م) . وتنتمي الثانية إلى الفكر الغربي الحديث ، في أدق عطاءاته العلمية وأوسعها تغطية ، كما يتمثـل في "حلقة فينا" (١٩٣٦ - ١٩٢٢ The Vienna Circle) بقيادة مؤسسهـا (موريتز شليـك : .M Schxlick) وفـي "حركة الوحـدة العلميـة" (The Unity Of Science Movement)، وهما الحركتان اللتان شارك في أولاهما وقاد الثانية (أوتونيورات : (O. Neurath) حتى وفاته عام ١٩٤٥ .

هناك أكثر من ثمانية قرون بين المادة التي كتبها "الغزالي" ، وهي كتابه المعروف باسم "معيار العلم" وبين المادة الحديثة التي كتبها أحد الأعضاء الزائرين من أمريكا ، لحلقة فينا إبان ازدهارها قبل اغتيال رائدها ، على يدي أحد الغلاة بالحزب النازي . كما أنه أيضا واحـد من أبرز المؤسسين للحركة الثانية ، وهو (تشارلـس وليام موريس : C.W. Morris) الذي تولى أمرها بعد موت صاحبها . وبرغم اختلاف السياق الذي دفع "الغزالي" إلى الخروج بكتابه (معيار العلم) عن السياق الذي أعد فيه "موريس" دراسته عام ١٩٣٨ ، فهما من وجهة نظري يقفان على موضوع واحد ، هو الذي دفعني إلى الجمع بينهما في هذا الاستطراد الاقتباسي .

كان "الغزالي" في (معيار العلـم) يتحدى طائفة الفلاسفـة منذ "أرسطو" حتى "ابن سينا" ، فيما درجـوا عليه من موضوعاتهم وكتاباتهم، حتى إن أحد الباحثين يرى أن (معيار العلم) هو القسم الثالث الذي يكمل"تهافت الفلاسفة" بقسميه عن الإلهيات والطبيعيات .

أما "موريس" في دراسته بعنوان (Foundations of The Theory of Science) التي نشرت مرتين على الأقـل (١٩٣٨ ، ١٩٦٩) ، فقد كان يشارك زملاءه بقيادة "نيورات" وريادته ، في وضع الأسس لمشروعهم بالنسبة لتوحيد العلم الذي لم يكتمل . وذلك لأسباب كثيرة يأتي في مقدمتها قيام الحرب العالمية الثانية ، التي قطعت الاتصالات الدولية بين الأعضاء ، ثم موت صاحب المشروع نفسه عام ١٩٤٥ .

كان هدفهم وضع الأسس السليمة لوحدة العلم ، أيا كان موضوعه في الإنسانيات أو الاجتماعيات أو العلميات أو التطبيقيات . وكانت الخطوة الأساسية في مشروعهم ، بجانب المجلة العلمية والمكتبة العلمية والمؤتمرات الدولية إصدار دائرة معارف كبرى بعنوان (دائرة المعارف الدولية للعلم الموحد) . وكان التخطيط للدائرة أن تشتمل على حوالي ٢٥٠ دراسة ، تقع في حوالي ٢٥ مجلدا بأقلام القيادات العلمية بأنحاء العالم في عشرينيات القرن العشرين وثلاثينياته .

وقد تمخضت كل الآمال عند أصحاب تلك الدائرة ، عن القسم الأول وحده من الدائرة في مجلدين اثنين فقط ، يشتملان معا على تسع عشرة دراسة لاغير في حوالي ١٨٠٠ صفحة . وإحدى هذه الدراسات بالمجلد الأول هي التي كتبها "موريس" للمرة الأولى عام ١٩٣٨ ، وهي التي ارتبطت في ذهني بكتاب (معيار العلم) للغزالي . وقد أعدت قراءتهما وأنا أعد دراستي هذه ، لما بينهما من التوافق في الموضوعات بصرف النظر عن أسلوب المعالجة ، ولأن في كل منهما شيئا معينا أو أكثر يصلح للاقتباس في دراستنا الحالية .

يقول الغزالي في كتابه (معيار العلم) وهو يعالج "القسمة الثالثة" بالفن الأول " .. اعلم أن المراتب فيما نقصده أربعة ، فإن للشيء وجودا في (١ : الأعيان) ، ثم في (٢ : الأذهان) ، ثم في (٣ : الألفاظ) ، ثم في (٤ : الكتابة) . (فالكتابة : ٤) دالة على (اللفظ : ٣) ، واللفظ دال على (المعنى : ٢) الذي في النفس ، والذي في النفس هو مثال الموجود في (الأعيان : ١) ، ١- فما لم يكن للشيء ثبوت في نفسه لم يرتسم في الذهن مثاله . ٢- ومهما ارتسم في النفس مثاله فهو العلم به ، إذ لامعنى للعلم إلا مثال يحصل في النفس مطابق لما هو مثال له في الواقع وهو المعلوم . ٣- ومالم يظهر الأثر لاينتظم لفظ يدل به على ذلك الأثر . ٤- ومالم ينتظم اللفظ الذي ترتب فيه الأصوات والحروف لاترتسم كتابة للدلالة عليه .والوجود في (١ : الأعيان) و (٢: الأذهان) لايختلف بالبلاد والأمم ، بخلاف (٣ : الألفاظ) و (٤ : الكتابة) .

لم أغير شيئا في عبارة "الغزالي" سوى أنني أضفت الأقواس والأرقام، تسهيلا لإدراك العلاقات الطردية والعكسية بين المراتب الأربعة بذلك السلم التراثي . وقد سجل "الغزالي" تلك المراتب وعلاقاتها ثلاث مرات : طردا من الأصل إلى الفرع الأخير مرتين ، وعكساً من الفرع الأخير إلى الأصل مرة واحدة . و "العلم" حسب هذا السلم هو : مثال يحصل في النفس مطابق لما هو مثال له في الواقع ، أما هذا الواقع نفسه فهو "المعلوم" . وهذا هو الفرق التقليدي بين "العلم" و "المعلوم" ، عندما

نلاحظهما في كتاباتنا التراثية ونحن نقرؤها الآن .

كما أن العلماء المسلمين درجوا في كل العلوم والتخصصات التي تناولوها ، أن يبدءوا في كل منها بما يطلق عليه مقدمات العلم ، ويدخل في هذه المقدمات : اسم العلم ، وأول أو أشهر من تحدث فيه ، الخ . بيد أن أهم هذه المقدمات أمران هما : موضوع العلم ثم قضاياه ومسائله . وإذا كانت القضايا لأي علم تقع في المرتبة الثانية على سلم "الغزالي" ، فإن الموضوع لكل علم لابد أن يقع على المرتبة الأولى .

هذا ، وكما تحدث "الغزالي" عن عدة جوانب في المنطق القديم ، بمصطلحاتها المأثورة في كتابه التراثي (معيار العلم) ، تحدث "موريس" في سياق الحركة الحديثة لتوحيد العلم ، عن الجوانب نفسها تقريبا ، ولكن بالأسلوب الغربي للمنطق الحديث في القرن العشرين . وقد وضع "موريس" دراسته في حوالي ٦٠ صفحة ، موزعة على سبعة جوانب أساسية ، تشتمل معا على ١٧ مسألة . ولست بصدد المقارنة الشاملة لتلكما المادتين المتباعدتين المتقاربتين ، ولكنها بالأحرى مقارنة في جزئية معينة بأحد الجوانب في إحدى المسائل ، وقع كل من العالمين الشرقي الإسلامي والغربي الأمريكي عليها بأسلوبه ومنطقه . وهذه الجزئية نفسها هي التي اخترتها ، لعلاقتها بالهدف الذي أسعى لتحقيقه ، فيما بقي من جوانب الدراسة الحالية إن شاء الله .

وقد رأينا من قبل ، السلم "الغزالي" في علاقاته الطردية والعكسية، بالنسبة لتلك الجزئية المختارة ، كما رأينا ذلك في الكتابات التراثية الإسلامية بالنسبة لماهيات العلوم والتخصصات .

أما هذه الجزئية عند "موريس" فتقع في المسألة رقم ٢ (The Nature Of a Sign) لدراسته ، حيث فضل الاقتصار على ثلاثة عوامل هي معا التي تدخل في وظيفة "الدلالة" . وهي بترتيبه (الدوال / التسميات : Sign Vehicles) التي تقابل عند "الغزالي" المرتبتين(٣، ٤)، بل إنها تتسع لتشمل معهما كل شيء يكون دالا على شيء بالنسبة لشخص تقع في ذهنه هذه العلاقة بين الدال والمدلول ؛ (المدلولات / المسميات : Designata) التي تقابل عند "الغزالي" المرتبة (١) ؛ (المفاهيم في الأذهان : Interpretants Of Interpreters) التي تقابل عند "الغزالي" المرتبة (٢) . كما أن "موريس" يصرح كالغزالي بل أكثر منه ، بتضمن كل منها للآخرين وتوقفه عليهما باعتبارها ثلاثة عوامل تترابط في نطاق وظيفة واحدة هي "الدلالة" .

بل لقد لفت نظري عند "موريس" جزئية هامة في المسألة رقم ١ (Introduction) بدراسته . ذلك أنه اهتم بالتمييز بين ثلاثة أنماط من العلوم أو التخصصات الأكاديمية ، حسب الماهية الذاتية أو النوعية لكل منها . أما أول الأنماط فيمثله علم "الدلالات" ، الذي يبادر هو في دراسته هذه بوضع أساس عام له ، وقد سبقته أعمال تمهيدية قام بها على حد قوله : اللغويون ، والمنطقيون ، والفلاسفة ، والسيكلوجيون ، والبيولوجيون ، والأنثروبولوجيون ، والمهدعون ، والسوسيولوجيون ، كل فئة عالجت أمر "الدلالات" من منطلقها العلمي الخاص . وقد جعل "موريس" لهذا النمط الفريد موقعا مزدوجا في خريطة العلم عنده ، فهو في ذاته علم (Has Its Own Subject Matter And Thoughts) ، أي : له موضوعه (في الأعيان) وله قضاياه ومسائله (في الأذهان) ، إذا جاز لنا أن نستخدم "المراتب" في سلم "الغزالي" شرحا لما يريده "موريس" . ثم هو إلى ذلك أداة التسجيل (التي تقابل عند "الغزالي" المرتبة الرابعة) لكل العلوم الأخرى ، ومن هنا فإن هذا العلم بنمطه الفريد يستطيع أن يقوم بدور إيجابي رائد ، في التوحيد الترابطي لكل العلوم والتخصصات .

أما النمطان الآخران فأحدهما تمثله العلوم الاجتماعية والإنسانية والسيكلوجية ، وهي التي تدخل أساسا في نطاق ما يطلق عليه حاليا (العلوم الناعمة : Soft Sciences) . والنمط الآخر تمثله العلوم الطبيعية والحيوية ، وهي التي تدخل أساسا فيما يطلق عليه الآن (العلوم الصلبة : Solid Sciences) . ومن المسلمات التي يصرح بها "موريس" ، أن التمييز بين هذين النمطين إنما يقع في أهم شيء بالنسبة لأي علم ، وهو (موضوعه) في "الأعيان" بلغة الغزالي والموروثات العربية الإسلامية ، أو هو (Its Designated Objct = Subject Matter) بلغة "موريس" والمعاصرين الغربيين ، أيا يكون ذلك الموضوع حتى "الدلالات" نفسها .

المكتبات والوثائق في الخريطة الأكاديمية الموحدة

برغم أنني عند ولادة هذه المنشأة الأكاديمية المصرية ، كنت غارقا حتى الأذنين في تخصصات اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية ، فإن نصيبي المتواضع من عمرها المبارك يبلغ حتى الآن حوالي ثلاثة عقود ونصف العقد . وقد قضيت منها ربع قرن كامل وأنا بين جدرانها ، كما سبقت تلك السنوات غير القصيرة بأربع قبلها كنت فيهن طالب علم لأحد قطبيها بأمريكا ، وجاءت بعدها أربع أخرى قضيتهن مدرسا لهذا القطب نفسه بالسعودية . ومع ذلك لم يشغلني أمر الهوية الخاصة لهذه المنشأة على الخريطة الأكاديمية ، إلا في أوائل السبعينيات وهو العقد الثالث ، لها ولكل أفراد الجيل الأول من حوارييها ، برغم أن هذه الهوية كانت موضوعا متجددا للمناقشات طوال عمرها كله .

ذلك أن تلك المناقشات حتى أواخر الستينيات ، كانت في أكثر الحالات بالنسبة لي على الأقل ، كالحوار الخاص داخل أسرة واحدة ، بشأن توزيع حجرات البيت على الأعضاء ، أو بشأن الاستثمار الأمثل للأراضي

المملوكة لهم . كما كانت قبلا مع أصحاب التخصصات الأقدم بالكلية ، دفاعا عن شرعية الوجود بالساحة الأكاديمية ، وهي الشرعية التي كانت موضع الأخذ والرد لبعض الوقت . أما منذ تلك المرحلة الجديدة في حياة هذه المنشأة وأمثالها فقد تبدل الوضع بالنسبة لي على الأقل كذلك ، لأسباب ومتغيرات على المستوى الوطني والقومي والدولي . ويهمني منها في هذه الرسالة الدراسية متغير معين ، كان هو السبب المباشر لاشتغالي بأمر هذه الهوية ، وهو الاشتغال الذي لم ينقطع إلى الآن ، حتى لكأنه قد أصبح لي هواية ..!

فمنذ أواخر الستينيات بلغت درجة "اليقين" ، من خلال قراءاتي ولقاءاتي وأعمالي الأكاديمية والمهنية والميدانية ، أن قطعة الأرض (بل ربما موقع البيت أيضا ..!) التي تملكها وتستثمرها هذه الأسرة ، وأمثالها من الأسر بالوطن العربي وبالخارج ، تكاد تصبح بالباطل ملكا لجماعات من الغزاة الوجهاء ..! وقد جاءوا إليها من مواقع مختلفة على الخريطة الأكاديمية ، يحاولون في غفلة من أصحابها أو لسفههم وحماقتهم، أن يتملكوها بوضع اليد أو بالتزييف القانوني . ولا بأس أن يبقى أصحابها الأصليون حيث هم ، باعتبارهم يقومون بخدمة هؤلاء السادة الوجهاء ، أو باعتبارهم الشريك الأضعف على أحسن تقدير ..! ومع أن هؤلاء الغزاة ينتمون إلى مواقع متفاوتة على تلك الخريطة ، فأخطرهم كانوا ومايزالون هم الوجهاء القادمون من التخصصات الهندسية بعامة ، ومن أصحاب الألقاب والباقات الألكترونية بخاصة ..!

ليس من حقوقنا بهذه المنشأة . بل ولامن حق أي إنسان عاقل ، أن يضع أسوارا صماء بين المواقع العديدة على أرض تلك الخريطة ..! بل إن العكس تماما لهو الصحيح ، الذي آمن به وسعى في سبيله العلماء المخلصون ، خلال التطورات المتلاحقة للمعرفة وللعلم ، من قبل "أرسطو" وأترابه ومن بعدهم ، وبين يدي "الغزالي" ومنافسيه ومن خلفهم ، حتى العصر الحاضر بكل مافيه ومن فيه ..! وقد بلغ ذلك الإيمان وهذا السعي درجة غير مسبوقة ، على أيدي "شليك" و "نيوراث" وشيوخهما والحواريين معهما منذ أواخر القرن التاسع عشر ، ومايزال الأمر كذلك دون توقف ، ونحن نقف أمام بوابة القرن الحادي والعشرين التي لما تفتح ..!

ولكن ذلك كله لايعني بأي حال من الأحوال ، إلغاء خطوط الطول والعرض التي تضبط أبعاد تلك الخريطة وتؤكد مصداقيتها ، ولاخلخلة الموقع الذاتي لكل تخصص والخلط والتمييع لماهيته ... فيضيع بذلك الإلغاء ، ومايتبعه من الخلخلة والخلط والتمييع الوظيفة الإرشادية للخريطة كلها ، ومن ثم يتحول العلم والمعرفة إلى متاهة كبرى يضل فيها الطلاب ولايهتدي الباحثون ..! ومن هنا فقد سعيت منذ بداية السبعينيات بسبب "يقيني" السابق ، إلى تحديد ماهية الموقع الذاتي لمنشأتنا الأكاديمية وأمثالها ، في إطار مجموعة من خطوط الطول والعرض ، أطلقت عليها فيما بعد اسم " نظرية الذاكرة الخارجية " بل إنني حرصت في نطاق ذلك الإطار النظري ، على نسبة موقعنا الذاتي إلى المواقع الأخرى لجميع التخصصات ، كما حرصت على تحديد الخطوط التي تصل وتفصل بين القطبين الأساسيين بهذه المنشأة ، تحصنا من غزوات الغزاة وحماقات الحمقى ..!

ومن الطريف أن أبادر هنا ، بالنسبة للهدفين الأولين من بناء ذلك الإطار النظري ، وهما : ماهية الموقع الذاتي لمنشأتنا وأمثالها ، ونسبة هذا الموقع إلى المواقع الذاتية لكل التخصصات الأخرى - أبادر بأنني وصلت إلى نتيجة تشبه النتيجة التي وصل إليها "موريس" ، بشأن "علم الدلالات" الذي وضع أسسه الثابتة منذ ثلاثينيات هذا القرن . فقد قرر "موريس" أن لهذا النمط التخصصي الفريد ، وظيفة مزدوجة على الخريطة الأكاديمية الموحدة : فهو في ذاته علم أو تخصص - Its Un) Ique S ubject Matter) : موضوعه وقضاياه الفكرية المتميزة كأي تخصص آخر ، كما أن طبيعته الخاصة تجعله يرتبط بجميع التخصصات الأخرى بروابط مباشرة .وهو بهذه الوظيفة الثانية يستحق أن يوصف على حد تعبيره بأنه (Matascience : العلم المساند لكل العلوم) ، أو ربما نقول اختصارا على حد تعبيره أيضا (علم العلوم : Science Of Sciences)

*** ***

هذا ولسنا الآن بصدد الشرح لنظرية الذاكرة الخارجية ، فقد تم ذلك عدة مرات من قبل ، وأنا أعيد النظر فيها منذ أواخر السبعينيات حتى أواخر الثمانينيات ، كما أنني اعتمدت عليها في كل كتاباتي لحوالي عشرين عاما حتى الآن . ولكنني رأيت في هذه الدراسة أن أربطها ، بما وجدناه في مادة "الغزالي" وفي مادة "موريس" ، فقد نستطيع من خلال ذلك الربط الهادف ، أن نعيد رسم الخريطة الأكاديمية الشاملة ، بخطوط موحدة للطول والعرض تكون أكثر تفصيلا ، وبيبان للمواقع الذاتية للتخصصات على تلك الخطوط ، يكون أدق تحديدا وأقوى قبولا ..!

ومن الطبيعي أنه بمثل تلك الخريطة الموحدة الشاملة ، وليس بأي شيء آخر من وجهات النظر التي لاأساس لها ، يمكن أن تعرف منشأتنا الأكاديمية وأمثالها ، ليس فقط هويتها الثابتة المتماسكة ، التي نسعى جميعا لبنائها وتدعيمها حتى لاتذروها الرياح ، وإنما نستطيع نحن أيضا أن نحدد الهوية الفرعية لكل من قطبي الوثائق والمكتبات ..! بل إننا لنستطيع بأسهل وأدق مما حاوله ويحاوله كثيرون ، أن نحدد حقيقة ما عرف قبلا باسم "التوثيق" ، وما أصبح يعرف باسم "المعلومات" ، على تفاوت ماوصف ويوصف به كل منهما ، حسب الجماعات التي رفعت راية

كل منهما أو أحدهما دون الآخر ..!

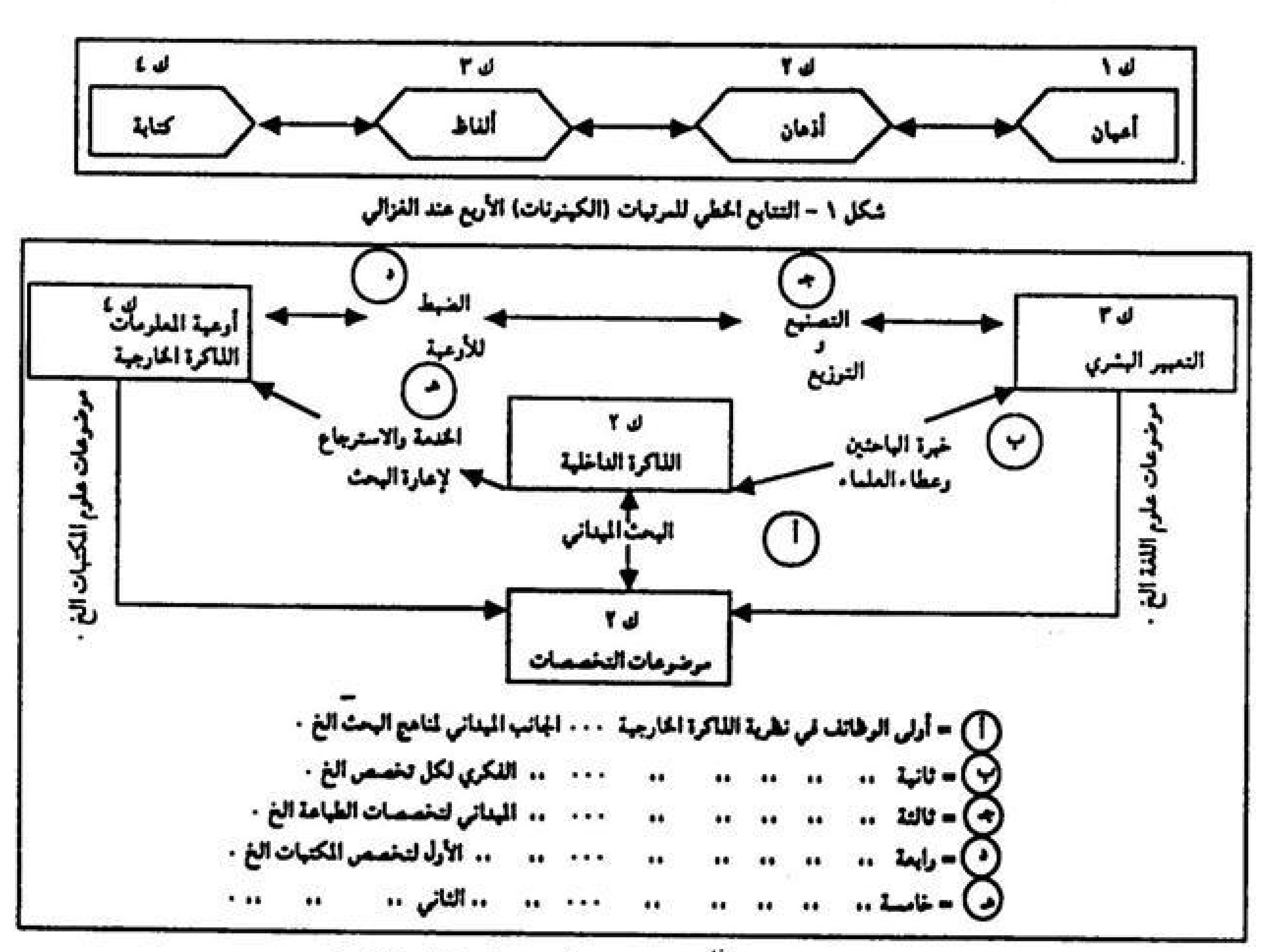
ليس هناك في الحقيقة ونحن نعيد رسم تلك الخريطة ، فرق جوهري بين رباعية "الغزالي" وثلاثية "موريس" كما رأينا ، ومع ذلك فإني أفضل في عملية الربط لهما مع نظرية الذاكرة الخارجية ، أن أتعامل زيادة في الوضوح مع أربعة أبعاد بدلا من ثلاثة . ولقد وضع "الغزالي" مراتبه الأربعة في علاقة خطية بسيطة ، تبدأ بالأعيان فالأذهان فالألفاظ فالكتابة ، بحيث تتوقف كل مرتبة على مايسبقها أو يأتي بعدها طردا أو عكسا . ولكنه لم يتحدث مباشرة هنا عن أن "الكتابة" وكذلك "الألفاظ" ، هما أيضا من "الأعيان" التي يحدث لها مثال أو أثر في الذهن أو النفس. بل إن "الأذهان" قد تتخيل شيئا غير موجود فعلا في "الأعيان" كالعنقاء، ومع ذلك تتعامل معه "الأذهان" وكأنه من "الأعيان" ، حيث يظهر في "الألفاظ" ثم في "الكتابة" .

إن العلاقة الحقيقية بين هذه المراتب الأربعة ليست خطية بسيطة ، كما يظهر لنا من عبارة "الغزالي" تلك بكتابه (معيار العلم) ، وهذه العلاقة الخطية البسيطة هي التي يمكن أن نتصورها نحن في (الشكل ١ - التتابع الخطي للمرتبات الأربعة عند الغزالي) . ولكنها بالأحرى علاقة تفاعلية مركبة ، ومن الضروري لتصورها أن نضع مرتكزاتها الأربعة في إطار دائري أو مربع ، كما في (الشكل ٢ - التفاعل التركيبي للكينونات الأربع في نظرية الذاكرة الخارجية).ومن هنا فإني أفضل أن أطلق عليها ونحن نعيد رسم الخريطة الموحدة الشاملة اسم "الكينونات" بدلا من "المراتب" . ذلك أن كل واحد من هذه المرتكزات ، بتأثيره وتأثره تبادليا مع المرتكزات الثلاثة الأخرى ، يصبح بالقوة كينونة كاملة متضمنة للكينونات الثلاثة الأخرى .

والحقيقة أن "موريس" في دراسته يؤكد بصورة مباشرة ، طبيعة العلاقة بين الأبعاد الثلاثة عنده ، حيث اعتبرها ثلاثة جوانب لوظيفة واحدة . بل إننا لو أخذنا بالنسبة للغزالي في كتاب (معيار العلم) ، الفن الثاني أيضا وتقسيماته المتوالية ، لتأكد لنا أنه هو كذلك يدرك ولكن بشكل آخر ، أن العلاقات في رباعيته ليست بتلك البساطة الخطية ، التي تبدو في "القسمة الثالثة" بالفن الأول . ذلك أن الفن الأول بكل تقسيماته يتعلق بالألفاظ ، أما الفن الثاني فقد خصصه للمعاني ، وكل من الفنين بتقسيماتهما مكمل للآخر بطبيعة العلاقة العضوية بين الألفاظ والمعاني .

والآن ، من الممكن أن نبادر باستثمار خريطتنا الإطارية الجديدة ، وقد ظهرت فيها خطوط للطول والعرض اقتبسناهما من "الغزالي" ومن "موريس" لبيان ماتطلعنا إليه قبلا من هدف هذه الدراسة أو أهدافها : فنجمل ذلك فيما يلي :

١- "الأعيان" بمعناها الأوسع وليس بمعناها المحدود في عبارة "الغزالي" ، هي(الموضوعات Subject Matters) لكل العلوم والتخصصات الأكاديمية ، بجميع فئاتها الأربع : الإنسانيات ، والاجتماعيات ، والعلميات ، والتطبيقيات . والموضوع في "الأعيان"



شكل ١ - التتابع الخطي للمرتبات (الكينونات) الأربع عند الغزالي

شكل ٢ - التفاعل التركيبي للكينونات (المرتبات) الأربع في نظرية الذاكرة الخارجية

بالنسبة لأي تخصص أو علم . هو حجر الأساس في هويته الذاتية ، وهو المؤشر الذي لايخطىء لبيان موقعه ، بالخريطة الشاملة لجميع التخصصات.

٢- من المؤكد في ضوء هذا الإطار الرباعي الغزالي ، الذي أعدنا بناءه ليتلاءم مع مفهوم الذاكرة الخارجية ونظريتها ، أن "المعلومات" ليست شيئا ثابتا في شكل واحد ، ولكنها أشبه بالماء الذي قد يظهر في شكل بخار أو سائل أو جليد . ونقطة البداية في المعلومات هي "الأثر" في الذهن أو النفس لما في الأعيان ، ثم "اللفظ" أو مايقوم مقامه من التعبيرات البشرية المباشرة ، ثم تسجيل ذلك على "الوسيط" أو الوعاء الخارجي . ومن الطريف أن اللغة العربية تتحدث عن "الماء" وعن "المعلومات" بمادة لغوية واحدة ثلاثية الحروف وهي (روي) ..! فالفعل في هذه المادة والمشتقات الأخرى كذلك لها معان عدة ، تدور كلها في المفهوم "المادي" للماء ، وفي المفهوم "المعنوي" للفكر .ولنتأمل معا الكلمات العربية، مثل : الراوي ؛ الراوية ؛ الرواية ؛ روى ؛ يروي ، إلخ .

٣- الحالة الأولى للمعلومات هي الأثر المستقر في الذهن أو النفس، وهي التي أطلقت عليها منذ بداية السبعينيات "الذاكرة الداخلية" .والحالة الثانية هي المعلومات النطقية أو التعبيرية البشرية المباشرة . أما الحالة الثالثة فهي "أوعية المعلومات" بمعناها الأوسع الذي يشمل : التسجيل على جميع "الوسائط" بأي نمط ، من "قبل التقليديات" رسما أو تصويرا أو كتابة ، حتى "غير التقليديات" مسموعة أو مرئية أو مكتوبة ، بالليزرة أو بما هو أدنى من تكنولوجيات التسجيل التي سبقتها . وأوعية المعلومات هذه هي "الذاكرة الخارجية" للإنسانية ، إذا كانت "الذاكرة الداخلية" خاصة بكل فرد وحده .

٤- من الطبيعي بالنسبة لكل تخصص أكاديمي له "موضوعه" الذاتي في الأعيان ، أن يكون له وجوده الفكري في الأذهان ، وهو الذي يتم تسجيله في "أوعية المعلومات" . ذلك أن الوجود الفعلي للتخصصات الأكاديمية ، لم يتحقق أبدا إلا بعد خروج هذه الأفكار ، ليس من الأذهان إلى الألفاظ والتعبيرات البشرية المباشرة فقط ، وإنما بتسجيلها وتراكمها المنظم عبر العصور في "أوعية المعلومات" . فجانب "الفكر / المعلومات" بهذا السياق وحده ، هو المؤشر لدرجة النمو والنضج لأي تخصص أكاديمي أو علم ، وبدون هذا الجانب لايظهر للتخصص وجود فعلي ، برغم الوجود المفترض "لموضوعه" في الأعيان .

٥- لأوعية المعلومات أو أوعية الذاكرة الخارجية والمقصود بهما شيء واحد ، جانبان وجوديان لاانفصال لأحدهما عن الآخر : أولهما "الخبرة والمحتوى" وهو العطاء لأصحاب جميع التخصصات . وثانيهما "التصنيع والتوزيع" لتلك الأوعية وهو العطاء لمجموعة من المهن ، في مقدمتها طباعة التقليديات وإنتاج الأوعية غير التقليدية ونشرهما وتوزيعهما ، ولمجموعة معينة من التخصصات الهندسية والاقتصادية والتجارية ، المرتبطة بكل من ذلك التصنيع وهذا التوزيع .

٦- هناك جانب ثالث لأوعية المعلومات لايتعلق به وجودها ، ولكن تأديتها الفعلية لوظيفتها الحقيقية لاتتم إلا به ، وهو "الضبط" لها ولمحتوياتها من أجل "الاسترجاع" لهما أو لأحدهما ، عند الحاجة حسب الطلب "خدمة" للقراء والباحثين . ومن الطبيعي أن يكون لهذا الجانب الثالث بمعناه الشامل مايتولاه ، باعتبار(الموضوع :Subject Matter) الذي يميزه من كل التخصصات ، مع ما يتطلبه ذلك التخصص من المؤسسات الميدانية والمهنية والأكاديمية .وهذا التخصص أيا تكن تسميته، هو الذي تنتمي إليه منشأتنا المصرية وأمثالها بالوطن العربي وبالخارج أيا تكن تسمياتها . وهو أيضا الذي تنتمي إليه آلاف مؤلفة من المؤسسات الميدانية الاستخدامية ، أيا تكن تسمياتها : خزانات ، أو دور كتب ، أو مكتبات ، أو مراكز توثيق ، أو مراكز معلومات ، أو مكاتب أرشيف ، أو دور محفوظات . وهو كذلك الذي تنتمي إليه في الوقت الحاضر بضع مئات من المؤسسات المهنية جمعيات أو اتحادات أو غيرهما .

٧- هنا في ذلك التخصص الذي أوجزنا ماهيته ومؤسساته وموقعه ، نجد نموذجا ثانيا لما تنبه إليه "موريس" في دراسته السابقة ، بشأن الوظيفة المزدوجة لعلم الدلالات ، وقد بادرت قبلا فأشرت إلى وجود هذا النموذج الثاني ، لذلك النمط المتميز الفريد بين التخصصات . ذلك أن العلم أو التخصص الشامل للمكتبات والوثائق ، يؤدي في خريطتنا الشاملة الموحدة لكل أوعية المعلومات ، وظيفتين هما : أ) لعلمائه وباحثيه عطاؤهم الفكري ، المتمثل في شريحة معينة من أوعية المعلومات كغيرهم من أصحاب التخصصات . ب) أوعية المعلومات جميعا لهم ولغيرهم من حيث "الضبط والخدمة" ، هي (الموضوع : Subject Mat-ter)الذي يقوم عليه تخصصهم ، ومن ثم فهو حجر الأساس في هويتهم الذاتية ، والمؤشر الذي لايخطىء لبيان موقعهم بتلك الخريطة . وبهذه الوظيفة الثانية يحق لنا كما حق لموريس من قبل ، أن نصف علم المكتبات والوثائق بأنه (العلم المساند لكل العلوم : Metascience). وقد لايكون في ذلك أي جديد ، فهناك تعريفات واسعة من هذا النمط ، أثرت عن بعض الخبراء في "الببليوجرافيا" وهي قلب هذا العلم ومخه ، من الألمان ومن الفرنسيين منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى أواسط التاسع عشر ، أمثال فريدريك أدولف أيبرت (١٧٩١ - ١٨٣٤) الألماني ، ومعه إتيين جابرييل باينو (١٧٦٧ - ١٨٤٩) الفرنسي . وقد وصلت بعض هذه التعريفات في اتساعها إلى قولهم : إن الببليوجرافيا هي (العلم الشامل : Universal Science) ، وهذا من ناحية الشكل

على الأقل يحقق ماقلناه آنفا : إن التخصص الذي يضبط الإنتاج الفكري لكل التخصصات من أجل إتاحته للاستخدام ، هو نمط فريد متميز في الخريطة الأكاديمية الشاملة .

٨- هناك متغيرات يمكن على أساس أي منها ، تقسيم أوعية المعلومات إلى فئتين متقابلتين أو أكثر ، حيث يكون لكل فئة وظيفتها النوعية المرتبطة بهذا المتغير ، كما نقول مثلا (المنفردات : الدوريات) أو (الأخباريات : العامات : المتخصصات) . بيد أن هناك متغيرا معينا يسبق كل ماسواه وهو الاستخدام الأساسي لأوعية المعلومات ، الذي تنقسم به إلى قطاعين كبيرين ، يختلف كل منهما عن الآخر في وظيفته الأساسية . وهما (المكاتبات والالتزامات) التي يهتم بضبطها واستخدامها قطب "الوثائق" في منشأتنا الأكاديمية ، وأوعية (القراءات والبحوث) التي يهتم بضبطها واستخدامها قطب "المكتبات" في هذه المنشأة

وحدة التخصص في مواجهة الغزاة والمنشقين والمخدوعين

تلك (الأسبق) هي الخريطة الأكاديمية الموحدة بخطوط الطول والعرض المأثورة والطريفة ، وأولئك (السابقات) هن المسلمات الثمانية التي ينبغي أن نضعها في الاعتبار ، ونحن نواجه اليوم قضايا معقدة وتطورات حتمية ، تمر بها منشأتنا الأكاديمية وأمثالها بالوطن العربي والخارج . وطبيعة الأمور حسب تلك الخريطة ومسلماتها ، بالنسبة لتلك المنشأة وللتخصص الذي تقوم عليه ، تبدو في الظاهر على الأقل وكأن طريقها كان واضحا وممهدا للنضج والاستقرار . بل لقد كان المفروض منطقيا مع الوظيفة الثانية لهذا التخصص ، التي تربطه بجميع التخصصات الأخرى في الخريطة ، أن يكون أسبق من غيره إلى ذلك النضج وهذا الاستقرار . ولكن الأمور كما سنرى في الفقرات التاليات سارت وماتزال تسير ، على العكس تماما من ذلك المفروض ، فقد تأخر أكثر من غيره عن الظهور في الساحات الأكاديمية ..! بل إن وحدة التخصص وتكامله الضروريين ، لمرحلة النمو الطبيعي بله النضج والاستقرار ، كانا ومايزالان مهددين بمجموعة من العوامل والمظاهر ، التي صاحبت هذا النمو منذ أواخر القرن الماضي حتى وقتنا الحاضر .

لسنا في هذه الدراسة بصدد التناول للمؤسسات الميدانية ، من دور الحكمة وبيوت العلم ودواوين الإنشاء في الحضارة الإسلامية ، ومما سبقها أو جاء بعدها في الحضارات الأخرى ، وهي المؤسسات التي ينتمي إليها قطبا التخصص من المكتبات والوثائق في جانبهما الميداني . فإن ذلك لايرجع بنا فقط مئات السنين وآلافها ، ولكنه أهم من ذلك يخرج بالدراسة عن المرتكز الذي ارتبطت به منذ البداية ، وهو الجانب الأكاديمي ومعه الجانب المهني ، كما يتمثلان في المدارس المتخصصة لهذين القطبين أو لأحدهما ، وفي التجمعات النقابية والعلمية للمتخصصين فيهما . وليس هناك في الوقت الحاضر من المؤسسات الأكاديمية لهذين القطبين،ماهو أقدم من "مدرسة الوثائق" التي أنشئت عام ١٨١٠ على عهد نابليون في باريس ، ومن مدرسة المكتبات التي دعت لإنشائها الجمعية الأمريكية للمكتبات في مؤتمرها السنوي لعام ١٨٨٣ ، ثم نجح "ديوي" في تنفيذ دعوة الجمعية لأول مرة ، في جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك عام ١٨٨٧، التي احتفلت منذ ثلاثة أعوام بالعيد المئوي الأول لهذا الإنشاء المبكر .

وإذا كانت الممارسات الببليوجرافية قد تتابعت بالمئات والآلاف من قبل، داخل المؤسسات الميدانية وخارجها في الحضارة الإسلامية وماسبقها وماجاء بعدها ، فقد وضعت لها بعض القواعد المتناثرة على أيدي خبرائها الأوربيين منذ القرن السابع عشر . بل إن "مدرسة الوثائق" الفرنسية في باريس لم تلبث إلا قليلا ، حتى كانت بعض مقرراتها الدراسية تتضمن "الببليوجرافيـا" ، في معناها الأوسع الذي كان سائدا عند إنشائها . أما في القرن التاسع عشر بعامة حتى في ألمانيا وفرنسا ، وفي سياق الإنشاء للجمعية الأمريكية للمكتبات عام ١٨٧٦ بخاصة ، فقد أصبح للأعمال الببليوجرافية لأول مرة إطارها المهني المتكامل ، وأسسها الثابتة وقواعدها المفصلة داخل ذلك الإطـار .. ومع ذلك فقد بقي للعمل الببليوجرافي بعامة سحره وإغراءاته ، التي غالبا ما تجتذب بعض الهواة ممن لايعرفون ذلك الإطار ، أو الذين لايريدون أولا يقدرون على الالتزام بمتطلباته المهنية والفنية .

وكان من هؤلاء الذين لايعرفون ذلك الإطار أو لايريدونه ، جماعة (أوتليه / لافونتين) من الهواة ومن بعض العلماء في تخصصاتهم الموضوعية . أما "أوتليه" فمحام شاب من بلجيكا تعلقت نفسه بحصر الإنتاج الفكري ، في مشروع واحد دون أية حدود زمانية ولا مكانية ولانوعية . وأما "لافونتين" الذي انضم إليه في مشروعه الخيالي غير الفني ، فقد كان من رجال السياسة والقانون والطموحات القومية والدوليـة ، حتى إن "ألن كنت" وهو من أتباعهما في القرن العشرين ، وصفه في مقالة له بدائرة المعارف التي أشرف عليها ، بأنه "رجل يصلح لأي عمل في الحياة إلا الببليوجرافيا والتصنيف" . ومع ذلك الافتقاد الكامل للإطار الفني والمهني ، فقد بقيت هذه الجماعة ورائداها هي المصدر المباشر أو غير المباشر ، لقدر كبير من مظاهر الغزو والانشقاق أو الخديعة والحماقة ، بالنسبة للتخصص الذي تقوم عليه منشأتنا وأمثالها في الداخل والخارج ..!

في عام ١٨٩٥ نجح هذان الرائدان وأتباعهما في عقد "المؤتمر الدولي للببليوجرافيا" ، وفي إنشاء مؤسستهم المهنية الأولى باسم "المعهد الدولي للببليوجرافيا" ، لمتابعة العمل في موسوعتهم الببليوجرافية الخيالية .

ومما يؤكد افتقاد هؤلاء الغزاة الأول للإطار المهني الفني ، وكانوا قد جمعوا عددا كبيرا من البطاقات في سياق الاستعداد لعقد المؤتمر ، أنهم توقفوا حائرين بالنسبة للنظام الذي يرتبون به تلك البطاقات في الموسوعة ..! ثم سمعوا أخيرا بنظام للتصنيف موجود بأمريكا وضعه رجل اسمه "ديوي" منذ ١٨٧٦ ، فكتب إليه "أوتليه" يطلب المساعدة بإرسال هذا النظام . وبعث "ديوي" إليه بنسخة من الطبعة الخامسة ، التي كانت أحدث الطبعات في ذلك الوقت ..!

لايدخل في سياقنا الآن معرفة الظروف ولا الأسباب ، التي انتهت بمشروعهم بل وبمعهدهم إلى الفشل الكامل في غضون عقدين اثنين فقط ..! ولكن السياق الذي ينبغي أن نلتزم به في هذه الدراسة حسب مخططها ، هو التتبع لحركات الغزو والانشقاق والخديعة والحماقة ، التي ترتبط مباشرة بجماعة ذلك الغزو الأول وأتباعهم حتى الآن . وكذلك التتبع للحركات التي سارت في المنعرجات نفسها التي سلكوها ، دون أن يكون لها ارتباط مباشر معهم ، برغم أن هناك تأثيرات متبادلة على الجانبين .ومن هنا فإنني أفضل بالنسبة لي سهولة في البيان والإيضاح ، وبالنسبة للقراء والمستمعين وضوحاً في الربط والإدراك ، أن أجمع في خط واحد من التتبع تلك المظاهر المؤسفة ، سواء ما يرتبط بأتباع (أوتليه / لافونتين) أو ما ترتبط بغيرهم ، كما يلي :

١- في العقد الأول من القرن العشرين ، كانت بعض المؤسسات الميدانية للتخصص ولاسيما المكتبات الجامعية والمتخصصة ، تسير بجهود صادقة من العاملين بها الذين تتوفر فيهم المتطلبات المهنية والفنية ، التي وضعتها الجمعية الأمريكية للمكتبات .ولم ينجح (دانا) في حمل الجمعية على تجاوز تلك المتطلبات بالنسبة لهم ، ولاسيما أن أكثرهم كانوا من المتخصصين في موضوعات تلك المكتبات . وكان رد الفعل من جانب هؤلاء الذين أغلقت أبواب المهنة في وجوههم ، هو إنشاء (جمعية المكتبات المتخصصة : SLA) وقد اختاروا لرئاستها هذا الرجل نفسه . ومن الطريف أنه كان من دارسي القانون ، كما اشتغل في حياته بعدة مهن منها المحاماة والإدارة ، قبل أن يستقر نهائيا في مهنة المكتبات . وقد حدث ما يشبه ذلك في مصر أواخر الستينيات ، بعد أن أصرت الجمعية الأم للمكتبات آنذاك ، على رفض العضوية المهنية للعاملين بالمكتبات المدرسية ، ما لم يكونوا يحملون شهادة جامعية في التخصص . ذلك أن هؤلاء المرفوضين نجحوا في إنشاء جمعية خاصة بهم ، باسم " جمعية المكتبات المدرسية " التي كانت مظهراً للانشقاق بمصر ، برغم أن طرفي الانشقاق هنا لم يقدما للمهنة شيئا ذا بال ..!

٢- بعد حوالي عقدين من ذلك الانشقاق الأول في أمريكا ، وكانت "جمعية المكتبات" في بريطانيا توشك أن تحتفل بالعيد الذهبي لإنشائها ، حدث هناك ما يشبه في مظهره على الأقل ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد أنشئت عام ١٩٢٤ (جمعية المكتبات المتخصصة ومكاتب المعلومات :Aslib) .

٣- مع أننا قد نستطيع تفسير ما حدث في بريطانيا ، على أنه انشقاق لايقع إثمه على أحد الطرفين وحده ، فهذا التفسير البسيط ليس كل شيء في حالة (Aslib) ، التي لم يكن أصحابها بعيدين عما حدث في بلجيكا قبل ذلك بعقدين أو ثلاثة . فقد كان هذا الإنشاء أو الانشقاق في بريطانيا ، إحدى الخطوات التمهيدية لتجمع جديد يقوم به الثنائي (أوتليه / لافونتين) نفسه ، بعد حوالي عقدين من بياتهما الشتوي بين الحربين العالميتين . ذلك أنهم قرروا إعادة الإنشاء لمؤسستهم ، مع تغيير كلمتين اثنتين فقط في تسميتها ، فقد أصبحت في الثلاثينيات (اتحادا) دوليا بدلا من (معهد) دولي ، تشجيعا للمؤسسات المحلية على الانضمام إليهم ، وقد أخذت (Aslib)مكانة متميزة في ذلك الاتحاد . أما الكلمة الثانية التي طلعوا على الناس بها عام (١٩٣٧) وكأنها إحدى المعجزات ، فهي شعارهم الثاني (توثيق : Do-cumentation) ، بدلا من شعارهم الأول(ببليوجرافيا) الذي عاشوا تحت لوائه عقدين كاملين على الأقل.

٤- نجح التجمع الجديد لجماعة (أوتليه/ فونتين) ، من خلال أبواق الدعاية وطبولها غير المألوفين بالنسبة للمؤسسات المهنية العريقة ، وقد أطلقوهما قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها ، في اجتذاب عضويات محلية كثيرة أنشئت خصيصا لكي تنضم إلى هذا الاتحاد . وكان من أبرز هذه العضويات المحلية الجديدة ، ما أنشىء في أمريكا عام(١٩٣٧) باسم (المعهد القومي للتوثيق :NID) ، ليصبح هو العضو القومي في الاتحاد على يسار الاطلنطي ، إذا كانت (ASLIB) هي العضو القوي أيضا على يمينه .

٥- ويبدو أن السيكلوجية العامة لأصحاب هذه العضويات المحلية وللاتحاد نفسه ، هي التعلق ليس بتحديد شعارات العمل مع التغييرات التي لا تنتهي في الميدان ، فذلك في ذاته أمر مقبول بل مطلوب . ولكنهم يختارون الشعار ليضعوه في الاسم نفسه لمؤسستهم المهنية ، ثم يتنكرون له وكأنه لبس اسمهم ويضعون غيره في التسمية ، وبعد عقدين أو ثلاثة يحدث للثاني ما حدث للأول ، وفي ذلك ما فيه من أعراض المراهقة وربما الخديعة ..!

في أواخر الستينيات وكانت بعض المؤسسات الميدانية بأمريكا ، كمكتبة الكونجرس والمكتبة القومية الطبية ، قد نجحت في تطويع تكنولوجية الحاسب الإلكتروني لأعمالها الفنية ، سارعت هذه العضوية المحلية الأمريكية بذلك الاتحاد ، إلى اسقاط شعار (التوثيق) الذي

وصف أنذاك بأنه كلمة أوربية قبيحة ٠٠ ! بل إنهم غيروا كل شيء في اسمهم ، ليصبح بكل بساطة (الجمعية الأمريكية لعلم المعلومات : ASIS) ، بعد ثلاثة عقود عاشوها بالاسم السابق (المعهد القومي للتوثيق) .

ومن الجدير بالذكر ، أنهم كانو على وشك الاندماج مع (جمعية المكتبات المتخصصة : SLA) ، قبيل هذا التغيير لاسمهم بشهور قليلة ٠٠! ولعل الاختلاف قد نشأ بينهما ، بسبب " الكلمة " التي يحملها الكيان الاندماجي في تسميته هل تكون " المكتبات المتخصصة" أو "التوثيق " أو ربما "المعلومات " ٠٠! ومن الجدير بالذكر أننا لانجد في دوريات (SLA) و(NID/ ASIS) العلمية ، ولا في مؤتمراتهما السنوية وبرامج تلك المؤتمرات ومطبوعاتها ، أمرا ميدانيا أو أكاديميا أو مهنيا واحدا، لاتتناوله المؤتمرات السنوية والدوريات والمطبوعات الكثيرة التي تقوم بها الجمعية الأم هناك (جام: ALA) ٠٠!

ولكن عليك أيها القارىء في التخصص ، أن تتنبه لظاهرة الازدواج أو التثليث في المصطلحات ، حيث يوجد للمفهوم الواحد في الواقع الميداني مصطلحان وربما أكثر ، في المطبوعات المهنية وفي المحاضرات والمقررات الأكاديمية . ويرجع الفضل بل الإثم في هذه الظاهرة المدمرة للتخصص ، إلى ما يعانيه من غزوات الهواة ومن الانشقاقات والمراهقات والحماقات ، برغم أننا قد لانستطيع إلقاء المسئولية كلها ، على هذا الجانب أو ذاك من أطراف الظاهرة .

٦- كانت المؤسسات الميدانية بعامة حتى الثلاثينيات من القرن العشرين ، لا تعرف من أوعية المعلومات إلا المخطوطات والمطبوعات . ومع أن الأوعية السمعية والبصرية في أنماطها الأولى عرفت في العقود الأخيرة للقرن التاسع عشر ، فإن المؤسسات الميدانية لم تقدم بقدر معقول من الثقة على اقتنائها ، إلا بعد الانتشار الواسع مع التطورات المتتابعة، لهذه الأوعية غير التقليدية قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها حتى الآن.وفي الوقت نفسه كانت أبواق الدعاية وطبولها، لجماعات (أوتليه / لافونتين) بشعارهم الثاني/ الثالث (التوثيق/ المعلومات)، قد أثمرت "مودة " جديدة في تسمية المؤسسات الميدانية ، إذا كانت تضم في مقتنياتها قليلا أو كثيراً من الأوعية غير التقليدية ، فانتشر نمطان جديدان للتسمية هما(مركز التوثيق/مركز المعلومات). ولاشيء على الإطلاق في هذا التجديد التسموي للمؤسسات الميدانية التي عرفت قبلا أنماطا متتابعة من التسميات ، مثل : دار الحكمة ؛ بيت العلم ؛ الخزانة ؛ الخ . ولكن بعض المخدوعين في المؤسسات الأكاديمية للتخصص ، توهم أن وجود هذه التسميات وحده يبرر ظهور تخصص آخر ، يتوهمون أيضا أنه يختلف في جوهره عن التخصص الأم ، فيسمونه تمييزا له وليس تجوزا تخصص التوثيق أو تخصص المعلومات. ويجهلون أو يتجاهلون أن الجوهر الوظيفي لحاملات هذه التسميات الجديدة ، هو الجوهر نفسه لحاملات التسميات العريقة ، التي رفضت ومعها كل الحق أن تغير أسماءها ..!

٧- توهم آخرون من المخدوعين في تخصصنا الأكاديمي ، أن الأوعية غير التقليدية بعامة والأوعية التي يستخدم الحاسب الإلكتروني في انتاجها واستخدامها بخاصة ، هي وحدها الأساس لتخصص أكاديمي جديد، أطلقوا عليه في البداية "تخصص التوثيق" ، ثم طرحوا تلك التسمية واستبدلوا بها "تخصص المعلومات ". وليس هناك من الناحية الوظيفية الجوهرية فرق بين أوعية المعلومات التقليدية وغير التقليدية ، فلكل منهما الجوانب الثلاثة الأساسية ، التي عرفناها قبلا في "مسلمات الخريطة الأكاديمية الموحدة " : الجانبان الوجوديان (الخبرة والمحتوى + التصنيع والتوزيع) ، ثم الجانب الثالث الذي تتوقف عليه ، تأدية الوظيفة الحقيقية لأوعية المعلومات أيا كانت تلك الأوعية ، وهو "الضبط" لها ولمحتوياتها من أجل "الاسترجاع" لهما أو لأحدهما ، عند الحاجة حسب الطلب " خدمة " للقراء والباحثين . وهذا الجانب الثالث هو (الموضوع : SUBJECT MATTER) لتخصص المكتبات والوثائق وأساسيات ذلك "الضبط" وهذا "الاسترجاع" وهذه "الخدمة" هي لافرق فيها بين الأوعية التقليدية وغير التقليدية .

٨- وأخيرا وليس آخرا نصل إلى جماعة من الغزاة هي الأخطر على هذا التخصص المكدود ، أكثر مما مارسه الهواة والعلماء أتراب (أوتليه/ لافونتين) وأتباعهما ، وأبعد مما قام به المنشقون بالمكتبات المتخصصة حينما التفوا حول (دانا) أوائل القرن العشرين . ذلكم هو المهندسون بعامة ، والمرتبطون منهم بتكنولوجية الحاسب الالكتروني بخاصة ، وبعض الأدعياء من غير المهندسين الذين يجيدون "التشغيل" لتلك الحاسبات بصورة أخص . ومع أن السوابق الأولى لهذه الغزوة الثانية ، قد ظهرت مع انتشار الأوعية غير التقليدية قبيل الحرب العالمية الثانية ، فإن خطورتهم قد تفاقمت بعد الاستخدام الناجح . للحاسب الألكتروني في مجالات شتى من الحياة ، أهمها بالنسبة لهذه الخطورة هو (معالجة البيانات أو المعلومات : Data Proccessing).

ذلك أنهم بوعي أو بغير وعي من جماعات (أوتليه / لافونتين) في الوقت الحاضر ، أصبحوا يقصرون شعار"المعلومات" البراق، على ما تؤديه الحاسبات الإلكترونية في هذه الناحية ، حتى إن "تخصص المعلومات" عندهم يعني شيئا واحدا فقط ، هو المعالجة الألكترونية لما يقدم إلى الحاسب من بيانات . ولاشيء في اختيار مصطلح معين لتحديد هذه المعالجة ، ولكن اختيار كلمة "معلومات" بالذات لهذا الغرض ، أصبح من

أسباب البلبلة التي يعانيها بعض الناشئين في تخصصنا ، كما أنه أوقع بعض الحمقى منا في حسابات خاطئة ، بالنسبة لدور الحاسب الألكتروني في هذا التخصص .

والأمر في الحاسب الألكتروني بالنسبة لنا ، كأمره بالنسبة لتخصصات أخرى كثيرة ، يتلخص في أنه آلة تؤدي في مؤسساتنا الميدانية ، واحدة أو أكثر من العمليات في الجوانب التالية :

أ) الجانب الإداري في الميزانية وحساباتها ، والعاملين ومرتباتهم ،إلخ . ولافرق في هذا الجانب بين المكتبة أو دار المحفوظات ، وبين غيرها من المؤسسات في التخصصات الأخرى .

ب) الجوانب الروتينية في أعمال "الضبط" الاقتنائي وتقديم "الخدمة" ، التي يتولى جوانبها الفنية المتخصصون في ذلك الضبط وفي هذه الخدمـة .

ج) الجوانب الروتينية والتصنيعية والتوزيعية ، عند تحويل "المراجع" التي ألفناها مطبوعة كالقواميس ودوائر المعارف والبيليوجرافيات والأدلة ، إلى مراجع محسبة بتكنولوجية المغنطة أو الليزرة. والحقيقة أن الأمر في هذه الجوانب يتطلب قبل دور الألكترونيين في مرحلة الإنتاج ما تتطلبه المراجع المطبوعة : من نسج "المحتوى" ذاته لتلك المراجع ، وهو عطاء العلماء والمتخصصين كل حسب طبيعة المرجع الذي يتم تحويله ، ومن وضع خطة "التنظيم" لذلك النسيج بمداخله الأساسية والإضافية ، وهو عطاء يقوم فيه تخصصنا بالنصيب الأوفى . ومن هنا فإن الموقف بل الموقع أيضا في المؤسسات الميدانية للتخصص ، بالنسبة لأوعية المراجع المحسبة غير التقليدية ، وهو نفسه الموقف بل الموقع أيضا ، بالنسبة لها وهي تقليدية مطبوعة . ففي مكتبة الكونجرس مثلا ، يتعامل متخصصو المراجع مع المطبوع ومع المليزر ، من : قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية ؛ دائرة المعارف الأكاديمية الأمريكية؛ الأدلة البيليوجرافية لكل من شركتي "ويلسون" و "بوكر" ؛ إلخ .

* * * * *

والآن ، بعد رحلة طويلة مع : الخريطة الموحدة للتخصصات الأكاديمية بمسلماتها الثمانية قبلا ، وبعد رحلة أطول مع : المظاهر الثمانية للغزو والانشقاق أو الخديعة مع الحماقة ، التي تواجه التخصص الأكاديمي لمنشآتنا وأمثالها في الداخل والخارج ، لعل بعض القراء أو أحد المستمعين قد يدور في ذهنه ، ما لا أحب أن أسمعه ولا أود أن أتلقاه ....! وهو أن يتساءل قائلا : بعد استطرادين غريبين مع استهلال في الأول واقتباس في الثاني ، وقد ذيلت كل واحد منهما بشرحين مطولين حول هذه المنشأة وأمثالها ، ينبغي أن نسمع منك أو نقرأ عن موقفك أنت من كل ذلك :

أولا - بالنسبة لعلاقة القطبين بهذه المنشأة ، وهما المكتبات والوثائق .. ؛ هل أنت "رجعي" تنادي بالعودة بهما إلى ما كانا عليه منذ أربعين عاما ..! ..؟ أم أنت "تقدمي" تدعو إلى قسم مستقل لكل منهما ..! ..؟ أو ربما تفضل كلية تجمعهما معا وحدهما أو ربما مع غيرهما ..! ..؟ أم أنت من "الحزب الحاكم" الذي لا يبغي أكثر من بقاء الأمر على ما هو عليه حاليا دون أي تغيير ..! ..؟

ثانيا - بالنسبة للقطب الثالث المتمثل في "المعلومات " ..! هل أنت من "اليساريين" المجددين الذين يرفعون رايتها وحدها ..!..؟ أو يرفعونها فوق القطبين الآخرين ..!..؟ أو يرفعونها مع أحدهما دون الآخر..!..؟ أم أنت من "اليمينيين" المحافظين الذين يرفضون حتى كلمة "المعلومات" نفسها ..!..؟ أم أنت من "حزب الوسط" كالماء الصالح للشرب ..! لالون ولا طعم ولارائحة ..!..؟

أما أنني لا أود أن أسمع ذلك ولا أحب أن أتلقاه ، فلأن معناه بالنسبة لي أنني قد بذلت في هذه الدراسة جهداً وأنفقت وقتا ، كنت أتمنى ألا يضيعا هكذا هباء ويذهبا سدى ، دون تحقيق حتى للحد الأدنى من أي دراسة ، وهو أن تكون مفهومة بدقة من قرائها ومستمعيها ، بصرف النظر عن اختلاف الرأي بشأن محتوياتها ..! وأما إذا كان هناك من يصر على التحدي ..! بطرح أمثال تلك الأسئلة علي وعليكم ، فلست أرضى ولن يرضى أحد بإعادة أي شيء ، مما قلته أو كتبته قبلا بهذه الدراسة ..! ولكنني أعزي نفسي وغيري بالانتقال إلى استطراد آخر وأخير ..! فقد يجد فيه المتحدي وغير المتحدي شيئاً من الإجابة أو التسلية أو هما معا ..!..؟

استطراد بل اختتام من الأحزاب الفرنسية ومن ديجول

والآن ..! أصبحنا أمام الاستطراد الثالث والأخير في هذه الدراسة ..! وإذا كان لكل من الاستطرادين قبله وظيفته المقصودة للدراسة ، استهلالا في الأول واقتباسا في الثاني وقد تم أمرهما ، فلهذا الاستطراد كذلك وظيفته الاختتامية المقصودة أيضاً ..! وقد رأيت في هذا الأخير ألا يكون كسابقيه ، من عوالم المعرفة والعلوم ومن رجالهما في القديم والحديث ..! ولكنني ترويحا عن القراء والمستمعين أو موعظة لهم ولنفسي ، بما يجري حولنا من الممارسات الداخلية والخارجية ذات الشأن في حاضرنا ومستقبلنا ، أردته عامدا متعمدا مع سبق الإصرار ، أن يكون من عوالم السياسة والأحزاب لمائتي عام مضت ، ومن أحد أبطالها لأربعة عقود في القرن العشرين ، برغم أنه لم يكن يرى ذلك الرأي في نفسه ..!

يذكرون في تاريخ الثورة الفرنسية أواخر القرن الثامن عشر ، أنها أثمرت فيما أثمرت ، ظهور الأحزاب السياسية (الطبقية) بالمعنى الحديث

..! وقد برزت هذه الظاهرة منذ ذلك التاريخ بقوة ، وعاشت حتى الآن بين المد والجزر على أرض فرنسا نفسها ، حيث تكمن أو تغير لباسها في عهود النظام الشمولي امبراطوريا أو ملكيا ، وتعود إلى الحياة مندفعة في عهود الجمهوريات من قبل "ديجول" ومن بعده . بل إن التقسيم الثلاثي لاتجاهات تلك الأحزاب الفرنسية إبان الثورة ، وهو الذي كان في أصله مجرد تسمية مكانية ، لمواقع الجلوس بمجالس الثورة في وسط القاعة وعلى يمينها وعلى يسارها ، قد أصبح فيما بعد داخل فرنسا وخارجها ، هو "خطة التصنيف" الفكري الأساسي لكل الأحزاب السياسية، بين اليمين والوسط واليسار وفروعها وتفريعاتها .

ذلك أنه كان هناك في بداية الثورة (١٧٨٩) مجلسها الأول ، الذي عرف بالمجلس التأسيسي وقد استمر ثلاث سنوات ، وجاء بعده المجلس التشريعي الذي بقي لعام واحد ، ثم استقر الأمر حوالي ثلاث سنوات لما كان يسمى "مجلس العهد" . وكان هذا الأخير بصفة خاصة يتكون من ٧٥٠ عضواً ، أقليتهم كانت المجموعة المتطرفة جدا المنتمية إلى "جماعة اليعاقبة" ، ويمثلون حزب "المونتانيار" (الجبليون) . وكان يزيد عليهم قليلا في العدد دون ذلك الحد الأعلى من التطرف ، المجموعة الثانية التي تمثل حزب "الجيروند" . أما بقية الأعضاء الذين كانوا يمثلون "وسط" القاعة ، بحكم عددهم الكبير الذي تجاوز في البداية ٥٠٠ عضو ، فقد جرى العرف آنذاك على تسميتهم بحزب "البلين " ومعناها (السهليون) وكان الأمر خلال سنوات هذا المجلس الثالث بيد الجيروندبين أولا ، ثم تغلبت أقلية اليعاقبة برعاية بضعة أشخاص ، كان من أشهرهم "دانتون" ثم " روبسير" .

وهكذا انتقل الأمر من تسمية المكان المادي للجلوس في القاعة ، إلى الموقع النسبي لاتجاه الحزب ومواقف أعضائه بالنسبة للنظام القائم . أما "ديجول" بعد حوالي مائتي عام ، من التغير المستمر في خريطة الأحزاب السياسية بفرنسا ، وتبدل أشخاصهم واتجاهاتهم من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، فإنه غالبا ما كان يوصف من الآخرين بأنه يميني ، برغم أنه لم يكن كذلك دائماً كموقفه من الثورة الجزائرية ، الذي تخلى فيه عن اليمينية الموروثة . وبسبب هذه الشخصية الفريدة اضطرته مجموعة الاتجاهات الحزبية الثلاثة أن يخرج مرتين من ملعبهم الذي لم يعجبه : أولاهما أواخر الأربعينيات بعد عودته منتصرا إلى باريس في نهاية الحرب العالمية الثانية ، وثانيتهما قبيل وفاته بنحو عام واحد ، حينما فضل الاعتزال على الاكتفاء بالأغلبية التي حصل عليها في استفتائه الأخير ، لأنها كانت دون المستوى الذي يريده .

وهكذا كان "ديجول" يرفض بشدة تطبيق هذا التصنيف الثلاثي على دوره في السياسة الفرنسية ..! وقد سأله بهذا الشأن يوما أحدا الصحفيين ، ولم يكن هناك ذلك القدر من الود بينه وبينهم ، وهو الود أو فلنقل النفاق الذي غالبا ما يحرص عليه غيره من الرؤساء ..! فقال له ديجول : إذا كان سؤالك قد بلغ هذا الحد من الحماقة ، فإني أنزه نفسي عن مثل هذه الحماقة في السياسة الفرنسية ..! وأرفض تماما أن أكون يمينياً ..! أو يسارياً ..! أو حتى وسطياً ..! لأن فرنسا التي أعمل لها هي كل هؤلاء ! بل فوق هؤلاء ..!

والآن قد يجد بعض الأتراب والأبناء ، فيما أقول وفيما أكتبه أنا أو غيري ، مؤشرات معينة يضعوننا بسببها في حزب المحافظين اليمينيين للقضايا المتجددة في أمر منشأتنا الأكاديمية وأمثالها ..! ومن المؤكد أن آخرين من هؤلاء وأولئك ، قد يفسرون هذه المؤشرات نفسها أو غيرها ، تفسيراً متفاوتا يعتبروننا بسببه في حزب الوسط المائي ، الذي يتحررمن كل الألوان والطعوم والروائح ..! بل إن عدداً أكثر من الأتراب والأبناء حين يقرءون ما نكتب ويسمعون ما نقول ، قد يجدون ولهم بعض الحق وليس كل الحق ، مؤشرات وتفسيرات أكثر يضموننا بسببها إلى حزب اليساريين التقدميين ..!

وأرى من جانبي أن الميل إلى هذا التصنيف التسطيحي موقف خاطيء ..! ذلك أننا لسنا من رجال السياسة ، ولا ينبغي لنا أن نتأسى بهم في قضايانا ..! فالحياة الأكاديمية بطبيعتها لاتصلح فيها مقاييس اليمين والوسط واليسار ، ولكنها مثل امتحانات السنة التمهيدية للماجستير، تقوم على موقفين لا ثالث لهما : الموقف "المرضي" والموقف "غير المرضي" . وإذا كان لابد من السياسة في الحياة الأكاديمية ، فليس من الضروري أن نكون مثل "اليعاقبة" ولا "الجيروند" ..! ولامثل "السهليين " الذين استسلموا وهم الأغلبية لحماقات الزعماء من قادة حزبي الأقلية ..! ولماذا لانكون في مسئولياتنا الأكاديمية مثل "ديجول " في مذهبه السياسي : إيمان صادق بالقرار الأصلح ، في ضوء الظروف والمتغيرات المحيطة بالقضية .، وسعي إلى تنفيذه دون أي اعتبار لموقعه على هذا المقياس السطحي ، بأي من درجاته الثلاث الأساسية وبما بينها من الفرعيات والتفريعيات ..!

تصنيف العلوم عند فرنسيس بيكون

دراسة في الأصول لتصنيف ملفيل ديوي

أحمد عبد الحليم عطية - آداب القاهرة

مقدمة :

يعتبر البحث في المعرفة والعلوم وماهيتها ومصدرها وطرق الوصول إليها والعلاقات بينها ، وهل يجمعها علم واحد أم هي عدة علوم مختلفة، وفكرة المعرفة الموحدة ، ودور الإنسان فيها ، ووسائله في ذلك ، سواء كان العقل أو الحواس أو الحدس والبصيرة أو أي ملكات أخرى ، من الموضوعات الأساسية التي كانت محور اهتمام الفلاسفة المحدثين ، بحيث أوجدت مجالاً فلسفياً جديداً تحول بمقتضاها البحث الفلسفي من الطبيعة إلى الإنسان أو إلى المعرفة الإنسانية ، من البحث في الكون والوجود الكوزمولوجيا والانطولوجيا إلى البحث في الابستمولوجيا . كما يتضح ذلك لدى الاتجاهات الفلسفية الغربية في القرن السابع عشر لدى الاتجاهات العقلانية ديكارت ومدرسته ، وكما يتضح أيضاً لدى الاتجاهات الحسية التجريبية خاصة لدى بيكون ، ثم تبلورت بعد ذلك لدى إمام الوضعية الفرنسية أو جست كونت ، ووصلت إلى قمتها عند هيجل والهيجليين الجدد .

ويعتبر بيكون علامة بارزة لدى دارسي الفلسفة باعتباره صاحب الفلسفة التجريبية ورائد العلم الحديث ومؤسس المنهج الاستقرائي (١) الحقيقة أن بيكون هو فيلسوف العصر الصناعي كما بين ذلك فارنجتون (٢) وهو عند البعض أبو الفلسفة الحديثة (٣) وهو بالإضافة إلى ذلك - وهو مايهمنا في هذا السياق - يعد نقطة محورية تمثل ماقدمه الفلاسفة من أفكار وتنظيم للمعرفة الإنسانية وتقسيم للعلوم أدت إلى تأسيس التصنيف بما هو علم دقيق ، وعلى ذلك فهو يهم دارسي الوثائق والمكتبات والمعلومات بالقدر نفسه الذي يهتم به باحثو الفلسفة وأصحاب مناهج البحث ، وذلك لدوره الهام في تطور التصنيف وتحوله من تأملات الفلاسفة إلى بحث العلماء ، وانتقاله إلى علم محدد مستقل تماماً له أصوله وطرقه عند ملفيل ديوي (١٨٥١ - ١٩٣١) وغيره من علماء التصنيف المعاصرين .

وتحتاج مناقشة قضية التصنيف عند بيكون إلى كثير من البحث ، خاصة وأن بيان الأساس الفلسفي الذي يقوم عليه تصنيفه سوف يساعدنا كثيراً في فهم تفصيلات هذا التصنيف من جهة وبيان حقيقة علاقته بتصنيف ديوي من جهة ثانية . فقد أثار ماقدمه بيكون كثيراً من الباحثين لبيان حقيقة علاقته بالتصنيفات الحديثة ، وكونه واحداً من أهم مكونات التصنيف العلمي المعاصر . كما تثير مسألة علاقته - اعتماداً على جهود سابقيه - بالقدماء عديداً من التساؤلات ، وتحتاج إلى كثير من البحث .

وفي دراستنا هذه سنتناول جهود الفلاسفة المحدثين في مجال التصنيف بدءاً من بيكون وفلاسفة القرن السابع عشر ، سواء من أصحاب الاتجاهات العقلانية : ديكارت ، لينبتز وهوبز من جهة ، وبيكون من جهة ثانية ، ثم كونت الذي قدم لنا تصنيفاً وضعياً ارتقائياً يهمنا أن نقف عنده وقفة متأنية لبيان حقيقته من جهة ، وارتباطه بتفكيره الفلسفي من جهة ثانية ، وتأثيره على لاحقيه من جهة ثالثة . ثم نصل إلى هيجل ومن تابعوا فلسفته - مثل وليم هاريس - الذين مهدوا للتصنيف العلمي . وسوف نعرض أولاً تصنيف بيكون ، ثم تصنيف أوجست كونت في الجزء الثاني ، وأخيراً تصنيف هيجل وهاريس على التوالي ، حتى ينتهي بحثنا الفلسفي عند نقطة تحول التصنيف من مجال التأملات النظرية إلى التأسيس العلمي الذي تحدد لدى ديوي ، وهو الجانب الذي اضطلع باحثو المكتبات بتغطيته وإيفائه حقه من البحث والدراسة . والحقيقة أن البداية الحديثة لعلم التصنيف تستوقفنا وتجعلنا نتساءل عن مصادر ديوي التي أقام عليها خطته التصنيفية ، وتردنا هذه المصادر بالفعل إلى جهود الفلاسفة الذين أكد البحث العلمي أنهم أساس جهود ديوي .

ويعرض البنهاوي في كتابه "تاريخ التصنيف العلمي للمكتبات" لتاريخ التصنيف العشري لبيان تطوره ، وكذلك لتسليط الضوء على جوانب من حياة صاحبه ، حتى نتعرف على الظروف التي أدت إلى اكتشافه ، ونقف على المؤثرات التي تأثر بها وظهرت واضحة في خطته . يقول تحت عنوان "بمن تأثر ملفيل ديوي ؟" إنه مدين بالكثير إلى ناتالي باتنتزاني ، كذلك يذكر أنه مدين لأنظمة كل من جيكوب شفارتز وخاصة وليم هارس William T. Harris. وقد استطاع هارس أن يقلب خريطة بيكون Bacon في عام ١٨٧٠ وذلك لتنظيم مجموعة مكتبة سانت لويس ... فقد أخذ هاريس أفكار بيكون وقلبها رأساً على عقب . ويعرض لنا ملخص خطط بيكون وهاريس وديوي لتحديد منشأ الخطة الأخيرة (٤) .

ويوضح لنا دياموند E. Diamond أهمية تصنيف بيكون وتأثيره على اللاحقين حين يبين لنا أن أنظمة عديدة للتصنيف تأثرت كلها بنظام بيكون المعروف مثل خطة دلامبر D'Alambert وخطة بيرونيه J. C. Bruint وخطة هورتن H. Horme الخطة الأصلية لمكتبة الكونجرس -

ثلاثة فصول رئيسية تشبه فصول بيكون الثلاثة – وخطة المتحف البريطاني التي بدأت في الظهور حوالي ١٨٣٦ ، وخطة هارس ، وأخيراً خطة التصنيف العشري ١٨٧٦ (٥) ، وإن كانت هناك وجهة نظر أخرى يقدمها لنا ريتشاردسون E.C. Richardson إلا أنها لاتنفي أهمية وقيمة تصنيف بيكون فريتشارد ، ولايلاحظ أي تشابه بين خطتي ديوي وبيكون ، ولكنه يرى أن خطة ديوي مقتبسة بشكل ما من خطة بيكون ، وأنه من العسير أن نتبين العلاقة بينهما (٦) . وهناك باحثون آخرون يرون أن استخدام ديوي لأفكار بيكون هو الذي جعل لبيكون أقوى تأثير في التنظيم الببليوجرافي . وهناك آخرون يرون أن تصنيف ديوي قد تأثر بتصنيف هاريس الذي تأثر بدوره بفلسفة هيجل وليس بأفكار بيكون ، ويستدعينا ذلك تناول تصنيف بيكون للعلوم ، وهذا يقتضي منا أولاً عرض التصنيف لدى فلاسفة العقلانية : ديكارت ولينبتز وهوبز .

أولاً : تصنيف العلوم في عقلانية القرن السابع عشر

١- تصنيف ديكارت

أشار عدد من الباحثين (٧) إلى تصنيف ديكارت الذي قدمه لنا في كتابه "مبادىء الفلسفة" ويتبين لنا فيه الفارق بين الفلسفة القديمة والحديثة ، والميزات التي توجد في فلسفته وفضلها في تقدم المعارف البشرية . إن الفلسفة عند ديكارت – الذي كان يحلم بوحدة المعرفة – واحدة ، لكنها لسهولة التعليم تنقسم إلى عدة أقسام . ويرى ديكارت أن على الإنسان أن يسعى إلى أن يؤلف لنفسه مذهباً أخلاقياً لتنظيم أعماله في الحياة ، وبعد ذلك ينبغي أن يدرس المنطق لكي يستطيع المرء أن يجد العلوم الأخرى التي فيها منفعة له (٨) .

ويقدم لنا ديكارت تصنيفاً للمعرفة يقوم على فكرة الأصل الواحد للعلوم المختلفة من خلال تشبيهه الشهير : "فالفلسفة بأسرها أشبه بشجرة جذورها الميتافيزيقا وجذعها الفيزيقا والفروع التي تخرج من هذا الجذع هي كل العلوم الأخرى إلى أن تنتهي إلى ثلاثة علوم رئيسية هي : الطب والميكانيكا والأخلاق" (٩) . ويتضح من كتاب ديكارت أن التصنيف الذي يقدمه لنا ليس تجريداً نظرياً بقدر ماهو خطة عملية ، من حيث إن المرء – كما يخبرنا ديكارت – لايجني الثمرات من جذور الأشجار ولاجذوعها ، بل من أطراف فروعها ، فكذلك أكبر منفعة للفلسفة تعتمد على أجزائها التي لايستطاع تعلمها إلا في آخر الأمر .

وقد كان ديكارت – أبو الفلسفة الحديثة – فيلسوفاً مذهبياً ، أي يدخل كل جوانب المعرفة في إطار واحد ، "فقد كان تفكيره يدور في إطار المعرفة الموحدة التي تكون فيها الفلسفة والعلم شيئاً واحداً يستخدم فيه منهج واحد ، فهو ينادي بفلسفة واحدة تبدأ بمبادىء ميتافيزيقية ، أي المبادىء الأولى التي كان أرسطو يركز عليها في بحثه "(١٠) .ونجد المنطق نفسه لدى هوبز – الذي تشابه في عقلانيته مع ديكارت – الذي لم يكن لديه تفرقة واضحة بين الفلسفة والعلوم الطبيعية . وكانت الفلسفة الطبيعية هي التعبير العام الذي يشمل في آن واحد مانسميه بالميتافيزيقا ومايسمى بالفيزيقا . فهو في تقسيمه لفروع المعرفة البشرية المختلفة في الفصل التاسع من كتابه "الليفاثان" يرى أن العلم هو المعرفة بالنتائج . وهو مايسمى أيضاً بالفلسفة (١١) . لقد كانت مشكلات الفيزيقا النظرية في كتاباته متداخلة مع مايمكن أن نسميه بالمشكلات الفلسفية الدائمة ، والحق أن هوبز كان بذلك مسايراً لروح العصر التي تميل إلى المذهبية ووحدة المعرفة البشرية ، وخاصة كما ظهرت لدى ديكارت ، فتلك نظرة هوبز الذي يرى أن الفلسفة تشمل كل ضروب المعرفة ، يقول : "ليست الحكمة شيئاً آخر غير مايأتي : المعرفة التامة بحقيقة الموضوعات أياً كان نوعها ، ولايمكن أن تكون نتيجة لمعة ذهنية مفاجئة ، بل من عمل عقل متزن تماماً ، وهذا مانلخصه في كلمة واحدة هي الفلسفة" (١٢) فتصنيف العلوم هو تصنيف الفلسفة .

وإذا كان ديكارت – كما أشرنا – قد شبه الفلسفة في مقدمة "مبادىء الفلسفة" بالشجرة ، فإن هوبز يستخدم التشبيه نفسه . يقول : "علينا الآن أن نُنظر في عدد الأشياء الموجودة التي تدخل ضمن نطاق معرفة العقل البشري والأفرع الكثيرة التي تتفرع إليها شجرة الفلسفة . ومن تنوع المادة تتنوع أسماء الشجرة ، فدراسة الأشكال تسمى بالهندسة ، ودراسة الحركات تسمى الفيزيقا ، ودراسة القانون تسمى الأخلاق ، وجميع هذه الفروع معاً يكون مانسميه الفلسفة" (١٣) . لقد قسم هوبز الفلسفة إلى ثلاثة أقسام هي على التوالي : في الجسم De Corpor ، في الإنسان De Homme ، في المواطن :De Cive أماالقسم الأول فهو يشمل الطبيعة ومابعد الطبيعة والرياضيات ، ويشبه هذا القسم الحكمة أو العلوم النظرية في تصنيف أرسطو ، ويدرس في القسم الثاني سيكولوجيا الإنسان ، ويعالج القسم الثالث مايسميه بالفلسفة المدنية ؛ السياسة والأخلاق ، أي العلوم العملية بمصطلح أرسطو (١٤) .

٢- تصنيف لينبتز

يقدم لينبتز في الباب الرابع من كتابه "أبحاث جديدة في الفهم الإنساني" – الذي يشتمل على ٢١ فصلاً – عدة موضوعات رئيسية يتحدث فيها عن : المعرفة ، ماهيتها ، درجتها ، والوجود وصلته بالمعرفة ، وأخيراً تصنيف العلوم الذي يعرض فيه لمجموعة من التصنيفات ، ينتقد بعضها ويقدم تصنيفاً جديداً للعلوم يقسمها فيه إلى ثلاثة أنواع هي : علوم الطبيعة أو الفلسفة الطبيعية ، الأخلاق أو الفلسفة العملية ، والمنطق أو معرفة العلاقات التي تدل على أفكارنا وتساعدنا في تبادلها مع الآخرين .

ويعترض لينبتز على تصنيف "لوك" الذي يرى أن هذه الفروع الثلاثة تمثل ثلاث ممالك مستقلة منفصلة ومتمايزة عن بعضها البعض . ويرجع اعتراض لينبتز إلى أن تصنيف لوك هو تصنيف القدماء ، وثانياً لما يثيره من صعوبات يذكرها لنا وأهمها :

- أن المنطق كعلم للتفكير والحكم والاختراع يأتي عن علم اشتقاق الكلمات واستخدام اللغات ، والتقسيم الذي قال به لوك يجعلنا نتتبع في العلم الطريقة نفسها التي نتبعها في المعاجم .

- والصعوبة الرئيسية في هذا التصنيف هو أنه يجعل كل علم من العلوم الثلاثة يبتلع العلمين الآخرين ، فالأخلاق والمنطق سيدخلان في مجال علم الطبيعة ، لأن الحديث عن الأذهان أي الجواهر التي لديها فهم وإرادة يجعلنا نتعرض لعلم المنطق والأخلاق . وكذلك الأمر بالنسبة للفلسفة العملية ، أي الأخلاق ، باعتبارها تساعد على تحقيق سعادتنا ، تتطلب علم اللاهوت والسياسة والقانون والطب . وباختصار ستصبح أعمالك الثلاثة في صراع مستمر وحرب دائمة ، مادام كل مملكة منها تعتدي على حقوق الآخرين (١٥) .

ويعرض ثيوفيل - الذي يمثل موقف لينبتز - "في أبحاث جديدة في الفهم البشري" لثلاثة أنظمة للتصنيف : الأول تركيبي ، والثاني تحليلي ، والثالث نظام خاص بالحدود . الأول يرتب الحقائق حسب الأدلة كما يفعل الرياضيون ، بحيث تعتمد كل قضية على ماقبلها . والثاني يبدأ بالخبرات التي تجعل السعادة في القمة ويعدنا بالوسيلة التي تجعلنا نكتسب هذه الخبرات ونتجنب الشرور . والثالث نوع من الفهرست للحدود التي نرتبها ، إما حسب المحمولات التي نعبر عنها أو نرتبها أبجدياً وفق اللغة المعترف بها لدى العلماء ، وهذا الفهرست ضروري للحصول على كل القضايا التي يدخل فيها هذا الحد . ويخبرنا أن مذهبه يرتب الحدود وفق محمولات معينة عامة لكل الأمم أو وفق اللغة المعترف بها لدى العلماء ، إلا أن هذا الفهرس سيكون ضروريا للحصول على كل القضايا التي يدخل فيها الحد بطريقة ملحوظة ، لأنه حسب الطريقتين السابقتين ترتب الحقائق وفق أصلها أو وفق استعمالها ، ولن توجد معاً كل الحقائق التي تخص الحد نفسه . ويرى أنه ينقصنا مثل هذا الفهرس الذي يسهل الاكتشافات ويدفع إلى العلم لأنه سيخفف عن الذاكرة ، ويوفر الجهد الذي يبذل في البحث من جديد عما حصلنا عليه فعلاً . ويلاحظ لينبتز أن هذا التقسيم يتفق مع تقسيم لوك . فالنظام التركيبي يتفق مع علم الطبيعـة ، والنظام التحليلي يتفق مع الأخلاق ، والفهرست الخاص بالحدود يتفق مع المنطق ، لكنه يختلف عن تقسيم لوك في أن هذه المجالات مترابطة وغير منفصلة وغير متميزة كما أراد لوك فهي ترتيبات مختلفة للحقائق نفسها (١٦) .

يشير لينبتز إلى تصنيف آخر (تقسيم مدني للعلوم) وفق الملكات والمهن ويستخدم في الجامعات ، وفي تنظيم المكتبات ويعرض لجهود كل من Draudis Lipenius صاحب Bibliotheaca Classica Biblioth Eacexatica (١٥٧٢ - ١٦٣٥) الذي لم يتبع فيه منهج كل من Gemer و Pandectes المذهبي، وإنما اكتفيا باستخدام التقسيم الكبير للمواد وفق الملكات الأربع كما يسمونها : اللاهوت والتشريع والطب والفلسفة ، ورتبوا في داخل كل مملكة الحدود الرئيسية التي تدخل في تحرير الكتب ترتيباً أبجدياً . ويرى لينبتز أن هذا الجهد لن يخدم كثيراً الآخرين مالم تذكر إشارات العناوين ذات دلالة ، لأنهم يسمون الشيء نفسه بأسماء مختلفة لهذا يصبح التنظيم المذهبي للمواد هو الأفضل ، ويمكن أن نضيف إليه ملاحق أبجدية كاملة حسب الحدود والمؤلفين . وينبه إلى أنه لايجب احتقار التقسيم المدني السائد حسب الملكات الأربع ، فهو يريد للشباب أن يتعلم التاريخ وفن الحديث وبعض أصول اللاهوت والشريعة الطبيعية المستقلة عن القوانين الإلهية والبشرية تحت اسم مابعد الطبيعة أو علم الظواهر الروحية ، الأخلاق والسياسة مع قليل من علم الطبيعة (١٨) .

ثانياً : تصنيف بيكون للعلوم

يضعنا تصنيف بيكون - الذي يعد أكمل التصنيفات الفلسفية في القرن السابع عشر - في بؤرة الفلسفة الحديثة ، حيث تتحدد لديه إشكالياتها وتصاغ لديه معالمها ، فهو مؤسس ورائد في فلسفة العلوم الحديثة التي يتنازعها اتجاهان أساسيان في الفكر الأوروبي ، الاتجاه العقلاني الذي كتبت له الشهرة مع مقدم ديكارت الذي عد أبا الفلسفة الحديثة ، والاتجاه التجريبي لدى بيكون الذي أثبتت الأبحاث أولويته وحقه في ريادة الفلسفة الحديثة ، أو على الأقل حقه في المشاركة في هذه الريادة وتلك الأبوة (١٩) ، ومع هذا فهناك من يؤول بيكون تأويلاً دينياً كنسياً لاهوتياً (٢٠) وممن أصحاب هذا التأويل في رد العلم إلى أصله اللاهوتي عند رائد فلسفة العلم وصاحب المنهج الاستقرائي التجريبي ، بحيث يبدو بيكون صاحب دعوة أو حلم مكتمل تحددت معالمه حتى قبل الشروع في إخراج أي جزء من أجزائه .

لقد انشغل بيكون منذ بداية حياته بإصلاح العلوم ، ويبدو أنه كان لديه منذ زمن مبكر تصور عن مشروعه في مجمله الذي أطلق عليه "الإحياء العظيم" Instruratio Magna وقد وردت خطة هذا المشروع "الإحياء" في مقدمة كتابه "الأورجانون الجديد" Novum Organum الذي يشكل أحد أجزاء الإحياء العظيم (٢١) . وتحتوي هذه الخطة على ستة أقسام ، يهمنا منها هنا القسم الأول الذي يتناول تقسيم أو تصنيف العلوم . والثاني الأورجانون الجديد أو فقرات تتعلق بتفسير الطبيعة

الذي يقدم لنا فيه منهجه التجريبي ، والثالث ظواهر الكون أو التاريخ الطبيعي والتجريبي لتأسيس الفلسفة ، والرابع السلم العقلي ، والخامس تمهيدات للفلسفة الجديدة ، والسادس الفلسفة الجديدة أو العلم الإيجابي وبالرغم من أن الخطة كما تبدو لنا طموحة للغاية إلا أن بيكون لم ينجز منها إلا أجزاء متناثرة ، وماقدمه من هـذه الخطة هو : كتاب "في براعة وتقدم العلوم الإلهية والإنسانية of the proficience and Advancement of hearming Divin and Human ١٦٠٥ الذي نقل إلى اللاتينية مع بعض التعديلات خاصة بفهمه للعلوم وموضوعات وترتيبها . وصدر عام ١٦٢٣ بعنوان "في كرامة العلوم ونموها" . فقد جعل الجزء الثاني من الكتاب في ثمانية أجزاء ، حيث قسم التاريخ إلى : طبيعي ومدني ، وجعل كلاً من التاريخ الأدبي والكنسي فروعاً لهما ، وقد توسع في الفلسفة الطبيعية وقام بعدة تحديدات لعلومها مثل الميكانيكا ، وأضاف بعض الفنون الحسية كالموسيقى والرسم. ويبدو فيما يظهر أن سبب إعادة كتابة "في براعة وتقدم العلوم" باللاتينية يرجع إلى رغبة بيكون في أن يجعل منها مقدمة "للإحياء العظيم" .

"والأورجانون الجديد Novum Organum أو إرشادات تتعلق بتفسير الطبيعة" ١٦٢٠م وللكتاب أهمية في نقد المعرفة السابقة على بيكون ، وفي تأسس المنهج الاستقرائي الجديد .

"كتاب التاريخ الطبيعي والتجريبي لتأسيس الفلسفة أو الظواهر الكلية" الذي صدر عام ١٦٢٢ وفيه أعلن بيكون عن بعض الدراسات التي صدرت بعد ذلك على التوالي :

مجموعة دراسات تمثل الجزء الرابع من خطته التي أشرنا إليها ، مثل دليل المتاهة أو تحقيق شرعي عن الدافع " ، "موضوع عن الضوء والنور" ثم "بحث عن المغناطيسية" ، نشر الأولان عام ١٦٥٣ والأخير ١٦٥٨ .

دراسات الجزء الخامس "تمهيدات أو مداخل للفلسفة الثانية" ١٦٥٣م وهذه الأبحاث هي : "بحث في السماويات" "تأملات في طبيعة الأشياء" و"المد والجزر التجريبيين" .

وآخر أقسام خطته للفلسفة الثانية "آراء ونتائج في تفسير الطبيعة أو العلوم العلمية" وهي جميعها دراسات اعتبرها بيكون أجزاء متناثرة من الإحياء العظيم (٢٢) .

ويهمنا أن نقف عند تصنيف بيكون الذي قدمه لنا في مقدمة مشروعه ليكون مدخلاً للمعرفة العلمية الحديثة في كتابيه : "في براعة وتقدم العلوم الإلهية والإنسانية" ، "في كرامة العلوم ونموها" . فأولى مهام الإحياء العظيم هي تصنيف العلوم الذي قدمها لنا بيكون في الجزء الثاني من"في كرامة العلوم ونموها" De dignitate et augments scien- tiarum والحقيقة أن مهمة بيكون تتجاوز ترتيب العلوم القائمة إلى التعبير عن العلوم التي لم توجد بعد "إن الوقوف عند هذه الغاية وحدها ينزع عن كتاب "في كرامة العلوم ونموها" و "في تقدم العلوم" أهميتها البالغة التي تمضي إلى أبعد من مجرد ترتيب العلوم القائمة والعلوم التي يريد لها بيكوّن أن توجد ، ذلك أن تقدم العلوم على نحو مايعرضه بيكون هو في سمته الظاهرة تراكم كمي ، إنه إضافات كمية في فروع المعرفة القائمة ، وإيجاد علوم أخرى تضاف إلى سائر المعارف البشرية"(٢٣) .

ويرى بيكون أن العلم إما أن يكون طبيعياً أو دينياً . وللعلم الطبيعي ثلاثة أقسام بحسب قوى الفهم ، أي قوى النفس المدركة ، وهذه العلوم كما يذكرها لنا في عدد من الدراسات هي : التاريخ علم الذاكرة ، الشعر علم المخيلة ، والفلسفة علم العقل ، ويظهر ذلك أيضاً في دراسته "وصف العالم العقلي" ١٦٠٠م وقد كتبها بيكون بين "براعة وتقدم العلوم" "وكرامة العلوم ونموها" .

ويمكن أن نعرض لتقسيم بيكون للمعرفة الإنسانية على النحو التالي: هناك ثلاثة أقسام رئيسية أو ثلاث مجموعات كبرى هي : التاريخ والشعر والفلسفة . (٢٤)

أولاً التاريخ : وينقسم إلى أربعة أقسام أساسية هي : التاريخ الطبيعي والمدني والكنسي والأدبي ، الثلاثة الأولى موجودة بالفعل ، بينما الرابع لم يوجد بعد . ويتغير هذا التقسيم للتاريخ الذي قدمه في براعة وتقدم العلوم ١٦٠٥م في كتاب "في كرامة العلوم" ١٦٢٣م حيث ينقسم التاريخ إلى : تاريخ طبيعي خاص بالطبيعة ، ومدني خاص بالإنسان ، ثم يجيء القسمان الأدبي والكنسي كأقسام منفصلة من التاريخ المدني . ويمكن أن نفصل ذلك كالآتي :

١- **التاريخ الطبيعي** ، وينقسم بدوره إلى ثلاثة أنواع : الطبيعة من حيث هي معطى واقعي ، الطبيعة باعتبارها في صيرورة وتغير الطبيعة المعدلة أو المضبوطة ، أي تاريخ المخلوقات أو النشوء ، وفيه وصف الظواهر السماوية والأرضية ، وتاريخ الأعاجيب أو المسوخ ، وتاريخ الفنون . الأول موجود بالفعل وإن كان على نحو غير مكتمل . والنوعان الثاني والثالث ناقصان أو لم يوجدا بعد .

٢- **التاريخ المدني** ، وهو ينقسم بحسب الوثائق المستخدمة فيه إلى ثلاثة أقسام :(٢٥)

- المذكرات ، وتكون التاريخ غير التام ، أي المسودات الأولى للتاريخ .
- ثم العاديات ، وتكون التاريخ المطموس أي بعض آثار التاريخ التي بقيت لنا .
- التاريخ التام ، القسم الأول ، أي المذكرات ، وهي من نوعين : التراجم

الشخصية والسجلات ، وهي مجموعة القوانين والمكاتبات الرسمية . والقسم الثاني أي العاديات ومنها يستطيع الشخص المدقق أن يكتشف شيئاً في غمرة الزمن ، والقسم الثالث ، أي التاريخ ، ينقسم حسب موضوعه إلى ثلاثة أنواع هي : مايعرض للأحداث حسب تسلسلها الزمني ، مايعرض لحياة الأشخاص ، ومايروي حدثاً من أحداث التاريخ هذا التقسيم الثلاثي للتاريخ المـدني ينسحب بالمثل على التاريخ الكنسي .

٣- **التاريخ الكنسي** ، وهو ينقسم إلى : تاريخ الكنيسة بصفة عامة ، وتاريخ النبوات وتاريخ العناية الإلهية .

٤- **التاريخ الأدبي** ، ويشمل الخطب والرسائل والحكم المأثورة . وكل من هذه الأقسام متعدد الأنواع والصيغ . ويرى بيكون أن الرسائل هي أفضل هذه الأنواع لأنها أكثرها صدقاً .

ويرى بيكون أن التسجيل العلمي الصحيح للتاريخ هو الأساس الصلب لدائرة معارف الظواهر الطبيعية . وقد وضع بيكون قائمة بالمعلومات الخاصة تضم مائة وثلاثين موضوعاً مختلفاً كبداية لهذه الدائرة أو أسماها "دليل عناوين الموضوعات التاريخية" . وخصص الأقسام الأربعين الأولى منها للظواهر الخارجية والأقسام الثمانية عشرة التالية للإنسان ، والأقسام الباقية اثنـان وسبعون قسماً ، تناول فيه سلوك الإنسان في الطبيعة والصناعة والعمل (٢٦) . وبالنسبة للتاريخ المدني أو الإنساني قد يكون رئيسياً أو إنتاجياً أو شخصياً ، ويرجع ذلك إلى الوثائق والوقائع التي لم يتم تدوينها .

القسم الثاني من العلوم هو الشعر . وهو يرجع إلى المخيلة التي من شأنها أن تربط بين ماتفصله الطبيعة وتفصل بين ماتربطه الطبيعة . والشعر يؤخذ بمعنيين من حيث الشكل أي الكلمات ، ومن حيث الموضوع أي المادة . والثاني هو مايشكل جزءاً هاماً من العلم . وهو ليس إلا تاريخاً غير حقيقي يمكن صياغته نثراً أو نظماً . والشعر يمنح ظلاً من الإقناع العقلي للإنسان في الأمور التي لاتجد الصدى المناسب لها من الطبيعة ، إذ إن نظرته للطبيعة تصدر عن النفس بما تتميز به من انطلاق لايتقيد بحدود الأشياء المادية ، وإذا كان التاريخ يقدم عرضاً للعصور والأحداث كما وقعت ودون إضافات مبتعداً عن التضحيات والبطولات التي صنعت هذه الأحداث ، فالشعر يقدم هذه البطولات بصورة يمتزج فيها الخيال بالواقع ، فهو يعرض الأشياء كما يريدها العقل وتتمناها النفس دون أن يقدم أسباباً أو تبريراً لذلك . والشعر بناء على ذلك قد يكون قصصياً تفيد منه الفلسفة الطبيعية ، أو رمزياً تفيد منه الفلسفة السياسية ، أو تمثيلياً تفيد منه الفلسفة الأخلاقية .

ينقسم الشعر إذن إلى : قصصي وتمثيلي ورمزي (٢٧) القصصي هو مجرد تقليد للتاريخ يتسم بالمبالغة ، والشعر التمثيلي هو بمثابة تاريخ مرئي ، أما الرمزي فهو أساطير وحكايات تستخدم فقط للتعبير عن غرض أو تصور معين ، ولكن هناك نوع آخر من هذا الشعر الرمزي يأتي بعكس السابق . إذ تكون غايته التعمية لا الإفصاح مثلما يكون الأمر في الأساطير التي تتضمن أسرار الدين أو السياسة أو الفلسفة . إن الغاية من الشعر عند بيكون هي الإعداد لتفسير الطبيعة والفلسفة الطبيعية .

القسم الثالث في التصنيف هو الفلسفة . وينقسم إلى ثلاثة أقسام هي : الفلسفة الإلهية أو (اللاهوت الطبيعي) ، ثم الفلسفة الطبيعية ، والفلسفة الإنسانية ، وتتناول على التوالي : الله ، والطبيعة، والإنسان وهو التصورات السائدة والموضوعات الأساسية للفلسفة ومحاورها الثلاثة . إن المعرفة الإنسانية تشبه الماء ، بعضها ينزل من أعلى والآخر ينبثق من أسفل ، الأولى يبثها الوحي الإلهي ، والثانية تعكس أضواء الطبيعة ، ولذا فالمعرفة قد تكون دينية أو تكون فلسفية، أي أنها إما أن تتعلق بالله أو بأمور الطبيعة أو تنعكس من الإنسان نفسه . فالفلسفة إما دينية أو طبيعية أو إنسانية ، وهذه المجالات الثلاثة بالرغم من تعددها وتمايزها لاتحتمل خطوطاً متوازية لايمكن أن تلتقي عند نقطة واحدة ، بل هي أشبه بشجرة تنبت من بذرة واحدة وتتفرع إلى جهات متعددة . وتقسيم بيكون للمعرفة لايتفق فقط مع تصور ديكارت لها باعتبارها شجرة ، بل إن بيكون في هذا التقسيم لايفترق عن أرسطو الذي قسم الفلسفة إلى الإلهيات أو الفلسفة الأولى ، والطبيعة ، والأخلاق ، وبيكون يعترف بهذا ، وبالرغم من هذا التشابه الذي يتضح لنا بين تقسيم بيكون والمعرفة التقليدية إلا أن هذا التقسيم يجيء بروح مختلفة (٢٨) .

إن بيكون يقدم لأقسام الفلسفة الثلاثة بما أسماه "الفلسفة الأولى" واعتبره الجذع المشترك للعلوم الثلاثة عن الله والطبيعة والإنسان ، وهي العلوم التي اعتبرها فروعاً لشجرة واحدة هي شجرة المعرفة . وعلى الرغم من أن تشبيه المعرفة بالشجرة نجده لدى ديكارت وهوبز ، إلا أن هناك من يرجع ذلك إلى مصدر ديني ، فالبعض يرى أن هذا التشبيه ، تشبيه المعرفة بالشجرة ، مأخوذ من سفر التكوين ، وينطوي على تأكيد تأثر بيكون ببعض معاني الكتاب المقدس (٢٩) .

وبالمقابل لانجد من يرجع هذا التصنيف إلى الكتاب المقدس الذي كان منهج بيكون وفلسفته ثورة عليه ، وإن جاز أن نعتبر فلسفة ديكارت فلسفة دينية ، فإن الموقف معقد تماماً بالنسبة لبيكون الذي كان مؤسس المنهج العلمي المعاصر ، وتصنيف العلوم عند بيكون ومنهجه التجريبي يرجعه البعض إلى الفلاسفة العرب وترجمات كتبهم إلى اللاتينية ، حيث

يشير علماء المكتبات إلى أدلة تأثر بيكون بالفلاسفة والعلماء العرب (٣٠) ويشير أستاذنا عثمان أمين إلى احتمال تأثير بيكون بإحصاء العلوم للفارابي (٣١) . وكذلك نجد الترجيح نفسه عند أحمد زكي باشا في موسوعات العلوم العربية (٣٢) .

وإذا حللنا تشبيه المعرفة بالشجرة عند بيكون فإننا نجده يختلف عن التشبيه نفسه عند ديكارت . فعند ديكارت الفلسفة بأسرها أشبه بشجرة جذورها الميتافيزيقا وجذعها الفيزيقا والفروع التي تخرج من هذا الجذع هي كل العلوم الأخرى التي تنتهي إلى ثلاثة علوم رئيسية هي : الطب والميكانيكا والأخلاق . وعلى هذا فأساس تصنيف ديكارت هو في الجذور التي لاتراها العين بل يدركها العقل وحده (الميتافيزيقا) التي تبدأ بالنفس ، ومنها إلى الله ، ثم تعود إلى العالم . أما في فلسفة بيكون فإن العقل يبدأ بمعرفة الطبيعة ، وهي مجال معرفـــة وعمل ظاهر للناس جميعاً ، ثم يستعين بهذه المعرفة ليرتقي إلى معرفة ذاته ثم يتطلع من هذه إلى معرفة الله مما يعني أن تصور بيكون لشجرة المعرفة ينطبق على تصوره لمراحل الفلسفة (٣٣) .

١- أما فيما يتعلق بموضوع الفلسفة فهو المبادىء الأولية والمعارف العامة، وهي التي تنطبق من ثم على الأشياء الإلهية والطبيعية والإنسانية على السواء ، ثم يأتي بعد الفلسفة الأولى أقسام الفلسفة الثلاثة : أولها الفلسفة الإلهية أو (اللاهوت الطبيعي) وأهم مايجب الإشارة إليه هو تمييز بيكون بين هذا القسم ، بين الفلسفة وبين قسم آخر من المعرفة الإنسانية يسميه الألوهية (اللاهوت) فهذا القسم يتسم بالقداسة ، ومصدره الوحي الإلهي ، وطريقه الإيمان ، ويقوم على كلمة الله .

٢- وتأتي بعد ذلك الفلسفة الطبيعية - التي يتضح فيها إسهام بيكون الحقيقي - وتنقسم إلى تأملية تبحث في العلل ، وعملية تحدث المعلومات . التأملية تنقسم إلى الطبيعية الخاصة ، أي علم العلل الفاعلية والعلل المادية ، وإلى الميتافيزيقا أي علم العلل الصورية ، والعلل الغائية ، فهو علم جديد يسعى بيكون لإيجاده وهو الميتافيزيقا التي تربط بالبحث في الطبيعة ، والطبيعة الخاصة تقع في مرحلة وسطى بين التاريخ الطبيعي والميتافيزيقا ، فالتاريخ الطبيعي يصف تنوع الأشياء ، وتصف الطبيعة عللها الخاصة المتغيرة ، ويصف الميتافيزيقا التي تمثل عللها الثابتة الدائمة . وتشمل الطبيعة الخاصة ثلاثة أقسام : اثنان منها يتعلقان بالطبيعة المترابطة ، والثالث ينظر في الطبيعة المتسعة الظاهرة .

وعلى ذلك يمكن القول إن للفلسفة الطبيعية جانبين : الأول يستخلص العلل ، والثاني يصل إلى النتائج . الأول نظري والثاني عملي، والعلاقة بينهما علاقة وثيقة ، فهما يمثلان المجال المزدوج للفلسفة الطبيعية ، إذ إن أحدهما صاعد من التجارب إلى الأسباب ، وهابط من الأسباب إلى تجارب أخرى (٣٤) ومن هنا يعود تقسيم بيكون للعلم الطبيعي أو النظري إلى علم الظواهر المادية أو "العلم الطبيعي" وعلم ماوراء الظواهر المادية أو علم مابعد الطبيعة أو "الفيزيقا" . والميتافيزيقا" الأول يتناول المواد والعلل الفاعلة ، والثاني يتناول الصور والعلل الغائية (٣٥) وبهذا يربط بيكون - بلغة العصر - بين العلم والفلسفة ، حيث تصبح الفلسفة الطبيعية بهذا الفهم هي المجال الصحيح للمعرفة الموثوق بها ، فهي تعود إلى جزئيات العلم - الجانب العملي منها - كما أن العلوم تؤكد الحاجة إلى الفلسفة الطبيعية فالبحث في مجالات هذه العلوم يحتاج إلى تجارب عديدة ومحاولات مستمرة للوصول إلى المعاني الحقيقية ، فالفلسفة الطبيعية هي جذور العلوم وأساس المعرفة ، وفروع المعرفة لاتزدهر إلا حين تتأسس على هذه الجذور . والميتافيزيقا عند بيكون تقوم على قاعدتين : الأولى أن جميع أنواع المعرفة يجب أن تعبر عن مجال التجربة لتصبح حقيقة محددة ومجردة ، والثانية إمكان الربط بين معاني العلوم وتصوراتها المختلفة . (٣٦)

٣- أما القسم الثالث من الفلسفة فهو علم الإنسان . ويضم العلوم البسيطة والخاصة ، علوم العلاقات الاجتماعية والسياسية التي تتناول السلوك والعمل والسياسة . والعلوم البسيطة منها مايتناول الجسم كالطب والتجميل والرياضة وفنون المتعة ، ومنها مايتناول العقل ، وعلوم العقل تشمل مايتناول الروح وما يرتبط بالقدرات أو القوى التي هي قدرات عقلية وقدرات إدارية أو أخلاقية . وإذا كان فيلسوفنا يقسم العلوم هنا حسب القوى الإنسانية ، فيكون لنا علمان : علم القوى العقلية وهو المنطق ، وعلم القوى الأخلاقية وهو الأخلاق أو علم الإرادة .

أما المنطق فهو وصف الخطوات الطبيعية للعلم ، وهو ينقسم بحسب الهدف الذي تنتهي عنده كل خطوة إلى أربعة أقسام هي :

- الوصول إلى اكتشاف الحقائق وذلك لايتم إلا بالتجربة المدونة والاستقراء ، الموضوع الخاص للأورجانون الجديد .
- الحكم على الحقائق المفترضة وأداته الأساسية القياس الأرسطي ، وله وظيفة محددة محدودة هي رد الحقائق المفترضة إلى مبادىء كلية .
- استبقاء العلوم وحفظها إما في الذاكرة أو بطريق التدوين والتسجيل
- توصيل المعارف والعلوم إلى الآخرين ، وله أدواته ومناهجه وأساليبه البيانية (٣٨) .

- أما الأخلاق عند بيكون فهي أيضاً تختلف عن أخلاق القدماء ، إن الأخلاق كالعلم عملية أكثر منها تأملية ، ويمكن القول إنه يؤثر نموذج مكيافيلي - وقد كانت حياته تعبيرا عن هذا النموذج - عن الطاغية

المحب للقوة ذاتها على نموذج الحكيم الرواقي بفضيلته الخاملة (٣٨) .

- وأخيراً يختتم علم الإنسان بإقامة علم العلاقات الاجتماعية والسياسية، وهو علم ينقسم إلى ثلاثة أقسام تقابل أعمال المجتمع الثلاثة : "السلوك لتقديم العون وتوفير الرفاهية ، والعمل لتوفير الفائدة و "الحكومة" لتوفير الحماية . وإذا كانت الحكومة تمارس سيادتها على نحو لاينبغي أن يدركه الشعب فإن على الحكام ومن يعاونهم أن يكونوا على بينة ومعرفة تفصيلية بأمور الشعب .

- وينهي بيكون حديثه عن الفلسفة الإنسانية ببيان أهميـــة علم أصول اللغة وقواعد النحو والصرف بوصفها أداة التعبير عن العلوم (٣٩)

٤- الرياضية : لم يدرج بيكون الرياضية ضمن الأقسام الرئيسية للعلوم إذ اعتبرها عاملاً مساعداً للعلوم الطبيعية والميتافيزيقية . وهذه النظرة ليست غضاً من شأنها ، بل هي ضمان لعدم سيطرتها على الفلسفة الطبيعية - كما حدث مع فيثاغورس - ولتنقية الفيزياء من التصورات الرياضية وعدم الإفراط في التجريد من جهة والخوف مما ألحقه المنهج الاستنباطي عن طريق القياس من إضرار بالعلم من جهة أخرى ، والابتعاد بذلك عن كل مايثير شبهة الاستنباط . وبهذه النظرة أدرك بيكون قيمة الصيغ الرياضية وأهميتها في التعبير عن قوانين العلم الطبيعي (٤٠) .

وإذا كان تصنيف العلوم كما أوضحنا في البداية هو المرحلة الأولى نحو الإحياء العظيم Instauratio Magna فمن خلاله يتم تحديد المجال الذي يجب أن يتجه إليه البحث وهو الفلسفة الطبيعية التي يتركز فيها الأمل في التقدم ، ويمكن أن نشير - قبل بيـان أثر هذا التصنيـف في مجال التصنيف العالمي - إلى عـدة ملاحظات على هـذا التصنيـف (٤١) .

- إن العلوم الثلاثة الرئيسية التي حددها لنا بيكون : التاريخ ، الشعر الفلسفة ، ليست في نهاية الأمر سوى مراحل متتالية يجتازها العقل في تكوين العلوم ، فالأول هو تجميع للوثائق ومافيها من مواد ، والثاني (الشعر) أول استعمال وتنظيم لها ، والفلسفة في النهاية هي التركيب أو البناء العقلي القوي . وقد تبدت هذه المراحل متتابعة بهذا الشكل لبيكون لأن اهتمامه كما هو معروف كان منصباً على علم الطبيعة ، ففي إطار تفكيره هذا يأتي التاريخ ثم الشعر فالفلسفة ، من حيث أن أهم موضوعات الفلسفة هي الطبيعة أو الفلسفة الطبيعية ، أما بقية العلوم التي تناولها "في كرامة العلوم ونموها" فتأتي في تقسيمات عديدة تتفرع من هذه العلوم الثلاثة . ويلاحظ أيضاً أن موضوع هذه العلوم عند بيكون هي الجزئيات وليس الكليات ، كما يلاحظ أن هذا التقسيم لعلوم المعرفة البشرية ينسحب بالمثل على المعرفة الدينية أو اللاهوت ، لأن عقل الإنسان واحد بالرغم من اختلاف الوحي عن الحس .

ويمكن أن نصف هذا التصنيف بالخصائص الآتية :

يتصف جهد بيكون بأنه جهد معرفي ابستمولوجي يعالج العلوم على أساس من القوى الإدراكية في الإنسان : الذاكرة ، المخيلة والعقل ، فهو تصنيف ذاتي سيكولوجي يعتمد على القوى والإدراكات الذاتية أكثر من الوقائع الموضوعية المادية ، وإن كان هذا الجانب الموضوعي ربما يظهـر في تصنيف مجالات الفلسفة .

كما يظهر في هذا التصنيف - الذي هو جزء من فلسفته التجريبية ليس منفصلاً عنها وليس قائماً بذاته - بأنه أغرق نفسه في التفاصيل الجزئية ولم يقدم لنا أسساً عامة إجرائية يقوم عليها التصنيف .

وبالرغم من سيادة الفلسفة في تصنيف بيكون - وليس الإنتاج الببليوجرافي الفعلي للكتب والمؤلفات المختلفة في مجالات المعرفة التي يتناولها ، بحيث يمكن القول إنه قدم خطة تصنيفية تقوم على تحديد أولي قبلي للمعارف أو أساس ابستمولوجي - فإن جهد بيكون وخطته التصنيفية وتقسيمه للعلوم كان موضوع دراسة وبحث متعمق لكونه أساساً لكثير من التصنيفات اللاحقة له التي حولت التصنيف إلى علم مستقل .

ويشير المستشرق الفرنسي لويس ماسينون إلى مسألة ترتيب العلوم التي قدمها في المحاضرة الثانية والثلاثين من محاضراته في الجامعة الأهلية في مصر عن تاريخ المصطلحات الفلسفية إلى ترتيب بيكون للعلوم ، ويرى أن هذا الترتيب مقبول من دالامبير وأصحاب دائرة المعارف الفرنسية (٤٢) . وكذلك بول موي الذي يحدثنا في الفصل الرابع من كتابه المنطق ،فلسفة العلوم عن "تصنيف العلوم" حيث يرى ضرورة وجود تصنيف أياً كان ، فميزة التنصنيف أنه يضفي دقة على المصطلحات الفنية في العلوم . ويتحدث عن تصنيف بيكون الذي يقوم على التفرقة بين ملكات ثلاث ، ثم عن تصنيف أصحاب دائرة المعارف وهو تصنيف ديدرو ، "وهذا التصنيف شبيه من حيث المبدأ بتصنيف بيكون" . ويوجه النقد إلى هذين التصنيفين (٤٣) . ويتحدث أبوريان في الفلسفة ومباحثها عن تصنيف العلوم ، ويبين تحول التصنيفات عند المحدثين إلى الناحية التجريبية الوضعية ويبدأ ببيكون (٤٤) .

لقد ظل تصنيف بيكون النموذج الذي يحتذى به ويتبناه المكتبيون والباحثون طويلاً حتى نهاية القرن التاسع عشر ، ويرى أنه ظل متبنياً حتى العصر الحاضر . وكان ذلك ملحوظاً في انجلترا وفرنسا وإيطاليا . وفي الولايات المتحدة تبنى جيفرسون خطة بيكون لتنظيم مكتبته الخاصة وعندما باع للحكومة مكتبته بعد حرب ١٨١٢ كان تصنيفه المبني على تصنيف بيكون هو أساس خطة تصنيف مكتبة الكونجرس الأمريكية ،

وظل مستخدماً حتى بعد ١٩٠٠ بقليل (٤٥) والحقيقة أن كل هذه التأثيرات التاريخية التي مارسها تصنيف بيكون طوال القرون الثلاثة الماضية لن تكتمل إلا ببيان العلاقة بين هذا التصنيف والصورة المكتملة التي قدمها ملفيل ديوي . حيث يوضح لنا كل من : دياموند E. Diamond وشيرا J. Shera - رائد علم المكتبات الأمريكي المعاصر - تأثر خطة ديوي بتصنيف بيكون (٤٦) ولم ينفِ ريتشاردسون E.C. Richardson أهمية تصنيف بيكون وإن كان لايستطيع بيان أوجه الاتفاق بينه وبين تصنيف ديوي . يرى شيرا أن ديوي قد استخدم تعديلاً "بيكونياً مقلوباً" لخطة تصنيف وليم هارس وذلك لوضع التصنيف العشري ، ويرى البعض أن هذا الاستخدام من قبل ديوي لأفكار بيكون هو الذي جعل لبيكون أقوى تأثير في التنظيم البيليوجرافي . حيث إن تبني المعهد الدولي للبيليوجرافيا لنموذج تصنيف ديوي لوضع "التصنيف العشري العالمي" قد أعطى لبيكون تأثيراً متصلاً . وبصرف النظر عما إذا كان تأثير بيكون تأثيراً مباشراً عبر تعديل وليم هاريس أم أن التأثير كان ذا مصادر أخرى ، فإن البحث في أهمية تصنيف بيكون لم يتوقف ، حتى عند من ينكرون تأثير بيكون المباشر في ديوي . حيث يرى البعض أن وليم هاريس هو الخطوة قبل الأخيرة في التصنيف العام ، حيث استند إليه أبو التصنيف العشري ، ويختلف هذا البعض في مصادر هاريس هل هو بيكون أم هيجل . فقد أوضح "لايدكر" Leidecker أن الأقسام الموضوعية لتصنيف ديوي العشري مستمدة بالفعل من تصنيف وليم هاريس الذي وضعه لمكتبة سانت لويس المدرسية ، واشتد الجدل حول مصادر هاريس المعروف بهيجليته الذي أكد الحاجة إلى ضرورة اعتماد التصنيف على أساس فلسفي ، والحق أنه لم يذكر هيجل ، بل ركز على تصنيف بيكون وناقش مسألة صلاحيته لتصنيف الكتب . وأكمل جرازيانو Graziano في دراسته "فلسفة هيجل باعتبارها أساساً لقائمة تصنيف ديوي" البحث في المصادر موضحاً الأساس الهيجلي لتصنيف ديوي (٤٧) ، وهذا موضوع دراسة أخرى تتعرج على الجهود الفلسفية في مجال التصنيف وتمهد له بالتصنيف الوضعي الذي قدمه أوجست كونت .

الهوامش

١- راجع كتب فلسفة العلم ومناهج البحث خاصة :

- محمد زيدان : الاستقراء والمنهج العلمي ، مؤسسة شباب الجامعات الإسكندرية ١٩٦٠ .
- السرياقوسي : التعريف بمناهج العلوم ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٨٦ .
- علي عبدالمعطي : رؤية معاصرة في علم المناهج ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٤ .

2- Farrington, B.: Francis Bacon Philsopher of Industridl Science, Lawrence and Wishart, London,1951.

٣- قيس هادي : نظرية العلم عند بيكون ، ط٢ ، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٦ .

٤- محمد أمين البنهاوي : التصنيف العلمي للمكتبات ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨١ ، ط٢ ، ص ١٥

٥- المرجع السابق نفسه

٦- المرجع نفسه

٧- راجع تصنيف ديكارت في كتابه مبادىء الفلسفة ، ترجمة عثمان أمين ، ط١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ص ١٤/١٣ . وراجع كلاً من : أحمد عبدالحليم عطية : الأسس الفلسفية لتصنيف العلوم . مجلة المكتبات والمعلومات العربية ، العدد الرابع السنة الرابعة أكتوبر ١٩٨٤ ص ٤٤ ومابعدها . ماسينيون : مسألة ترتيب العلوم ، "تاريخ المصطلحات الفلسفية في الجامعة الأهلية" ص ٨٠ . محمد علي أبوريان: الفلسفة ومباحثها تصنيف العلوم ، ص ١٠٥ - ١٣١

٨- ديكارت : مبادىء الفلسفة ، ترجمة عثمان أمين ص ٦٩ - ٧٠ .

٩- المرجع السابق ص ٧٢ .

١٠- فؤاد زكريا : شجرة المعرفة عند ديكارت ، مجلة كلية الآداب والتربية جامعة الكويت العدد ١٢ ديسمبر ١٩٧٧ ص ٨٣

١١- إمام عبدالفتاح إمام : توماس هوبز فيلسوف العقلانية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٥ ص ٨٣ . نقلاً عن هوبز : المؤلفات الكاملة طبعة فونتانا المجلد الثالث ص ٧٢ .

١٢- الموضع السابق نفسه نقلاً من Hobbes: Man & Citizen PP. 90-91 Ed. by Bernard Gert and English Works Vol. 2, P. iii

13- Hobbes, Ibid., P.91

١٤- راجع تصنيف أرسطو للعلوم ، مقالتنا السابقة ص ٤٤ ومابعدها .

١٥- أحمد فؤاد كامل : أبحاث جديدة في الفهم الإنساني : دراسة وترجمة وتقديم ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٨٣ ص ١٢١ ، ٣٥٤ .

١٦- المرجع السابق ص ٣٥٧ .

١٧- Gesmer ١٦٩١ - ١٧٦١ مؤلف مشهور في القرن الثامن عشر، ألف تصنيفاً عقلانياً CatalogueRainsolle هو الذي يشير إليه ليبنتز .

١٨- ليبنتز : أبحاث جديدة في الفهم الإنساني . الباب الرابع الفصل٢١ الترجمة العربية أحمد فؤاد كامل ص ٣٥٨ .

١٩- راجع دراسة قيس هادي : نظرية العلم عند بيكون ،

٢٠- حبيب الشاروني ، فرنسيس بيكون ، دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب ١٩٨١ من ص ١٩ - ٣٢ .

21- F. Bacon: The Philosophical Works of Bacon P.248

٢٢- راجع عرض مؤلفات بيكون لدى حبيب الشاروني ص ١٢ - ١٦ .

٢٣- المرجع السابق ص ٣٧ .

٢٤- تحدد تقسيم بيكون للعلوم إلى التاريخ والشعر والفلسفة بناء على نظرة أرسطو لهذه العلوم التي قدمها لنا في كتابة الشعر .

٢٥- راجع حديث ماسينيون عن أنواع التاريخ ، حيث نجد تشابهاً بين ما أورده وبين ما أورده بيكون . ماسينيون : المصدر السابق .

٢٦- فكري أبو الخير : معنى الصورة عند فرنسيس بيكون ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب القاهرة ص ٧٥ .

٢٧- يمكن مقارنة تصنيف بيكون للشعر مع تصنيفات كل من : كانط ، نيشه شوبنهور ، هيجل للشعر . انظر تصنيفات الفنون في أميرة حلمي مطر . فلسفة الجمال من أفلاطون إلى سارتر ، دار الثقافة ، القاهرة .

٢٨- حبيب الشاروني ص ٤٦ .

٢٩- المرجع السابق ص ٤٥

٣٠- أحمد بدر ، محمد فتحي عبدالهادي : التصنيف : فلسفته وتاريخه ونظريته ونظمه وتطبيقاته العملية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ص ٤٢.

٣١- عثمان أمين : مقدمة تحقيق كتاب الفارابي إحصاء العلوم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٨ ص ٢٥ .

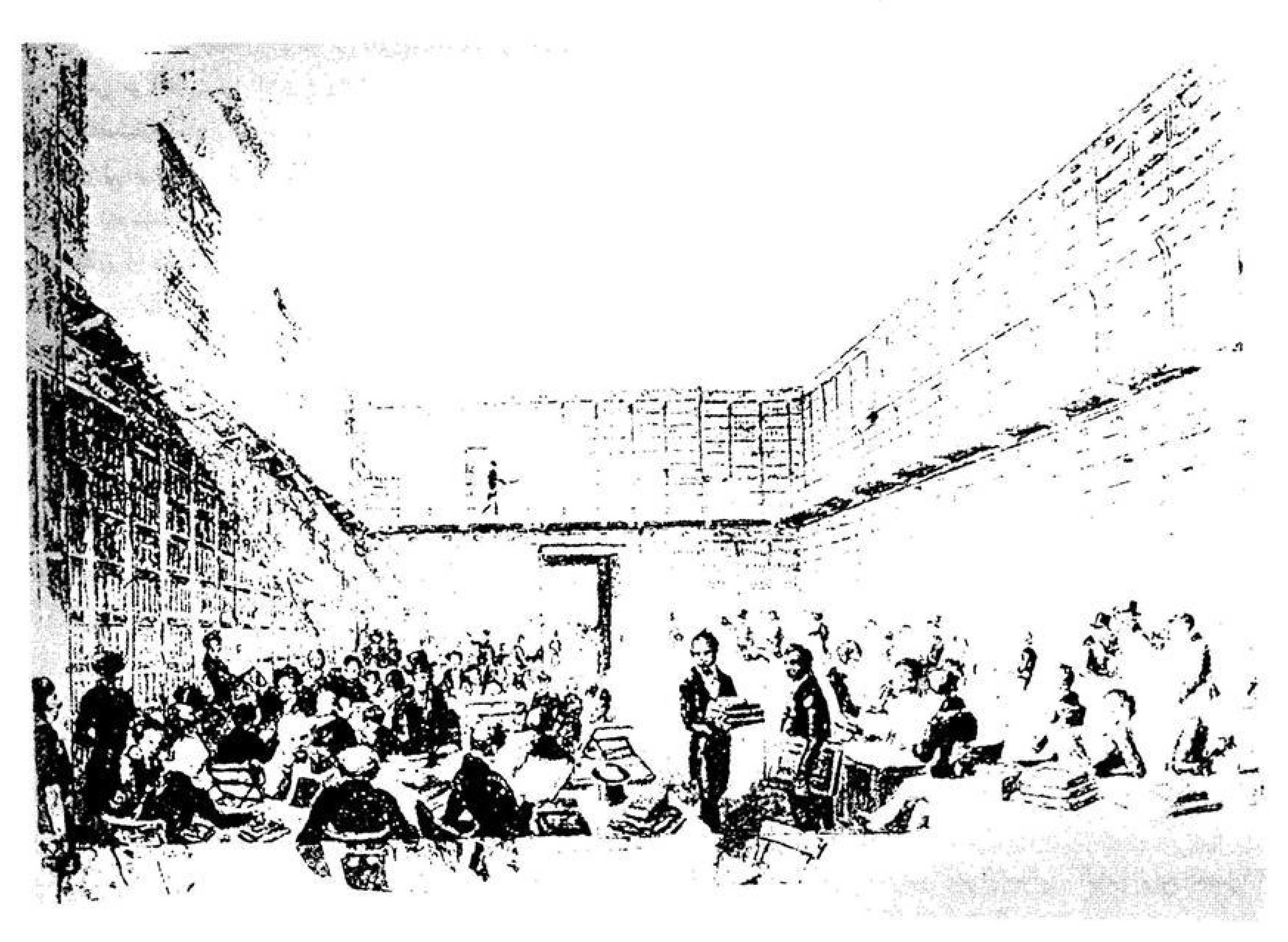
٣٢- أحمد زكي باشا : موسوعات العلوم العربية ، المكتب العربي للنشر، القاهرة ، ١٩٨٦ .

٣٣- الشاروني ص ٤٦ .

٣٤- فكري أبو الخير ص ٨٠

35- F. Bacon, Advancement of Hearing Divin and Human., Pp. 106-108.

36- Ibid., P.111



ابن رأس غنمة
ومصادر كتابه : مناقل الدرر ومنابت الزهر

قاسم أحمد السامرائي
ليدن – هولندا

يكاد الكتاب بكامله ينحصر في تاريخ الدولة الأموية في الشام ، إلا أن مؤلفه – تقليداً لأسلوب المؤرخين التقليديين – بدأ كتابه بسيرة النبي – عليه الصلاة والسلام – وأردفها (باختصار) بسير الخلفاء الراشدين لكي يخلص إلى الموضوع المعين الذي أراده في كتابه – تاريخ بني أمية ، حتى يكون كتابه متسقاً تاريخياً في ذهن القارىء . بيد أنه أدرك أن هناك من قد يتهمه بالميل للأمويين فاستدرك في المقدمة : "وربما توهم متوهم أن اقتصاري على مدة بني أمية إنما هو رغبة فيهم عن غيرهم وميل إليهم دون سواهم وتفضيل لهم على مابعدهم من الدولة العباسية ، وليس كذلك ، غير أن مدة بني أمية يمكن لقصرها حصرها ويقرب لانقطاعها أمرها (...) فإن أنسأ الله الأجل وبلغ الأمل جمعت من أخبار الدولة العباسية ماتبلغه القوة وتنتهي إليه القدوة إن شاء الله" . ولما انتهى من أخبار الأمويين لم يتوقف عندها ، بل حاول أن يسجل أيضاً بعض أخبار الدولة العباسية ، فاختصر أخبارها اختصاراً شديداً ، فلم يزد على بضعة سطور خصصها لأخبار كل خليفة عباسي حتى بداية حكم الناصر لدين الله اعتماداً على ماأورده المسعودي في كتاب مروج الذهب وابن الجوزي في المنتظم .

نسخ الكتاب :

إضافة إلى نسخة جستر بيتي (٤٢٥٤) التي نسخها الحاج ابن أبي عياد في يوم الجمعة ، التاسع عشر من ربيع الثاني سنة ١١٩٣ هـ (١٢٩ ورقة) ، فإن هناك أيضاً نسختين أخريين من الكتاب محفوظتين في الخزانة الحسنية الملكية بالرباط . أولاهما برقم : ٢٤٦١ (١٢٣ ورقة)، والثانية برقم : ٢٢٤٦ (١٣٧ ورقة) وكلتاهما غير مؤرختين ، وقد عاينتهما شخصياً في شهر أبريل سنة ١٩٨٨ فظهر لي من دراسة الورق والحبر أن الأولى كتبت بخط مغربي حديث على ورق مغربي أسمر سميك يعود إلى القرن الثالث عشر (التاسع عشر) وقد استعمل فيها الحبر الملون ، وزخرفة بداية طرتها بالذهب والأحبار الملونة . أما تجليدها فمغربي حديث من الورق المقوى المغلف بالجلد ، وفي وسط كل دفة ميدالية مضغوطة وملونة باللون الأخضر الغامق ، وتحيط بكل ميدالية مقرنصات مذهبة .

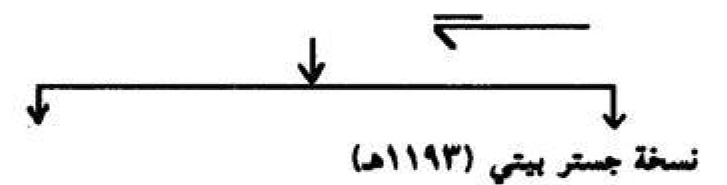
أما الثانية : فقد كتبت على ورق أوربي أبيض تظهر فيه الخطوط المتوازية والعلامة المائية التي نستدل منها على أن الورق من صناعة القرن الثاني عشر (الثامن عشر) . وقد تعرضت هذه النسخة إلى عوامل البلى والتهرؤ وفعل الأرضة ، وبخاصة في أوراقها الأولى ، فأثرت على بعض النص . وهذه أيضاً كتبت بخط مغربي واضح . أما تجليدها فهو من الورق المقوى ، أثرت فيه عوامل البلى وخروم الأرضة .

والظاهر من دراسة النسخ الثلاث أنها تعود إلى أصل واحد لاشتراكها كلها في الأخطاء النسخية الكثيرة ، واشتراكها في البياضات التي كانت – على مايبدو – في الأصل الذي لم يصل إلينا بعد . وقد أدت مقارنتي بين النسخ الثلاث إلى أن نسختي الدار الحسنية الملكية منسوخة إحداهما من الأخرى ، أي : أن النسخة الأولى قد نسخت من الثانية ، وأن نسخة جستر بيتي ونسخة الدار الحسنية الثانية منسوختان من أصل ضائع . ومع هذا فإن الحاج ابن أبي عياد (ناسخ نسخة جستر بيتي) لم يكن ناسخاً فحسب ، بل حاول أن يكمل النص الساقط ، فأضاف بعض الكلمات في البياضات مما يتطلبه السياق الكلامي . إضافة إلى كل هذا فإن النسخ الثلاث تشترك بظاهرة أخرى ، وهي تتمثل في أن النسخة التي انتسخت منها نسخة جستر بيتي ونسخة الدار الحسنية كانت ولابد منسوخة من أصل يحمل بعض الحواشي والتعليقات ، فأدخلها ناسخ أصل جستر بيتي والدار الحسنية الثانية في النص ، فتواترت هذه التعليقات في النسخ الثلاث جميعاً ، فمثلاً :

في ورقة ١١٩ ب (جستر بيتي) : "فكان بنو العباس يفخرون بهذه الآية ويقولون إن العباس كان الذي شاء الله . **ذكر هذه في أول كتاب مناقل الدرر ومنابت الزهر**" .

وفي ورقة : ٦٧أ : "**ذكر [ابن] الجوزي في فطن الأذكياء** ..." وأورد حكاية صعصعة بن صوحان والمغيرة بن شعبة (١) ثم أتبعها بـ "**وكتبه الفقيه أبو عبيد الله ابن الفقيه أبي يحيى المواق**" وآل المواق أسرة أندلسية إشبيلية معروفة عند المراكشي وغيره . من كل هذا يظهر أن تسلسل النسخ الثلاث هو كما يأتي :

الأصل الأول
(تعليقات على الحواشي)
↓
الأصل الثاني
(التعليقات أدخلت في النص)
↓



نسخة جستر بيتي (١١٩٣هـ)

نسخة الدار الحسنية الثانية (١٢هـ)

نسخة الدار الحسنية الأولى (١٣هـ)

من هو ابن رأس غنمة :

تحمل مخطوطة جستر بيتي اسم : "الفقيه الجليل أبي الوليد إسماعيل بن محمد المعروف بابن رأس غنمة الإشبيلي" ، على أنه مؤلف الكتاب .

أما مخطوطة الدار الحسنية الأولى فتحمل اسم المؤلف : "أبي الوليد سيد [ي] إسماعيل أبي محمد المعروف بابن رأس غنمة" .

وتحمل النسخة الثانية اسم : "الفقيه الجليل أبي الوليد إسماعيل بن محمد المعروف بابن رأس غنمة الإشبيلي" .

فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الأخطاء التي حدثت في نسخة الدار الحسنية في اسم المؤلف من أخطاء النسخ فإن النسخ الثلاث تشترك في اسم : "أبي الوليد إسماعيل بن محمد المعروف بابن رأس غنمة الإشبيلي" وتنسب الكتاب إليه . والسؤال الآن : من هو ابن رأس غنمة ؟

لم نعثر بعد في كتب التراجم الأندلسية أو المغربية على ترجمة لأبي الوليد إسماعيل بن محمد المعروف بابن رأس غنمة . وكان الاحتمال أن ابن عبدالملك المراكشي (المتوفى سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م) قد ترجم له في كتاب "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة" إلا أن الجزء الثاني الذي يحتوي على تراجم من اسمه "إسماعيل" لم يصل إلينا بعد . ومع هذا فقد أورد ابن عبدالملك المراكشي ترجمة : "لأحمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن خلف الحضرمي : من أهل إشبيلية يكني أبا العباس ويعرف بابن رأس غنمة" وقال المراكشي : روى عن أبي الحسن ابن خروف النحوي وأبي حفص بن عمر . ورحل إلى المشرق في حدود الخمس والتسعين وخمسمائة مرافقاً الشهيد أبا بكر بن أحمد الكتاني (...) فأديا فريضة الحج ولقيا هناك بقايا الشيوخ فأخذا عن طائفة منهم . واستصحبا فوائد جمة وغرائب كتب لاعهد لأهل الأندلس بها ، انتسخاها هناك (...) وكان أبو العباس هذا شديد الشغف بالعلم ، قطع دهره في صحبة أهله ، ولازم أبا حفص بن عمر طويلاً (...) وتوفي رحمه الله بإشبيلية في حدود ثلاث وأربعين وستمائة" (٢) .

وذكر ابن عبدالملك المراكشي في ترجمة أبي بكر محمد بن أحمد الكتاني الإشبيلي أنه : "رحل إلى المشرق حاجاً مرافقاً أبا العباس بن أحمد بن رأس غنمة" . وأن الكتاني "استشهد على شريطرة سنة ثمان وستمائة" (٣) . ومعنى هذا أنهما كانا في المشرق قبل هذا التاريخ .

أما في ترجمة أبي حفص بن عمر قاضي إشبيلية فقد أورد المراكشي : "روى عنه (..) وابن رأس غنمة (..) وتوفي بإشبيلية (...) عام ثلاث وستمائة" (٤) .

هذه هي كل الشذرات التي تمكنا من العثور عليها حتى الآن ، وماعلينا بعد إلا أن نستقرىء الإشارات التي أوردها ابن رأس غنمة في كتابه لتحديد عصر المؤلف ، ومن ثم نسبة الكتاب .

جاء في ورقة ٦٢ ب : "أخبرني الفقيه أبو القاسم بن فرقد" ، وهو محمد بن عامر بن فرقد الإشبيلي "كان فقيهاً مفتياً عاقداً للشروط (...) وتوفي بإشبيلية يوم الجمعة لخمس بقين من شوال سبع وعشرين وستمائة" (٥) .

وفي ورقة ١٠١ ب في دعاء عمر بن عبدالعزيز قال المؤلف : "أملاه علينا أبو الحسن بن خطاب في شوال من عام ستة وعشرين وستمائة" . وابن خطاب هذا - كما ذكر المراكشي (٢٣٨/٥) - "هو علي بن عبدالله بن يوسف بن خطاب المعافري الإشبيلي (...) واستقضى بإشبيلية وقتاً (...) وتوفي نصف ليلة الأحد السابعة عشرة من ذي قعدة سنة تسع وعشرين وستمائة" .

وفي ورقة ٢٥ ب في حديث عمر بن الخطاب قال المؤلف : "قرأته على أبي عبدالله بن خلفون" . وابن خلفون هذا هو "محمد بن إسماعيل ابن محمد بن خلفون الأزدي ، سكن إشبيلية (...) وكان من متقني صناعة الحديث ، متقدماً في معرفته (...) وتوفي بإشبيلية يوم التروية ، وقيل في الوسط من ذي قعدة ست وثلاثين وستمائة" (الذيل والتكملة ١٢٨/٦ - ١٣١) . وقد نقل مؤلف الكتاب كثيراً من كتاب "التعريف بالصحابة الذين أخرج البخاري ومسلم عنهم" وهو لابن خلفون .

من كل هذا يظهر أن مؤلف الكتاب عاش ودرس في إشبيلية ثم إنه كتب هذا الكتاب في سنين عديدة آخرها سنة ٦٢١هـ ثم أضاف في نسخته ماسمعه من ابن خطاب في سنة ٦٢٦هـ فيما بعد ، لأنه أكد في آخر كتابه على أن الناصر لدين الله العباسي "هو الوالي ببغداد فيما بلغنا وهو عام إحدى وعشرين وستمائة" وهذا صحيح ، لأن الناصر لدين الله العباسي توفى سنة ٦٢٢ هـ . ومن هنا يظهر أيضاً أن مؤلف الكتاب هو أبو العباس أحمد بن رأس غنمة وليس أبا الوليد إسماعيل ابن رأس غنمة . فلعل اسم المؤلف كان مخروماً أو مطموساً في النسخة الأصل الأولى لسبب أو لآخر فتواتر النقص في النسخ التي نسخت فيما بعد .

مصادر كتاب ابن رأس غنمة :

لو أهملنا ذكر المصادر المشرقية المشهورة أمثال :

١) مروج الذهب للمسعودي الذي اقتبس منه في ٣٩ موضعاً

٢) وتاريخ الطبري في ٩ مواضع

٣) والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني في ٦ مواضع

٤) وكتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة في ٣ مواضع
٥) وتاريخ خليفة بن خياط في ١٠ مواضع
٦) وصحيح البخاري في ٨ مواضع
٧) ومصنف حماد بن سلمة في ٨ مواضع
٨) والموطأ لمالك في ١٣ موضعاً
٩) وصحيح مسلم في ٣ مواضع
١٠) وكتاب الكامل للمبرد في ٢٠ موضعاً
١١) وكتاب عيون الأخبار لابن قتيبة في ٨ مواضع ، وكتاب المعارف له في ٤ مواضع
١٢) ومن البيان والتبيين في ١١ موضعاً

أو المصادر الأندلسية المشهورة أمثال :

١٣) العقد الفريد لابن عبدربه في ٦٨ موضعاً

فإن المؤلف ينقل من مصادر مشرقيـة وأندلسية ضائعة لانعرفها إلا من الإشارات القليلة إليها مثل :

١٤) تاريخ نفطويه الذي نقل منه في ١٦ موضعاً نصوصاً طويلة
١٥) وكتاب أخبار إفريقية لعريب بن سعيد القرطبي في موضعين
١٦) وتاريخ الخلفاء لابن اللبان في ٣ مواضع
١٧) وتاريخ إسماعيل بن علي الخطبي في ٥ مواضع
١٨) وأخبار الخلفاء للمدائني في موضع واحد
١٩) وكتاب العروس لعلي بن أحمد بن كوثر المحاربي الغرناطي (ت ٥٨٩ هـ) في موضع واحد
٢٠) وبستان الزهاد لمؤلف أندلسي أو مغربي لعله كتاب بستان العارفين لمحمد بن قاسم التميمي الفاسي (ت ٦٠٤هـ)
٢١) وكتاب الجواهر لعله لابن شاس ، عبدالله بن نجم الجذامي الساعدي المالكي (ت ٦١٦ هـ)
٢٢) وكتاب الأخبار المنثورة لأبي بكر الصولي (ت ٢٤٣ هـ) في ١٥ موضعا .
٢٣) وكتاب طارد الهموم للصولي أيضاً في موضع واحد .

أو من مصادر لانعرف منها إلا أقساماً وصلت إلينا مثل :

٢٤) مغازي موسى بن عقبة
٢٥) وكتاب الابتداء لعبدالملك بن حبيب (ت ٢٣٨) فلعل نسخة بودليان (١٢٧/٢ : مارش ٢٨٨ ، ورقة ١ - ١٠٠ والمكتوبة سنة ٦٩٠) من هذا الكتاب ، نقل منه في ١٠ مواضع .
٢٦) كتاب المغازي لابن وهب الذي نشر في هايدلبرج جزء منه ، في موضع واحد .

أو مصادر لانعرف عنها شيئاً إطلاقاً مثل :

٢٧) كتاب أنس الواحد في موضع واحد .
٢٨) تاريخ الذهني في ٧ مواضع .
٢٩) كتاب التأسي في ٧ مواضع .
٣٠) كتاب الشاهد في التاريخ في ٣ مواضع .

إضافة إلى كل هذه المصادر فإن المؤلف ينقل من :

٣١) كتاب ابن خلفون في ٩ مواضع .
٣٢) كتاب الواضحة في الفقه .
٣٣) كتاب ملحمة دانيال .
٣٤) كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني .
٣٥) مصنف عبدالرزاق الصنعاني .
٣٦) الجامع لمعمر بن راشد .
٣٧) شرح الفصيح لابن خالويه .
٣٨) كتاب المصابيح للبغوي .
٣٩) كتاب حلم معاوية لمؤلف مجهول ، فلعله هو الذي ذكره المراكشي باسم "مصنف في أخبار معاوية" لأبي القاسم بن البراق (ت ٥٩٦ هـ) الأندلسي (الذيل والتكملة ٦ / ٤٦٨) .
٤٠) الاستيعاب لابن عبدالبر .
٤١) كتاب الفصوص لصاعد بن الحسن الربعي (ت ٤١٩) .
٤٢) التنبيه والإشراف للمسعودي .
٤٣) الفاضل للمبرد .
٤٤) سنن الدارقطني .
٤٥) جامع الترمذي .
٤٦) فوائد أبي بكر البزار .
٤٧) الزاهر لأبي بكر الأنباري .
٤٨) زهر الآداب للحصري .
٤٩) كتاب سبل الخيرات لابن الفلاس القرطبي (بروكلمان ، ملحق ٥٩٣/١) .
٥٠) تاريخ الدولابي .
٥١) تاريخ الدوري .
٥٢) شرح البخاري لابن بطال .
٥٣) الجامع من مختصر المدونة لابن أبي زيد .
٥٤) المدونة .
٥٥) مسند ابن أبي شيبة .
٥٦) مراتب الإجماع لابن حزم .
٥٧) كتاب النوادر لأبي علي القالي .
٥٨) الجمهرة في النسب لابن حزم .

٥٩) شفاء الصدور للنقاش .

٦٠) سيرة ابن إسحق .

٦١) المنتظم لابن الجوزي .

٦٢) تاريخ المظفري للمظفر بالله أبي بكر محمد بن عبدالله بن مسلمة التجيبي أمير بطليوس (ت ٤٦٠) وهو أهم كتاب أندلسي عند المؤلف، فإنه ينقل منه في ٧٤ موضعاً نصوصاً طويلة . وقد كان هذا الكتاب أيضاً من مصادر ابن خلكان (وفيات ٣٥٢/٦) والسيوطي (الإتقان ٥٣ - القاهرة ١٣٦٨) .

جاء في المغرب في حلي المغرب (٣٦٤/١ تحقيق شوقي ضيف) : "المظفر أبو بكر محمد بن المنصور عبدالله الأفطس ، ورث بطليوس عن أبيه وكان قريع المعتضد بن عباد ومحاربه ، وهو الذي صنف كتاب المظفري في الأدب والتاريخ نحو مائة مجلد" . وهذا الكتاب لم يصل إلينا بعد .

أهمية الكتاب وقصد المؤلف :

لو قرأنا مقدمة كتاب ابن رأس غنمة لوحدها فإننا نفهم منها أنه أراد أن يكون كتابه في " أيام العرب وأخبارهم وخطبها وأشعارها ونوادرها وآثارها ، إذ الفصاحة موجودة فيهم ، والغريب من الكلام موقوف عليهم، والبديه من المقال صادر عنهم وراجع إليهم . فعلمت أن من سلمت قريحته وصحت نفسه وغريزته حريص على رواية أخبارهم وحفظ أشعارهم وتتبع آثارهم ليعمر بذلك مجلساً إن حضره فيسمو لذلك عند من سمعه أو خبره ؛ إذ لاتعمر المجالس - بعد ذكر الله - بأمتع من الأشعار والأمثال، وبما كان للعرب في أيامها من الأفعال والأقوال ، أيام كان كلامهم حجة في الكلام من أشعارهم شاهدة على صحة اللغات مع الأيام " . ومن هذه المقدمة نفهم أنه أراد أن يكون كتابه في اللغة والأدب دون التاريخ ، بيد أن محتويات الكتاب مع احتوائها على نتف أدبية وطرائف شعرية شأنه في هذا شأن أي كتاب تاريخي اخر ، لا تدل على أنه كتاب أدب أو كتاب مجالس أو نوادر ، أمثال الكامل للمبرد ، أو زهر الآداب للحصري ، أو العقد الفريد لابن عبد ربه أو المعارف لابن قتيبة ، أو للثعالبي ، حيث لم يكن التاريخ السياسي هدفاً للمؤلف فيها كما هو الأمر في مناقل الدرر ومنابت الزهر .

الظاهرة الغريبة في هذا الكتاب أن مؤلفه بالرغم من كونه أندلسياً إشبيلياً فإنه اقتصر على تاريخ الأمويين بالشام ، ولم يحاول ولو بكلمة واحدة أن يربط بينهم وبين أبناء عمومتهم الأمويين في الأندلس ، مع أنهم حكموا الأندلس زمناً أطول بكثير من حكم الأمويين المشارقة ، فما هو السر في ذلك ؟

لقد اعتذر ابن رأس غنمة في مقدمته من الاتهام بمحاباة الأمويين دون العباسيين : "رغبة فيهم عن غيرهم وميل إليهم دون سواهم وتفضيل لهم على مابعدهم من الدولة العباسية" مما يدل على أن الاتجاه السياسي الذي كان سائداً في الأندلس والمغرب على أواخر عهد الموحدين كان اتجاهاً وميلاً عباسياً إلى حد أن محمد بن يوسف بن هود - أحد ملوك الطوائف بسرقسطة - حين استولى فى سنة ٦٢٥ هـ على مرسية خطب للخليفة المستنصر العباسي (٦) . والظاهر أيضاً أن كراهية الأمويين كانت سائدة أيضاً بعد انتهاء دولتهم في الأندلس مباشرة ، فقد روى صاحب كتاب المغرب في حلي المغرب (٦٠/١ - ٦١) أن أيوب بن سليمان الأموي كان يخدم ابن الحاج قاضي الجماعة بقرطبة (قتل سنة ٥٢٩ هـ) الثائر على الملثمين . فلما قتل ابن الحاج رحل الأموي إلى سرقسطة فمدح وزيرها "فتسبب له في إحسان من قبل الملك (أمير سرقسطة) على أن يرحل عن بلدهم فراراً من هذا النسب . فقال (الأموي) : الحمد لله الذي أسعدنا به أولاً وأشقانا به آخراً" . ويروي صاحب كتاب المغرب أيضاً أن هذا الأموي : نزل على بدوي في طريقه فأكرمه ، وقد تخيل أنه رسول من بعض ملوك الملثمين ، فلما علم البدوي أنه من بني أمية "هاج وأخذ رمحه وحلف أن لايبقى له في منزل ، فقال (الأموي) لغلامه : إذا سئلت عني فقل إنه من اليهود فإنه أمشى لحالنا" (٧) . ومع اعتذار ابن رأس غنمة في مقدمته فإن ميله للأمويين واضح في الكتاب ، فلابد من القول إنه كان في الأندلس جماعة لم تزل تحن إلى عصر الأمويين الذهبي ، فقصد ابن رأس غنمة أن يذكر أبناء الأندلس بصورة غير مباشرة بمجدهم الزائل بعد أن عمت الفتن والحروب والمنازعات جميع بلاد الأندلس في الوقت الذي ألف فيه كتابه . أو لعله قصد أن يزود الأندلسيين بمعلومات عن تاريخ المشرق وسد ثغرة في هذه المعلومات لقلة اهتمام مؤرخي الأندلس بتاريخ المشرق ، وبخاصة تاريخ الأمويين في الشام . وهنا تتجلى أهمية هذا الكتاب في موقعه بين تواريخ الأندلسيين أو المغرب عموماً .

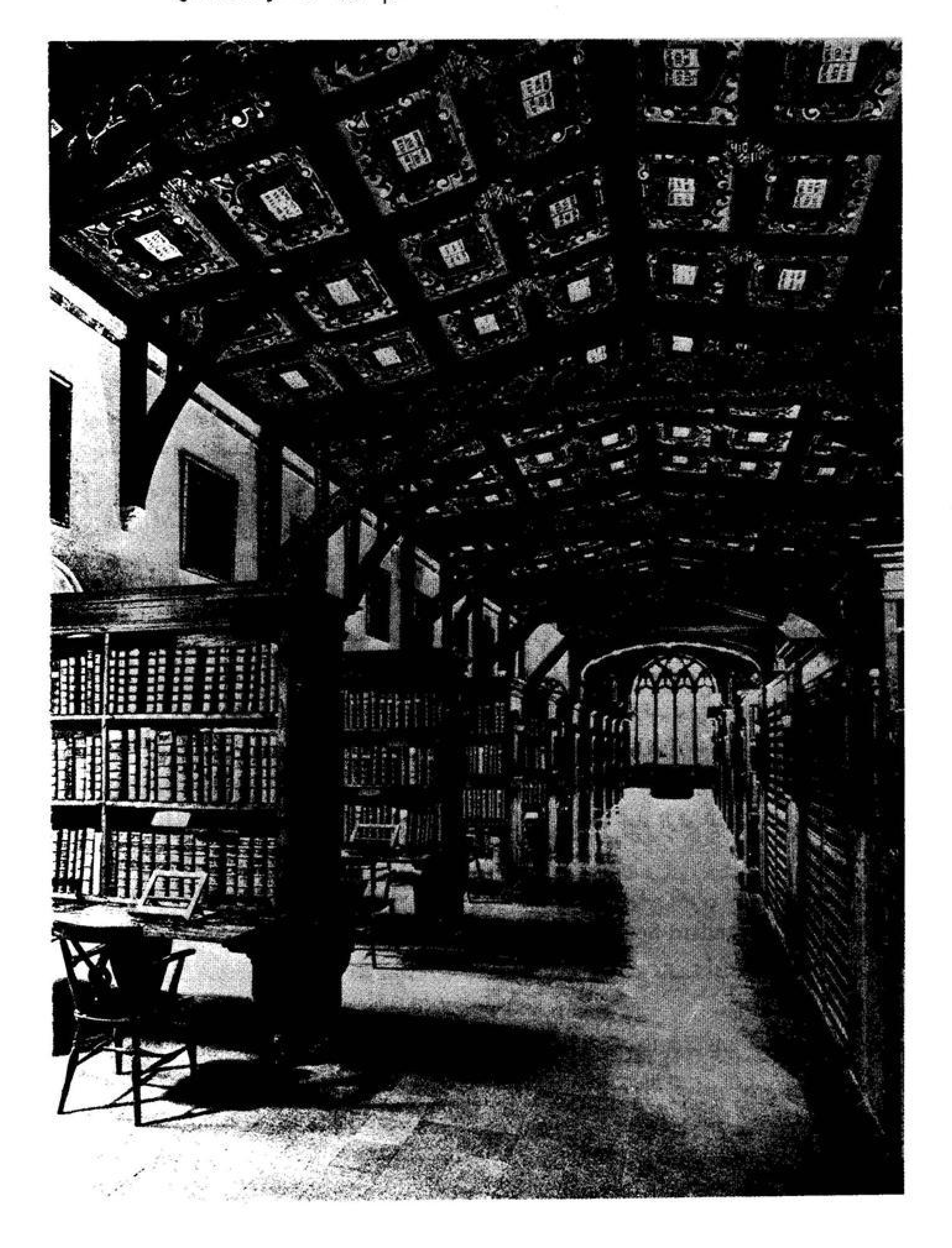
وتتوضح أهمية الكتاب أيضاً في معرفتنا بالمصادر التي كانت متداولة في القرن السادس للهجرة في الأندلس وشيوعها بين الدارسين ، فقد ذكر أكثر من ستين مصدراً ، واقتبس منها نصوصاً تمكننا هذه النصوص من معرفة طبيعة هذه الكتب ، أو قد تكمل بعضها ماوصل إلينا ناقصاً ، إضافة إلى النصوص التي أوردها مما لانجدها في المصادر التي هي اليوم بين أيدينا (٨) .

الهوامش

١) كتاب الأذكياء ، القاهرة ١٣٠٤هـ ، ص ٩٨ .

٢) الذيل والتكملة ١ / ٢٨ - ٣٢ (بيروت ١٩٦٤) تحقيق محمد بن شريفة .

٣) المصدر نفسه ٦/٣٣ ، تحقيق إحسان عباس .
٤) المصدر نفسه ٨/٢٢٢ - ٢٣٢ .
٥) المصدر نفسه ٦/٤٢١ - ٤٢٥ .
٦) الناصري : الاستقصا (الدار البيضاء ١٩٥٤) ٢/٢١٠ .
٧) المغرب في حلي المغرب ١/٦١ .
٨) أقوم الآن بتحقيقه وإعداده للنشر



الترقيم الدولي الموحد للكتاب
(تدمك)

السعيد مجاهد عبدالمعطي حرك
ابو ظبي - المجمع الثقافي - قسم الفهارس

الكتاب كما نألفه اليوم ظاهرة حضارية حديثة نسبياً ، والإلمام بالمكونات الأساسية للكتاب ووظيفة كل عنصر في هذه المكونات وعلاقته بالعناصر الأخرى أمر لابد منه لتحقيق أقصى درجات الإفادة من الكتاب.

فعادة مايتكون الكتاب من صفحة العنوان - بيان التأليف - الطبعة - بيانات النشر - الرقم المعياري الدولي للكتاب ISBN الخ من العناصر التي تميز كتاباً ما عن آخر .

والترقيم الدولي الموحد للكتاب هو أحد العناصر التي يمكن أن ترد على ظهر صفحة العنوان أو في أسفل الغلاف الأيمن في الكتب الأجنبية ، وليس له مكان موحد في الكتب العربية ، وغالباً مانجده غير مدون عليها ، بعكس الكتب الأجنبية .

وهو رقم فريد يخصص لكل كتاب أو طبعة من كتاب قبل نشره للتعريف بالناشر والعنوان والطبعة ورقم المجلد ، ويتألف هذا الرقم من عشرة أعداد (٠ إلى ٩) مقسمة إلى عناصر أربعة منفصلة عن بعضها البعض :

العنصر الأول : يدل على اسم الدولة التي صدر فيها الكتاب .

العنصر الثاني : يدل على الناشر .

العنصر الثالث : يدل على عنوان الكتاب أو الطبعة .

العنصر الرابع : عبارة عن رقم واحد مفرد للضبط أو للمراجعة أو للتحقيق من صحة الأرقام الأخرى .

وعادة مايرد هذا الرقم مسبوقاً في الكتب الأجنبية بالأحرف الأربعة ISBN وفي الكتب العربية بالأحرف الأربعة (تدمك) . ويتضح من ذلك أن الهدف من هذا الرقم هو بيان هوية الكتاب لدى الناشر ، أو توفير صيغة مختصرة للتعبير عن البيانات الأساسية للكتاب ، حيث يمكن استعمال هذه الصيغة بسهولة في طلب الكتاب .

وقد اشتق هذا النظام من نظام الترقيم المعياري للكتاب الذي أوصت به الهيئة الدولية للتقييس للاستعمال العالمي في أكتوبر ١٩٦٩ ووافقت عليه الدول الأعضاء وتم توزيعه عليها عام ١٩٧٠ مضافاً إليه العنصر الأول لاسم الدولة الذي تخصصه الهيئة الوطنية للترقيم المعياري الدولي للكتاب .

ولابد لنا من التعرف على العنصر الرابع - وهو رقم الضبط - وينتج حسب العملية الحسابية باستخدام المعامل (١١) :

مثال : ٢ - ٠٩ - ٤١٨ - ٦٧١

تؤخذ الأعداد بدون رقم الضبط ، ويحدد موقع كل منها في الرقم المعياري .

فمثلاً : الرقم ٩ يكون موقعه ثاني عدد ، الرقم ٦ يقع تاسع عدد في الرقم المعياري .. وهكذا .

ويتم ضرب رقم الموقع في عدده كما يلي :الرقم المعياري

٠٦٧١٤١٨٠٩ × ١٠٩٨٧٦٥٤٣٢ = ٠٥٤٥٦٧٢٤٥٣٢٠١٨

اجمع حاصل الضرب

١٨ + ٠ + ٣٢ + ٥ + ٢٤ + ٧ + ٥٦ + ٥٤ = ١٩٦

اقسم حاصل الجمع على ١١ : ١٩٦ ١١ = ١٧

والباقي ٩

اطرح الباقي من ١١ : ١١ - ٩ = ٢

وهذا هو رقم الضبط أو المراجعة أو التأكد من صحة الأرقام السابقة .

ولابد هنا من الإشارة إلى وجود اختلاف في استخدام الأحرف الأربعة الدالة على الاختصار في بعض الترجمات العربية .

فعادة نجد الأحرف الأربعة (تدمك) تدل على الترقيم الدولي الموحد للكتاب ، بينما نجد ترجمات أخرى تستخدم (ردمك) للدلالة على الرقم نفسه : الرقم الدولي المعياري للكتاب .

وأيضاً يوجد ترقيم دولي موحد للدوريات كما للكتب .

وتستخدم الأحرف الأربعة (تدمد) أمام الرقم للدلالة على الترقيم الدولي الموحد للدوريات ، بينما نجد ترجمات أخرى تستخدم الأحرف الأربعة (ردمد) أمام الرقم للدلالة على الرقم نفسه : الرقم الدولي المعياري للدوريات .

واختصار الترقيم الدولي الموحد للدوريات الأجنبية هو (ISSN International Standard Serial Number) وهكذا نجد أن هذا الرقم يستخدم مع كافة أشكال أوعية المعلومات وليس فقط مع الكتاب والدورية .

ونظراً لأهمية هذا الرقم فإننا نجد اثنتين وعشرين دولة من أعضاء اليونسكو تستخدم نظام الترقيم القياسي الدولي لأوعية المعلومات .

وتطبيق نظام الرقم القياسي الدولي في المكتبات مع الاحتفاظ بالفهارس الحالية والسجلات يسهل إلى حد كبير عمليات الطلب والحسابات في المكتبات التقليدية .

ويمكن استخدامه في التبادل بين المكتبات كرقم إضافي في التحكم وتطبيقه مع الفهارس والسجلات وترتيبها وفقاً له ، مما يمكن المكتبات التعامل به وحده دون الحاجة إلى تسمية العنوان .

وهذه الفهارس الرقمية البحتة تمكن ذوي المؤهلات المتوسطة من الاحتفاظ بها واستخدامها ، وإذا أصبحت الإشارة إلى الرقم القياسي لازماً في طلبات الإعارة بين المكتبات ، فإن هذه الفهارس الرقمية تجعل من الممكن تقصير فترة انتظار المستخدمين .

والمكتبات التي تستخدم المعالجة الإلكترونية للبيانات يخدم الرقم القياسي كرقم للتعرف والمعالجة لكل كتاب خلال كل عمليات المكتبة ، ولما كانت البيانات المتعلقة بعنوان واحد يمكن استرجاعها في أي تجميع ، فمن الممكن تحديد كتاب في إدارة التزويد أو الإعارة ، ووسيلة ذلك هي : الرقم القياسي الخاص به . وفي حالة أشرطة مارك فإن هذا النظام يمكن من استرجاع المداخل من الأشرطة .

وتكتسب الفهارس الموحدة فوائد متعددة ، فلا يطلب في السجلات المركزية لهذا النظام غير هذه الإشارة إلى رقم الكتاب ورقم كود المكتبة عند عمل الاستعلامات . وهذا الإجراء يقلل إلى حد كبير من فترات الانتظار في الإعارة بين المكتبات ، ويحقق درجة كبيرة من المرونة .

ومهما تعددت وبدت فوائد إمكانات الرقم القياسي الدولي في المكتبات فإن التعاون الدولي له أهمية حيوية للتطبيق الناجح .

ويصبح هذا النظام مفيداً للعمليات المنفردة في المكتبة إذا رقمت كل الدول إنتاجها الوطني بالرقم القياسي الدولي كعلامة تعريف دولية فريدة كما تبين من مثال أشرطة مارك ، فيمكن تخطي قواعد الفهرسة المختلفة وطنياً وإقليمياً .

ويمكن لنا أن نجمل مجالات استخدام الرقم المعياري الدولي للكتاب وأهميته في النقاط التالية :

١- يستخدم في تجارة الكتب مع الناشرين ، حيث يكون هذا الرقم هو الأساس في التسويق والتعرف على الكتاب وتلبية طلبات الشراء .

٢- يستخدم كإشارة مرجعية بينه وبين العنوان في البيليوجرافية الألمانية .

٣- يستخدم كأداة تحكم المداخل والفهارس المقروءة آلياً في البيليوجرافية البريطانية .

٤- يساعد في استرجاع المعلومات المخزونة في الحاسب ، ويستخدم في المهام المختلفة التنظيمية والإدارية في المكتبة .

٥- استخدام الرقم القياسي كرقم تحكم إضافي على بطاقات الفهرس أو في سجلات التزويد ، وخاصة مع المكتبات التقليدية دون اللجوء إلى تغيير الفهارس أو الكشافات يساعد على شراء الكتب وإتمام مراجعة التوريد والسداد .

٦- يستخدم في الإعارة المحلية والإعارات بين المكتبات ، وذلك عند احتفاظ المكتبات بفهارسها وكشافاتها في ترتيب رقمي وفقاً لهذا الرقم .

٧- يستخدم كأداة استرجاع أو مراجعة لكل كتاب عند المعالجة بالحاسبات .

٨- يستخدم في إعداد الفهارس الموحدة التي ترقم مجموعاتها وفقاً للرقم القياسي ، وبذلك يكون له أهداف الفهرس الموحد الهجائي نفسه .

وعند التطبيق العلمي لـ (تدمك) في بطاقات الفهارس نجد أن الكتاب يحمل ترقيمين أو أكثر من هذه الترقيمات الموحدة .

فمثلاً المادة أو الوعاء المتعدد الأجزاء يكون له رقم واحد للعمل جملة، وأيضاً رقم مستقل لكل جزء من أجزاء الوعاء . وفي هذه الحالة يدون الترقيم الذي يوازي الوعاء كله أو الترقيم الذي يوازي الجزء موضع الوصف في الفهارس .

ويضاف بعد الرقم الموحد البيان الدال على شروط الاقتناء ، **وسعر الوعاء وأيضا نوع التجليد .**

مثال :

* تدمك ٣ - ١٢ - ٧٣١٧ - ٩٧٧ : ٣ ج . م .(مجاناً للأعضاء)
(للمؤسسات)
(بالتبادل فقط)

* تدمك ٥ - ٦٥١ - ٢٤٦ - ٩٧٧ (غلاف ورقي) : ٥٠٠ ر.س .
: ١ ج . م . (٤ دولار خارج مصر)

* ISBN 2-214-30608-0 : 90 F.F

* تدمك ٥ - ٦٠١ - ٢٤٦ - ٩٧٧ (غلاف ورقي) .

* دمك ٨ - ٦٧ - ٧١٩٩ - ٩٧٧ (مجلد) .

* ISBN 0-85020-025-3 (CLOTH)

* ISBN 0-330-23591-5 (Paper Back)

وأحياناً يضاف عنوان للمسلسلات أو الدوريات ISSN أو سعر الاشتراك السنوي بعد الترقيم الدولي المعياري للدوريات .

مثال :

* ISSN 0301-7869: The Arab culture

* تدمد ٧٨٦٩ - ٠٣٠١ : ١،٥٠٠ د.أ. سنوياً
١،٢٠٠ د.أ (للأعضاء مجاناً)
٤٠٠ د.ك للأفراد
١٠،٠٠٠ د.ك للمؤسسات

المراجع

١- المكتبة والبحث / حشمت قاسم .- القاهرة : مكتبة غريب ، ١٩٨٣

٢- المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات : إنجليزي - عربي / أحمد محمد الشامي ، سيد حسب الله .- الرياض : دار المريخ ، ١٩٨٨ .

٣- مقالات في علوم المكتبات والتوثيق والمعلومات / محمود الأخرس .- ط ٢ . - عمان ، الأردن : مكتبة المنار ، ١٩٨٥ .

٤- دراسات مختارة في المكتبات والتوثيق والإعلام / عمر الباوردي .- ط٢ .- بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٣ .

٥- قواعد الفهرسة الأنجلو - أمريكية / إعـــداد جمعية المكتبـــات الأميريكية وآخريـــن ، تعريب محمود أحمد إتيم ، مراجعة محمود الأخرس .- ط ٢. - عمان ، الأردن : جمعيـة المكتبات الأردنية ١٩٨٣ .

٦- الوصف الببليوجرافي للكتب / سيد حسب الله .- الرياض : معهد الإدارة العامة ، ١٩٨٨ .

٧- تدوب (ك) التقنين الدولي للوصـف الببليوجرافي للكتب/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، إدارة التوثيق والمعلومـات .- ط١. - تونس : المنظمة ، ١٩٨٢ .

٨- تعريب القواعـد الأنجلو - أمريكية للفهرسة / سعد محمد الهجرسي .- ط ٢.- القاهرة : العمل الببليوجرافي بجامعـــة القاهرة ، ١٩٨١ .

Example of the conversion of the ISBN to ISBN Bookland/EAN

	ISBN 0-330-28987-X
ISBN without check digit:	0-330-28987
Adding EAN Flag:	978033028987
EAN with EAN check digit:	9780330289870

Printing the ISBN in Bookland/EAN symbology



4. Optional 5 digit add-on code

There is an optional 5 digit add-on code which can be used for additional information. In the publishing industry it can be used for price information.

The add-on price information may have the following formats:

a) Five digit bar code indicating the price with human readable numbers above the bar code or

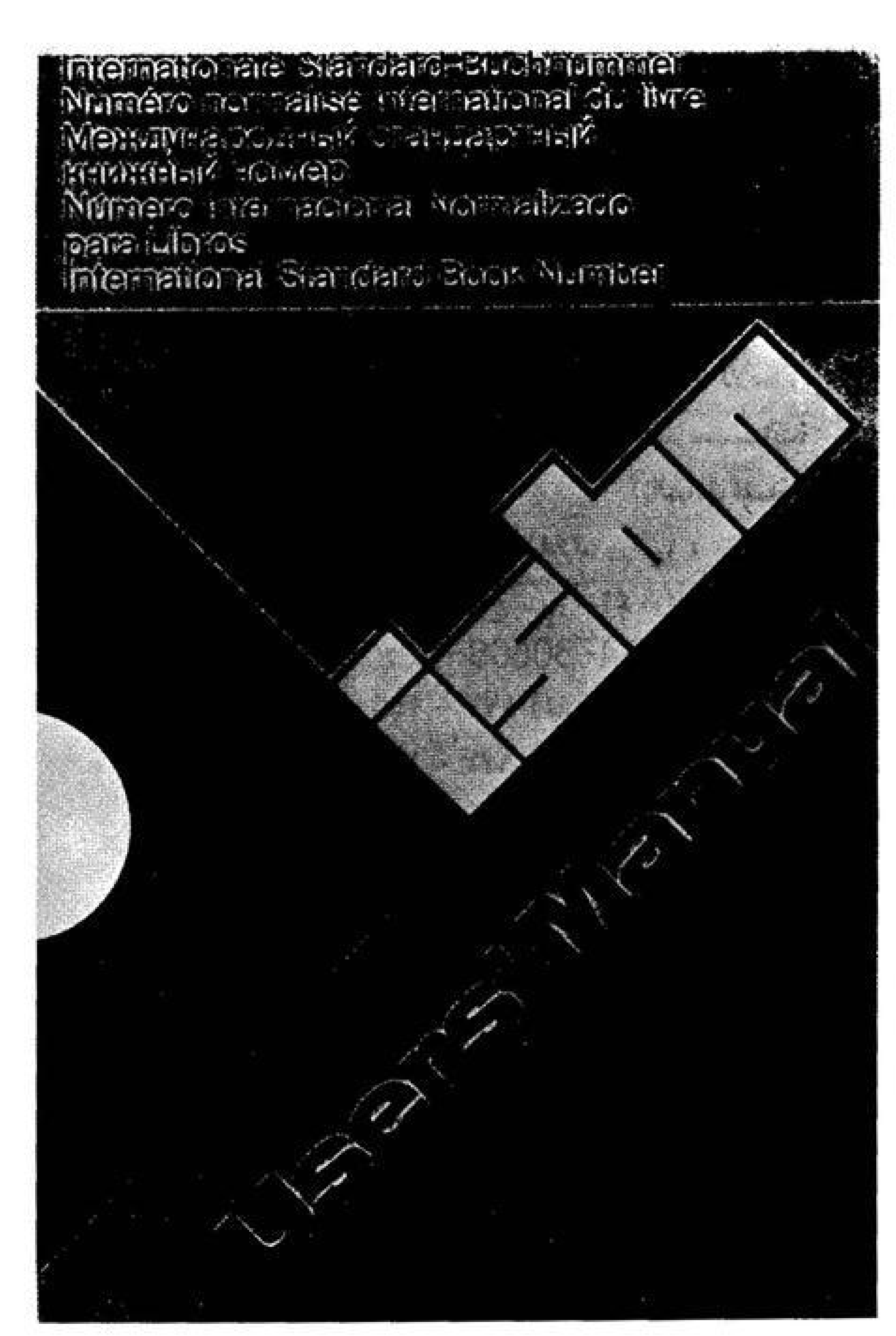
b) Five digit bar code indicating the price with no human readable numbers.

Printing the ISBN Bookland/EAN number in bar code with an optional 5 digit add-on code.

a) ISBN 0-901690-54-6 00725 9 780901 690548

b) ISBN 0-901690-54-6 9 780901 690548

* ISBN printed in OCR-A
OCR-B format: ISBN 0-330-28987-X



الرسائل الثقافية

رسالة سورية الثقافية
إعداد
محمد نور يوسف

ندوات

* ندوة حول أهمية المعلومات في مكتبة الأسد :

عقدت مكتبة الأسد في السادس والعشرين من شهر آذار ١٩٩٠ ندوة حول أهمية المعلومات وكيفية الإفادة منها في اتخاذ القرار الصحيح، وذلك بالتعاون مع مركز التوثيق والمعلومات بجامعة الدول العربية ، وقد أشرف علي الندوة خبراء من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (اليونيسكو) وتحدثت في هذه الندوة نجاح العطار وزيرة الثقافة ورفاعة زهادي مديرة المركز وهشام الخيري ، كما رافق الندوة معرض للصور والوثائق ، وقد كانت الندوة كانت مخصصة للعاملين في المكتبات والأرشيف والمديرين ..

*ندوة دولية حول سورية بين الفترة البيزنطيةوظهورالإسلام:

ذكرت صحيفة تشرين في عددها (٤٨٥٤) أنه عقدت في ليون وباريس في الفترة بين ١١ و ١٥ من أيلول ١٩٩٠م ندوة دولية حول سورية بين الفترة البيزنطية وظهور الإسلام التي نظمتها دار المشرق التابعة لجامعة ليون ، وهي معهد متخصص بالدوريات المشرقية بالتعاون مع معهد العالم العربي في باريس .

وأضافت الصحيفة أنه شارك في الندوة نخبة من علماء الآثار والتاريخ المتخصصين في منطقة سورية من فرنسا وإيطاليا وألمانيا وأمريكا ومن سورية . والمشاركة السورية تمثلت ببحث عن آثار هرقلة ألقاه الباحث الأثري السوري قاسم طوير ، حيث تحدث عن فترة ماتزال مجهولة في تاريخ سورية ، كونها فترة انتقالية بين حضارتين لم تلق اهتماماً كافياً من الباحثين .

* ندوة ثقافية عن دور سورية والمغرب في بناء الحضارة العربية :

عقدت في ١٩٩٠/٣/١٧ ندوة ثقافية حول مساهمة سورية والمغرب في بناء الحضارة العربية ، وذلك ضمن نشاطات الأيام الثقافية المغربية ، وتناولت الندوة موضوع الحضارة العربية وآثارها في المغرب العربي ، والتبادل الثقافي الحضاري بين المغرب العربي ومشرقه ، كما تناولت الندوة دور المغرب والأندلس في الحضارة العربية الإسلامية والتأثر والتأثير بين المشرق العربي ومغربه .

* ندوة فكرية عن الغَزّي مؤرخ حلب :

أقامت جمعية العاديات بحلب ندوة فكرية عن كامل الغزي مؤرخ حلب ومؤسس جمعية العاديات .. وقد ألقيت في الندوة كلمات لكل من عبدالهادي نصري ونفيسة الغزي وجبرائيل غزال باسم الجمعية وأسرة الغزي وأصدقائه .. وأشادوا في كلماتهم بجهود الغزي في مجال العلم والبحث العلمي التاريخي ودوره البارز في تاريخ حلب إلى جانب العديد من العلماء والباحثين العرب .. ثم ألقيت كلما أخرى في الندوة هي :

- كامل الغزي شيخ حلب ومؤسس العاديات / عبدالهادي نصر نصري .
- حركة التاريخ في حلب والمنهج التاريخي عند الشيخ كامل الغزي / سهيل زكار .
- كتاب نهر الذهب في تاريخ حلب ومصادره / محمد كامل الغزي .
- الأديب والباحث الأثري / محمود فاخوري .

ثم عقدت عقب الندوة جلسة حوار نوقشت خلالها القضايا التي وردت في أبحاث الندوة .

معارض

* الجناح السوري في معرض القاهرة للكتاب :

حظي الجناح السوري في معرض القاهرة الدولي للكتاب لهذا العام بإقبال جماهيري كبير من قبل زوار المعرض .. وصرح وليد ناصف مدير الجناح السوري في المعرض الذي أقيم خلال شهر شباط ١٩٩٠ أن عشرات دور النشر السورية اشتركت في المعرض وفي مقدمتها المطبوعات الصادرة عن المؤسسات الرسمية ، ومنها كتب وزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب ومجمع اللغة العربية .. وأضاف في تصريحه لـ «الثورة» بعد عودته إلى دمشق أن الرئيس المصري حسني مبارك زار الجناح السوري وتم إهداء عدد من الكتب إليه .. (الثورة ١٩٩٠/٣/٢٢).

* معرض للكتب والأسطوانات والطوابع في كلية العلوم :

أقامت جمعية الصداقة العربية السورية السوفيتية بالتعاون مع مؤسسة الكتاب الدولي السوفيتية معرضاً للكتب والأسطوانات والطوابع السوفيتية في مبنى كلية العلوم في جامعة تشرين باللاذقية .. وضم المعرض كتباً علمية وأدبية واجتماعية باللغات العربية والروسية والإنكليزية بلغت (٢٠٠٠) عنوان إضافة إلى مجموعات من الطوابع التذكارية والأسطوانات . أقيم المعرض في الفترة بين ١ و ١٥ نيسان ١٩٩٠م .

* ٥٠٠٠ عنوان في معرض الكتاب العربي بحمص :

ضم معرض الكتاب العربي الذي أقيم في حمص أواخر شهر أيار ١٩٩٠م أكثر من (٥٠٠٠) عنوان في مجالات الأدب والتاريخ والعلوم والتراث والشعر والفن التشكيلي ، إضافة إلى مجموعات كبيرة من قصص الأطفال وكتب متخصصة بالهندسة المدنية والمعمارية ، كما ضم المعرض ولأول مرة صحفاً ومجلات سورية وعربية وأجنبية .

* معرض للكتاب العربي في نادي المجد الرياضي بدمشق :

أقيم معرض للكتاب العربي في الفترة من ٧ - ١٩ تموز ١٩٩٠م في نادي المجد الرياضي بدمشق وذلك ضمن الأنشطة الثقافية للنادي . ضم المعرض حوالي ٤٠٠٠ عنوان لموضوعات ثقافية وفكرية وأدبية وفنية منوعة وبمشاركة دور نشر ومؤسسات محلية وعربية ودولية.

* معرض الكتاب العربي السادس في مكتبة الأسد :

أقامت مكتبة الأسد معرضها السادس للكتاب العربي وذلك في الفترة ما بين ٢١ و٣٠/٩/١٩٩٠م .. وكان معرض هذه السنة معرضاً ضخماً كماً وكيفاً ، ويتبين لنا ضخامته أكثر من خلال الأرقام والإحصاءات التي سنشير إليها في هذا التقرير ، فقد شارك في معرض هذا العام (٢٦٥) ناشراً عربياً ، إضافة إلى سبع وكالات للتوثيق العلمي عن طريق الحواسب الإلكترونية .. وبلغ عدد العناوين في المعرض (٢٢٥٠٠) عنوان واشتملت على نحو مليون وسبعمائة ألف نسخة ، في حين أن أجنحة المعرض لهذا العام بلغت (١٢٨) جناحاً ، وأما من حيث الكتب الجديدة المعروضة فقد بلغت نسبة عالية ، حيث إن هناك أكثر من (٧٠٠٠) عنوان جديد لم تكن موجودة في المعارض السابقة ، إضافة لذلك فإن جناح معروضات المخطوطات النادرة والكتب القديمة زخر هذا العام بمجموعات نادرة من الوثائق والكتب والمخطوطات والمجلات ..

أما بالنسبة للدول العربية التي شاركت في المعرض فقد بلغت ثلاث عشرة دولة هي : الأردن ، تونس ، الجزائر ، السعودية ، فلسطين ، قطر، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، مصر ، المغرب ، اليمن ، سورية . كما أن بعض الناشرين في مصر والمغرب شاركوا في هذا المعرض لأول مرة .كما شاركت وكالات للناشرين الأجانب من الدول التالية : إيران ، اليابان ، سويسرا ، الصين ، الاتحاد السوفيتي ، إنكلترا ، فرنسا ، قبرص ، الهند ، الولايات المتحدة الأمريكية . أما من حيث النشاط الثقافي الذي رافق المعرض فقد تمثل في إقامة مهرجان ثقافي أقيم في قاعة محاضرات المكتبة طوال أيام المعرض العشرة ، وكان برنامج المهرجان الثقافي كالتالي:

السبت ٢٢/٩/١٩٩٠م أمسية شعرية / الشاعر مصطفى جمال الدين

الأحد ٢٣/٩/١٩٩٠م أخطاء في التاريخ العربي / شاكر مصطفى

الإثنين ٢٤/ ٩/ ١٩٩٠م من الذكاء إلى الإبداع / فاخر عاقل

الثلاثاء ٢٥/٩/١٩٩٠م ميلاد نجم أثري جديد في سورية /عدنان البني

الأربعاء ٢٦/٩/١٩٩٠م الوطن العربي والنظام العالمي ، عودة إلى الماضي .. ووقفة عند الحاضر / خيرية قاسمية .

الخميس ٢٧/٩/١٩٩٠م أمسية موسيقية / كريستينا صابوني وسوزانا صابوني

السبت ٢٩/٩/١٩٩٠م أمسية شعرية / الشاعر مانع سعيد العتيبة

الأحد ٣٠/٩/١٩٩٠م نظرة في التشريع السوري الحديث والتطلعات المستقبلية / زهير صابوني

وقد صدر قبل بدء المعرض بأيام عن وزارة الثقافة دليل المعرض السادس للكتاب العربي ، واشتمل هذا الدليل على جميع عناوين الكتب المعروضة ، ولتسهيل استخدام الدليل الذي يقع في (٦٨٧) صفحة من القطع الكبير تم إدراج عناوين الموضوعات المعتمدة في أول الدليل لأرقام الكتب المتسلسلة التي تتناول ذلك الموضوع ، وتم اختصار المعلومات الخاصة بكل مطبوع إلى أدنى حد ممكن لتجنب تضخم الدليل .

وبعد انتهاء المعرض بثلاثة أيام نشرت صحيفة الثورة بتاريخ٣/١٠/١٩٩٠م إحصاءات عن زوار المعرض ومبيعاته ، فذكرت أن المعرض شهد إقبالاً جماهيرياً واسعاً ، حيث أمَّهُ نحو (٢٥٧) ألف زائر ، وبلغت مبيعاته نحو تسعة ملايين ليرة سورية ، وحضر النشاط الثقافي الموازي للمعرض نحو ثلاثة آلاف مواطن ، وزار جناح الحاسبات الالكترونية نحو (١٣٥٠٠) زائر ، وجناح المخطوطات والوثائق والكتب النادرة نحو تسعة عشر ألف زائر .

أخبار جامعية

* دليل جديد يبرز تطور جامعة دمشق

ذكرت صحيفة الثورة في عددها (٨٢٢٢) في أوائل نيسان ١٩٩٠ أن جامعة دمشق أصدرت دليلاً جديداً يبرز تطورها الشامل في مختلف النواحي العلمية والتعليمية ، ويتألف من (٤٢٤) صفحة من القطع الكبير ، وهو الدليل الثالث من نوعه الذي تصدره الجامعة منذ صدور قانون تنظيم الجامعات عام ١٩٧٥م .

قدّم للدليل زياد شويكي رئيس الجامعة ، وتضمن لمحة تاريخية عن الجامعة منذ نشأتها في أوائل هذا القرن وحتى الآن .. ويلاحظ من خلال الحديث عن تطور الجامعة أن عدد معاهد وكليات الجامعة الوحيدة كانت ثماني كليات ، وأما الآن فيبلغ عدد كلياتها أربع عشرة كلية وتتبعها سبعة معاهد . ويوضح الدليل الهيكل الإداري للجامعة ومجالسها وخطط الدراسة والامتحانات والقواعد العامة للقبول والنقل ، وتضم جامعة دمشق الآن كليات الآداب والاقتصاد والتربية والحقوق والشريعة والزراعة والطب وطب الأسنان والعلوم والفنون الجميلة والهندسة المدنية

والهندسة المعمارية والهندسة الميكانيكية والكهربائية .

* دليل جامعة حلب بالإنكليزية

أصدرت جامعة حلب دليل الجامعة باللغة الإنكليزية الذي يتضمن نبذة عن تاريخ وتطور الجامعة بما في ذلك الكليات والمعاهد والمراكز العلمية . هذا ويتضمن الدليل المناهج التي تُدرّس وأعداد الهيئة التدريسية لكل كلية ومعهد والبرامج الأكاديمية والدراسات العليا لمرحلتي الماجستير والدكتوراه ..والجدير بالذكر أنه يتم توزيع الدليل المذكور على الجامعات التي ترتبط مع جامعة حلب بعلاقات ثقافية وأكاديمية . (الثورة ١٤/٨/١٩٩٠م)

* الطب والمدارس الطبية والعربية في جامعة حلب :

نوقشت في ١٠/٦/١٩٩٠ على مدرج «معهد التراث العلمي العربي» بجامعة حلب أول رسالة دكتوراه في المعهد أعدها الباحث محمد كمال شحادة من قسم تاريخ العلوم الطبية بعنوان «الطب والمدارس الطبية العربية من نهاية القرون الوسطى وحتى العصر الحديث» وأشرف عليها محمد زهير البابا ، وقد مُنِحَ الباحث وهو من مواليد ١٩٢٢م درجة شرف على رسالته بحضور محمد علي حورية رئيس جامعة حلب وغيره من العلماء (تشرين ١١/٦/١٩٩٠م بتصرف)

* افتتاح دبلوم بالدراسات العليا للتلوث وصحة البيئة في جامعة دمشق :

قرر مجلس جامعة دمشق مؤخراً افتتاح دبلوم الدراسات العليا للتلوث وصحة البيئة للعام الدراسي ١٩٩٠/١٩٩١م في كلية الصيدلة ، كما وافق المجلس على قبول حوالي (٢٠٠) طالب وطالبة في دبلومات الدراسات العليا المفتتحة أخيراً بهدف تأمين الكادر التدريسي واستكمال جهاز الهيئة التدريسية لمختلف الاختصاصات في مختلف أقسام كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ووافق أيضاً على قبول حوالي (١٥٠) طالباً وطالبة في أقسام كلية العلوم . (الثورة ٢٣/٩/١٩٩٠)

* ماجستير بالإنكليزية بجامعة تشرين :

أصدر كمال شرف وزير التعليم العالي قراراً يخوّل فيه كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة تشرين باللاذقية منح درجة الماجستير في اللغة الإنكليزية .

إهداءات إلى مكتبة الأسد

تلقت مكتبة الأسد مؤخراً كتباً كثيرة هدايا من قبل بعض العلماء أو ورثتهم .. وبذلك تزخم مكتبة الأسد بكميات كبيرة من الكتب والمجلات والحاسبات الالكترونية والتقنيات المكتبية الحديثة خلال فترت قصيرة مما يرفع قيمة المكتبة العلمية والنوعية والمعلوماتية يوماً بعد يوم .

– فقد ذكرت صحيفة تشرين في ٢٨/٦/١٩٩٠ أن مكتبة الأسد تلقت مؤخراً هدية من ورثة عبدالهادي هاشم هي مكتبته الخاصة التي ضمت نحو (٣٥٠٠) كتاب ودورية بالعربية وبعض اللغات الأجنبية ..

– كما تلقت المكتبة مؤخراً هدية قيمة أخرى من ورثة عزت حصرية ، وتضم هذه الهدية المجموعة الكاملة من جريدة (العلم) ومجموعة كتب من مكتبته الخاصة ، وذلك تلبية لوصيته قبل وفاته .. وقد أحيلت مجلدات الجريدة إلى قسم الترميم في المكتبة من أجل صيانتها وترميمها لتوضع بعد ذلك في خدمة المهتمين والجمهور ، هذا ماورد في صحيفة تشرين بتاريخ ٣١/٧/١٩٩٠م.

– وذكرت صحيفة تشرين أيضاً بتاريخ ١٧/٧/١٩٩٠م أن المكتبة تلقت هدية من مكتبة فاخر عاقل الأستاذ في جامعة دمشق وتضم نحو (٢٥٠٠) كتاب (وفي صحيفة الثورة أنها ٤٠٠٠ كتاب) معظمها في مجالات علم النفس والاجتماع والفلسفة ..

ويذكر أن هذه المكتبات المهداة ستحتفظ بها مكتبة الأسد في خزانات خاصة مع المكتبات الخاصة الست التي تلقتها المكتبة حتى الآن ، وسينجز لها فهارس خاصة لتوضع في سجل الهدايا والتكريمات ، ويسجل أسماء أصحابها في سجل الشرف الخاص بالإهداءات ، ومن ثم ستوضع هذه المكتبات في خدمة المواطنين للاستفادة منها .

– ومن جانب آخر ذكرت صحيفة الثورة بتاريخ ٥/نيسان/١٩٩٠م أن المكتبة تلقت مؤخراً هدية قيمة من المدير العام لشركة شل ، والهدية عبارة عن جهاز حاسب الكتروني قارىء للأقراص الليزرية مع مجموعة من هذه الأقراص تحوي معلومات موسوعية هامة . ويذكر أن المكتبة بدأت باستخدام هذا الجهاز الذي يستطيع تخزين معلومات كثيرة على أقراص الليزر واسترجاعها بسرعة ووضوح مما يعني خدمة كبيرة للباحثين والدارسين والمهتمين .

محاضرات

– برعاية علي عقلة عرسان رئيس اتحاد الكتاب العرب ألقى أوليفيه بوافر دارفور محاضرة عنوانها (المكتبات الكبرى في العالم) وذلك في السابع من نيسان ١٩٩٠ في قاعة المحاضرات بمقر الاتحاد بدمشق .

– ألقت الخبيرة الأمريكية كاترين فان دي فايت محاضرة في مكتبة الأسد بعنوان (مَنْ هو المكتبي : خازن للكتب أم متخصص بالمعلومات ؟) وذلك بتاريخ ١٥/٧/١٩٩٠م.

– بدعوة من جمعية العاديات بحلب ألقى وضاح محيي الدين أمين متحف الآثار العربية الإسلامية بحلب محاضرة بعنوان (ابن العديم مؤرخ حلب وسفيرها لدى الملوك) وذلك في آذار عام ١٩٩٠م.

– ألقى علي أبوعساف المدير العام للآثار والمتاحف محاضرة بعنوان

(المصادر القديمة في تاريخ دمشق) وذلك بتاريخ ٢٠/٣/١٩٩٠م.

- ألقى عبداللطيف الارناؤوط محاضرة في قاعة محاضرات اتحاد الكتاب العرب بدمشق بعنوان (أضواء على أدب الرسائل عند المرأة) وذلك بتاريخ ١٤/٥/١٩٩٠م

- ألقى عزت مريدن محاضرة في مكتبة الأسد بالتعاون مع جمعية أصدقاء دمشق بعنوان (رسالة الطب والعلوم بين العرب والغرب)وذلك بتاريخ ٣٠/ أيار/ ١٩٩٠م .

جوائز

- جائزة ألمانية لكاتب سوري :

تسلم الكاتب السوري الأصل رفيق الشامي جائزة أدب الخيال (زمار هيملين) مدينة فيتسلا الألمانية وهي الجائزة الثالثة منذ إنشائها عام ١٩٨٤ وذلك عن مؤلفه (راوي الليل) أو (رواة الليل) وتبلغ قيمة الجائزة ٤٧٠٠ دولار ، واختارت لجنة التحكيم عمل الشامي من بين (١٦٣) عملاً مرشحاً وذلك - حسب قولها - إن الشامي قد نجح في مزج الخيال بالواقع في روايته ولإبرازه الواضح لسمات الشرق فيها ، ويذكر أن هذه الجائزة تمنح سنوياً لأفضل كتاب في أدب الخيال يُنشر في ألمانيا . (الثورة ١٧/٥/١٩٩٠م تشرين ١٨/٩/١٩٩٠م بتصرف)

- جائزة من نادي الطائف الأدبي لكاتب سوري :

فاز الأديب والكاتب السوري إسكندر نعمة بالجائزة الرابعة في مسابقة نادي الطائف الأدبي الثقافية الثالثة عشرة لعام ١٩٩٠م عن قصته (السباحة في الاتجاه المعاكس) ، والفائز عضو في اتحاد الكتاب العرب ، وله مساهمات أدبية في مجالات القصة وقصص الأطفال والناشئة، وقد صدرت له : عطاء السنابل - للأطفال ، لن يموت الحب - قصص للناشئين ، انتظار للفرح القادم - قصص ، أجمل ما في الحياة - عيون تعشق المطر - قصص قصيرة . (تشرين ٢٤/٦/١٩٩٠م)

- جائزة عربية لشاعر سوري :

.. حاز جمال الدين خضور الراوئي والشاعر السوري على الجائزة الثانية في مسابقة الشعر العربية التي تمنحها جماعة (رؤيا) في الإسكندرية . وهي مسابقة قومية تهدف إلى تأكيد التواصل الإبداعي العربي ، والجدير بالذكر أن جمال الدين خضور - وهو جراح قلب - قد أصدر روايته الأولى «الظل الدائري» منذ سنتين ، وقد لاقت استحسان النقاد في عمق هدفها الاجتماعي وتجربتها الروائية . (الثورة ٣١/٥/١٩٩٠م) .

نشرات جديدة

الاتصالات :

صدرت نشرة جديدة بعنوان (الاتصالات) وهي نشرة علمية تصدر عن المؤسسة العامة للمواصلات السلكية واللاسلكية في سورية ، يرأس تحريرها مكرم عبيد ، وقد صدر عددها الثاني في نيسان ١٩٩٠م بدمشق ، ومن الأبحاث التي نشرت في هذا العدد :

- دراسة حول المسافات البعيدة / هاشم شحود وأسعد البطل .
- عرض موجز لكتاب المعوقات والاتصالات والتطور/ إيجاز وترجمة ليلى النابلسي .

إضافة إلى الأخبار والأنشطة العربية والدولية في مجال الاتصالات .

- الجلد :

صدرت نشرة جديدة بعنوان (الجلد) وهي نشرة غير دورية أصدرتها الجمعية العربية السورية لطب الجلد ، وتهدف هذه الجمعية كما في المادة الثانية من نظامها الأساسي إلى رفع المستوى العلمي لطب الجلد والأمراض الجلدية ، وتنشيط الثقافة الطبية والاجتماعية لأصحاب هذا الاختصاص ، وتنمية التآلف والتآزر بينهم ، وقد صدر العدد الأول من هذه النشرة في أيار ١٩٩٠م ، من أبحاث العدد الأول :

- الداء التجريبي في جلد الإنسان / غانم رسلان
- التحسس للطعام / مرهف حجار
- الذقن والحلاقة / بشار أبو غزالة
- معالجة الجرب عند الأطفال / مي كويتر

- النشرة الاقتصادية :

صدرت نشرة جديدة لغرفة تجارة دمشق وهي (النشرة الاقتصادية)، نشرة غير دورية (العدد الأول ١٩٩٠) ، وكانت أبواب هذه النشرة كالتالي : (غرفة تجارة دمشق ، التجارة الداخلية ، التجارة الخارجية ، الوطن العربي ، أعلام من التاريخ ، دراسات ، تاريخ ووثائق ، علم ..)

متفرقات

- المكتبة الظاهرية ومتطلبات الحفاظ على صرحها الحضاري

نقلنا في رسالتنا الثقافية السابقة معلومات هامة عن مكتبة الأسد الوطنية في سورية بمختلف جوانبها ونشاطاتها ، وذلك في حوار مع مدير المكتبة ، وفي هذه الرسالة نورد حديثاً ، ولكن هذه المرة عن مكتبة أخرى عريقة هي المكتبة الظاهرية ، مع ماجد الذهبي مدير المكتبة الظاهرية بدمشق ، وذلك لمعرفة أهم مميزات المكتبة وما يعوق تقدمها والركب الحضاري والمكتبي الحديث ، وقد نشرت هذا الحديث صحيفة الثورة في عددها (٨٢٥٣) بتاريخ ١٦/أيار/ ١٩٩٠م وهو كما يلي :

كتب غازي حسين العلي : قدمت المكتبة الظاهرية ، عبر السنوات الماضية الكثير من الخدمات للطلبة والباحثين ، ولكونها صرحاً حضارياً هاماً من صروح ثقافتنا المعاصرة فإن الاهتمام بها هو واجب وطني قبل كل شيء .

وفي حديث خاص للثورة تحدث الأستاذ ماجد الذهبي مدير المكتبة قائلاً :

إن عدد رواد المكتبة الظاهرية سنوياً بحدود (١٢٥)ألفاً ، وعلى الرغم من افتتاح مكتبة الأسد ، فإن هذا العدد لم يقل عما كان عليه في السنوات الماضية ، وذلك أن المكتبة الظاهرية تتميز بقدم الكتب التي تحتويها ، إضافة إلى كونها تقع في منطقة شعبية مما يسهل ارتيادها من قبل الباحثين والطلبة .

وأضاف الأستاذ الذهبي قائلاً : يوجد في المكتبة الظاهرية ثلاث قاعات :

الأولى :قاعة مصطفى الشهابي ، وهي لغير المستعيرين وللدراسة فقط
والثانية : قاعة الشيخ طاهر الجزائري ، وهي للمستعيرين .
والثالثة : قاعة خليل مردم ، وهي للباحثين ، حيث تتوفر لهم الكتب المطلوبة لدراساتهم وبحوثهم .

وعن التبرعات التي تصل للمكتبة يقول الأستاذ الذهبي : إنه دخل المكتبة عدد من المكتبات الخاصة على شكل إهداءات ، وأهم الذين أهدوا مكتباتهم هم : المرحوم عبدالغني القادري وعددها ٩٤٦ كتاباً ، ومكتبة المرحوم محمد طاهر أبوحرب وعددها ٩١٩ كتاباً ، ومكتبة المرحوم أحمد صدقي الكيلاني وعددها ٥٧٨ كتاباً ومكتبة المرحوم الدكتور رشاد الجاسم وعددها ٤٦٤ كتاباً ، ومكتبة المرحوم محمد عارف المنير وعددها ٢٤٤ كتاباً ومكتبة الدكتور محمد جميل الخاني وعددها ٢٤١ كتاباً ، ومكتبة المرحوم سعيد الخاني وعددها ١٩٠ كتاباً ، ومن المكتبة البطريركية وعددها ١٧٩ كتاباً ، ومكتبة رفيق التميمي وعددها ١٧٣ كتاباً بالإضافة إلى كتب محمد كرد علي وخليل مردم والأمير مصطفى الشهابي .

وعن متاعب المكتبة الظاهرية يقول الأستاذ الذهبي : تعاني المكتبة من عدة أمور هي :

١ - قلة عدد الكتب التي تجلد والسبب هو ضيق ميزانية مجمع اللغة العربية الذي تتبع له المكتبة .
٢ - تناقص عدد الموظفين بشكل مستمر .
٣ - عدم توفر التقنية الحديثة ، مما يسبب المتاعب لموظفي الإعارة .

وأضاف الأستاذ الذهبي قائلاً : يوجد في المكتبة عدد من أمهات الكتب التي طبعت منذ العهد الأول للطباعة العربية والأجنبية ودوائر المعارف وعدد كبير من الكتب الرئيسية في شتى فروع الثقافة المعروفة في العالم والتي تعود إلى أكثر من مائتي سنة . اهـ

- دورة عن أصول ترميم المخطوطات :

أقامت مكتبة الأسد في شهر آذار ١٩٩٠م دورة تدريبية عن أصول ترميم المخطوطات لمتدربين من عدد من الدول الإسلامية بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الايسيسكو) .

وشارك في الدورة متدربون من موريتانيا والسودان والسنغال والباكستان ، وهدفت إلى رفع كفاءة العاملين في مجال ترميم المخطوطات في الدول الإسلامية .

ويذكر أن هذه الدورة هي الثانية التي أقامتها المكتبة بالتعاون مع الايسيسكو في هذا المجال . (تشرين ٢١/٣/١٩٩٠م)

- مكتبة الأسد توثق الفن التشكيلي السوري :

بتكليف من إدارة مكتبة الأسد يقوم محمد حسام الدين بتوثيق الحركة الفنية التشكيلية السورية المعاصرة بالمعلومات والصور ، وقد قطع شوطاً جيداً في هذا العمل الذي يأتي ضمن خطة كبيرة للمكتبة تقصد توثيق الحياة الفنية والأدبية في بلدنا من أجل تسهيل عمل الدارسين وحفظها للأجيال القادمة .. ويبدأ التوثيق منذ بداية القرن الحالي حتى يومنا هذا ، وسوف توثق المعلومات في استمارات لتجمع في كتاب يوزع ضمن النشاط الثقافي للمكتبة وعلى جميع المراكز الثقافية والجامعات داخل القطر وخارجه . (الثورة ٤/٨/١٩٩٠م)

- إنجاز موضوعات المجلد الأول من الموسوعة العربية :

ذكرت صحيفة تشرين بتاريخ ١٩٩٠/٨/٧م في تقرير خاص أنه تم في دمشق إنجاز كل الموضوعات المتعلقة بحرف الألف من الموسوعة العربية التي تشرف عليها وتتولى إصدارها هيئة رسمية علمية مرتبطة برئاسة الجمهورية .. ويضم مجلس إدارتها شاكر الفحام ، نعيم اليافي ، عبدالحليم سويدان ، بديع الكسم ، إحسان النص ، عصام بشور ، عدنان تكريتي ، طاهر تربة دار .

وقد أفاد شاكر الفحام بأن الموسوعة ستقع في (٢٤) مجلداً ، وأن المجلد الأول قد أصبح قيد الطباعة بعد ما أنجزت مواده .

والموسوعة العربيه هذه يكتبها ويعدها مؤلفون وباحثون عرب ، وهي لا تشبه غيرها من حيث معالجة الحضارة العربية فقط ، بل هي موسوعة شاملة جامعة لكل الموضوعات .. فيجد القارىء فيها معلومات عن الموضوع الذي يفيده ، وتتبع النهج الهجائي (الألفبائي) من حيث الترتيب ..

- دكتوراه شرف لطالب سوري في المجر :

نال صالح الدين نورالدين الطالب في أكاديمية العلوم المجرية شهادة دكتوراه بمرتبة شرف على رسالته «تصرف بلورات السيليكون الأحادية كنصف ناقل أثناء معالجتها الحرارية وعلاقة ذلك بالعمليات التكنولوجية» . والجدير بالذكر أن هذه المرتبة لم يسبق لأي طالب أجنبي أن حصل عليها في علوم الفيزياء - الكهرباء من أكاديمية العلوم المجرية

(تشرين ١٨/٤/١٩٩٠م)

وفيات

• أحمد الجندي :

توفي في التاسع من شهر تموز لهذا العام ١٩٩٠م الشاعر والمحقق أحمد بن علي الجندي ، وهو من مواليد سلمية من أعمال محافظة حماة ١٣٢٨هـ - ١٩٠٩م ، تعلم القراءة والكتابة باللغتين التركية والعربية في بلدة (بيله جيك) التركية لوجود والده فيها منفياً مما دفع والده إلى سلمية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، أكمل دراسته الابتدائية في سلمية ، ودخل المدرسة الزراعية فيها ، ونال الشهادة الثانوية في دمشق ، ونال إجازة معهد الحقوق بدمشق · عمل في التدريس في حمص وطرطوس، ثم عين في وزارة الداخلية بمحافظة الحسكة وتولى رئاسة ديوانها ، ثم نقل إلى دمشق ، ثم تولى رئاسة ديوان مجمع اللغة العربية بدمشق · عضو لجنة الشعر في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب في دمشق ، كان متزوجاً وله أولاد · نشر قصائد ومقالات في المجلات العربية · كان له حديث أسبوعي في إذاعة دمشق حول الموسيقيين العرب· أحيل على التقاعد في آخر عام ١٩٧١م · ساهم في مهرجان أبي تمام في الموصل في ١١/١١/١٩٧١م ، وألقى فيه قصيدة · له إلمام بالألحان الموسيقية العربية ويعزف على آلة العود أحياناً قليلة ·

صدر له :

١ - شعراء سورية - بيروت دار الكاتب الجديد ، ١٥٩ص ، ١٩٦٥م ·

٢ - ديوان ابن النقيب (تحقيق) بالاشتراك مع عبدالله الجبوري ومراجعة أحمد الجندي ، ٣٤٣ص ، ١٩٦٥م ·

٣ - جمهرة المغنين تأليف خليل مردم بك تحقيق بالاشتراك مع عدنان مردم بك ·

٤ - الأعرابيات تأليف خليل مردم بك تحقيق بالاشتراك مع عدنان مردم بك ·

٥ - ديوان فتيان الشاغوري (تحقيق) المطبعة الهاشمية ٦٨٤ ص ، ١٩٦٧م ·

٦ - قطب السرور في أوصاف الخمور ، تصنيف أبي إسحاق إبراهيم المعروف بالرقيق النديم (تحقيق) ·دمشق : المطبعة التعاونية ، ٨١٦ص، ١٩٦٩م · مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ·

٧ - ديوان عرقلة الكلبي ، (حسان بن نمير) ٤٨٦ - ٥٦٧ ، (تحقيق) دمشق مطبعة دار الحياة ، ١٣٤ ص ، ١٩٧٠م ·

٨ - ديوان ابن الأحمر الباهلي · (مراجعة وإشراف)·

اعتمدنا في ترجمته على كتاب (معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين) · عبدالقادر عياش ·- ط١ ·- دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م · ص ١٠٤ - ١٠٥ ·

• عمر أبو ريشة :

نعت وزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب وآل الفقيد رحيل الشاعر العربي عمر أبو ريشة الذي توفي في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض في منتصف ليل ١٤/٧/١٩٩٠م إثر معاناة طويلة مع المرض · وقد نقل جثمانه بطائرة سعودية خاصة ليوارى في مسقط رأسه في حلب بناء على وصيته ·

ولد الشاعر عمر أبو ريشة في بلدة منبج بالقرب من مدينة حلب سنة ١٩٠٨م وقد تعلم في مدارس حلب ، وأتم تحصيله الثانوي في جامعة بيروت الأمريكية عام ١٩٢٤م ، بعد ذلك أوفده والده إلى إنكلترا لدراسة صناعة النسيج ، لكن تحول عن هذا الاتجاه واستجاب لنزعته الفنية وميله إلى الشعر، ومنذ ذلك الحين ظهر الانعطاف الأدبي في قريحته ، فعدل عن مجاراة الأقدمين والنسج على منوالهم في أساليب الصنع البديعية والصور الحسنة التقليدية ، وأخذ يشق لنفسه طريقه الخاص بطموح وأصالة في إطار المنازل الرومنسية ، ثم لم يلبث أن غدا قمة في الشعر العربي الحديث ، وخطا خطوات واسعة في مضمار الحياة الأدبية في سورية والوطن العربي ·

كان عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وعضو الأكاديمية البرازيلية للآداب كاريوكا ، وعضو المجمع الهندي للثقافة العالمية ، كما أنه قضى معظم حياته الوظيفية سفيراً للجمهورية العربية السورية ، فقد كان وزيرها المفوض في البرازيل ١٩٤٩ - ١٩٥٣م ، ثم وزيرها المفوض للأرجنتين والشيلي ١٩٥٣ - ١٩٥٤م ، ثم سفير سوريا للهند ١٩٥٤ - ١٩٥٨م ، ثم سفير الجمهورية العربية المتحدة للهند ١٩٥٨ - ١٩٥٩م ، ثم للنمسا ١٩٥٩ - ١٩٦١م ، ثم سفير سوريا للولايات المتحدة الأمريكية ١٩٦١ - ١٩٦٣م ، ثم سفيرها للهند ١٩٦٤ - ١٩٧٠م ·

كان يحمل الوشاح البرازيلي ، والوشاح الأرجنتيني ، والوشاح النمساوي ، والوشاح اللبناني برتبة ضابط أكبر ، والوشاح السوري ، الدرجة الأولى ، وطوق الغار من الأكاديمية البرازيلية ، وكان قد منح مؤخراً أوائل هذا العالم ١٩٩٠م وسام الاستحقاق اللبناني من الدرجة الأولى كما أشرنا إلى ذلك في رسالتنا السابقة · وللشاعر ثلاثة أولاد هم شافع ورفيف وريف ·

من باكورة أعماله الأدبية مسرحية شعرية بعنوان «ذي قار» ثم ديوانه الذي صدر لأول مرة عام ١٩٤٨ ولا يضم كل أشعاره ، ثم نشرت دار العودة في السبعينات ديوانه شبه الكامل الذي أعيدت طباعته مراراً.

وله مجموعة أعمال بدأها ولم ينجزها ، مثل مسرحية (الطوفان) ومسرحية (سمير أميس)وملحمة كبرى تتحدث عن أمجاد العرب المسلمين لم يظهر منها سوى قصيدة محمد صلى الله عليه وسلم . وعلى كل سنشير إلى أعماله فيما يلي :

١ - من عمر أبو ريشة (ديوان شعر) بيروت : مطبعة الكشاف ٣٠٠ص ، ١٩٤٨م.

٢ - شعر ؛ حلب : مطبعة العصر الجديد ، ٢٢١ ص . ١٩٣٦م.

٣ - مختارات من شعره ، بيروت : مطبعة الكشاف ٢٩٣ ص ١٩٥٩م.

٤ - تمنيت في مأتمي (شعر) ، بيروت : دار العودة ، ١٤٢ ص ١٩٧٠م.

٥ - محكمة الشعراء - كوميديا شعرية ، ١٩٤٠م.

٦ - الطوفان - عذاب (مسرحيتان شعريتان) ١٩٤٧م .

٧ - ديوان عمر أبو ريشة (شامل لشعره) ، صدر منه المجلد الأول في بيروت : دار العودة ، ٦٣٧ ص ١٩٧١م .

هذا ومما يجدر ذكره أن يوسف عبدالأحد كان قد أنهى مؤخراً دراسة موسعة حول حياة وأعمال الشاعر أبي ريشة ضمنها ثبتاً شاملاً بالمقابلات والأحاديث الصحفية التي أجريت معه ، وكذلك بالآراء النقدية التي قيلت في تجربته في الصحف والمجلات العربية وغير العربية ، كما أنه لم يهمل الإشارة إلى الكتب التي ورد ذكره فيها ، وتعتبر هذه البيليوغرافيا وثيقة شاملة تؤرخ لحياة شاعر كبير قدّم الكثير من الأعمال الشعرية التي تقف في طليعة شعرنا المعاصر .

وكأنموذج لشعره نذكر ماجرى عندما أصبح يرحمه الله الملك فيصل ملكاً على السعودية ، كان يطلب من الشاعر أبي ريشة أن يقرأ شيئاً من أشعاره في منى ، أيام موسم الحج ، ولقد كتب أبو ريشة قصيدة خالدة إذ ذاك دخل فيها أعماق الإنسان وعالج بكل موضوعية النفس البشرية فقال:

أنا فـي موئـل النبوة يا دنيـا	أؤدي فرائـض الإيمـان
أسأل النفس خاشعاً أترى طهرت	بردي مـن لوثـة الأردان
كم صلاة صليتُ لم يتجاوز	قدس آياتها حـدود لسانـي
كم صيام عانيتُ جوعـي فيـه	ونسيت الجياع من إخوانـي
كم رجمتُ الشيطان والقلب مني	مرهق في حبائل الشيطـان
ربّ عفواً إن عشت ديني ألفاظاً	عجافاً ولـم أعشـر معانـي

وأخيراً يجدر ذكر ما قاله الرئيس الهندي نهرو في حفل وداع عمر أبو ريشة عندما أنهى خدمته الدبلوماسية الأولى في الهند : «إننا اليوم لا نودّع سفيراً ما ، كثيرون هم أولئك السفراء الذين يأتون ويذهبون .. إننا نودع اليوم في هذا الرجل القيم العظيمة للإنسان» .

وبوفاة شاعرنا أبي ريشه يفقد الشعر العربي أحد أساطينه في العصر الحديث والمعاصر . (انظر : تشرين بتاريخ ١٦/٧/١٩٩٠م - و٢٩/٧/١٩٩٠م . والثورة : بتاريخ ٧/نيسان/١٩٩٠م وانظر أيضاً معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين / عبدالقادر عياش ص ١١و١٢ كل ذلك بتصرف وصياغة جديدة) .

دوريات

- الآداب الأجنبية :

صدر العدد المزدوج ٦٣ و٦٤ ربيع وصيف ١٩٩٠م من مجلة (الآداب الأجنبية) .

من مواد هذا العدد :

- الألسنية والأدب / جان ايف تادبيه . ترجمة قاسم المقداد .
- موقف الكاتب من أدب القرن العشرين / نيكولاي انا ستاسييف . ترجمة حكمت لميا .
- ميريام / ترومان كابوتي . ترجمة أسامة اسبر سعيد .
- فياض خميس - شاعر كوري كبير من أصل عربي / ترجمة رفعت عطفة .
- السلام في البيت - ملهاة من فصل واحد / جورج كورتلين . ترجمة خالد حداد .
- كتاب سوفيت وألمان يتحدثون عن عالمهم الجديد / بثينة شعبان .
- المستعرب الأسباني خيسوس ريوساليدو باحثاً وشاعراً/عيسى فتوح .

- الاقتصاد :

صدر العدد ٣١٩ آب ١٩٩٠ / السنة الثالثة والعشرون من مجلة (الاقتصاد) الصادرة في دمشق .

من مواد هذا العدد :

- المشاكل النظرية أمام قانون تناقص الغلة / أسعد محمد الرأس .
- صناعة الحديد والصلب العربية وإمكانيات المستقبل/ يونس حيدر.
- واقع واتجاهات صناعة الإسمنت في الوطن العربي والعالم ١٩٨٠ - ١٩٨٨/ أحمد الروسان.
- أهم الأحداث الاقتصادية العربية والعالمية / إعداد عزت عجاج .
- المكتبة الاقتصادية .. تقرير مناخ الاستثمار في الدول العربية لعام ١٩٨٨م/ عرض مصطفى العبدالله .

- بناة الأجيال :

صدر العدد ١١٩ آذار ١٩٩٠م من مجلة (بناة الأجيال) التي تصدر بدمشق .

من مواد هذا العدد :

- أهداف تدريس اللغة العربية / محمود السيد .
- فجوة بين البحوث التربوية والتدريس / كهيلا بوز .

شجار التلاميذ ومهمة المعلم / غسان شحرور .
- آراء في التربية / محمد الدنيا .
- دعوة إلى العناية بالخط / صلاح الدين الصيرفي .
- الأطفال والخوف / إسماعيل الملحم .
- مستقبل القصيدة العربية / علي محمد أمين .
- الأبناء في شعر الآباء / حمزة جميل جانم .
- أمي / قصيدة جميل كنعان .

- التأمين العربي :

صدر العدد الرابع والعشرون السنة الثامنة - كانون الثاني - شباط - آذار ١٩٩٠م من المجلة المتخصصة في أعمال التأمين . وهي تصدر في دمشق .

من أبحاث هذا العدد :

- المبادىء القانونية العامة للتأمين / خالد أبو قورة .
- شروط وثيقة التأمين من الحريق / خليل أبو الروس .
- شروط وثيقة التأمين من الحوادث الشخصية / عبدالجبار أخلاقي .
- عقود تأمين الحياة / محمد وليد الشربجي .
- كيفية تطوير التأمين على الحياة في منطقة الخليج العربي / محمد نايف عمر نور الدين بسيسو .
- تقدير الكلف وتحليل الأسعار عند التفكير بإدخال نظام الكمبيوتر / ترجمة صباح داود حداد .
- دور نوادي وهيئات الحماية والتعويض في تأمين مسؤوليات أصحاب السفن / العيادي محمد الغرياني .
- التأمين في المغرب .

- التراث العربي :

صدر العدد المزدوج ٣٧ - ٣٨ / ١٩٨٩ - ١٩٩٠م من مجلة (التراث العربي) .

احتوى هذا العدد الضخم على أبحاث قيمة منها :

- فن الحدائق ونصوص في التراث العربي/ عبدالكريم اليافي .
- علم الفلاحة في بلاد الشام/ محمد زهير البابا .
- علم الزراعة عند العرب وتأثيره في أوربا/ سيمون ذاكري . ترجمة سليمان حرفوش .
- مسيرة علم النبات عند العرب / إبراهيم بن مراد .
- خصائص اللحم وذبائح الحيوانات/ محمد مروان السبع .
- علم النبات في كتاب عجائب المخلوقات لزكريا القزويني/ أنس خالدون .
- ترجمان القرآن الكريم في يوغسلافيا/ المستشرق فتحي مهدي ، ترجمة محمد مو فاكو .
- صنعة الكتابة عند العرب / وليد سرّاج .
- نظرية الموهبة المصقولة وعدالة الناقد عند القاضي عبدالعزيز الجرجاني / مصطفى العلواني .

- الحرفيون :

صدر العدد ١٣١ السنة الرابعة عشرة ١٩٩٠م من مجلة (الحرفيون) ، وهي مجلة شهرية جامعة يصدرها الاتحاد العام للجمعيات الحرفية ، يرأس تحريرها سليمان عطايا رئيس مكتب الثقافة والإعلام بدمشق .

من مواد هذا العدد :

- الصناعات السورية .. نوع متميز من الفنون التطبيقية .. / عبدالمجيد أبو تراب
- من التراث الغابر لحرفة نسخ الكتب / خالد رستم .
- حمامات حلب .. معالم أثرية وتاريخية .. / بحث ودراسة وضاح مصطفى سواس .
- العلاقة الجدلية بين الثورة والثقافة / حسين حموي .
- النجار الشاعر والأديب والمسرحي .. وشيء من السيرة / إسماعيل عامود .
- اللغة العربية في جزيرة مالطا / عيسى فتوح .
- أمراض الجلد الحرفية / رياض سليمان عواد .
- قصة العدد : خبز الشفاء / فاروق سهيل .

- دراسات تاريخية :

صدر العدد المزدوج ٣٥ - ٣٦ آذار وحزيران ١٩٩٠م من المجلة العلمية الفصلية المحكمة مجلة (دراسات تاريخية) وهو عدد خاص بالندوة الثالثة للجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق بعنوان (ملكية الأرض وأثرها في التبدلات الاجتماعية والاقتصادية في الوطن العربي) .. وهذه الندوة عقدت في الفترة بين ٢٨ - ٣٠ تشرين الثاني ١٩٨٨م في مكتبة الأسد بدمشق .

لذلك جاء هذا العدد حصراً على الأبحاث التي ألقيت في هذه الندوة . تكون هذا العدد من ٣١٢ ص .

- الرائد العربي :

صدر العدد الثامن والعشرون / السنة السابعة / من مجلة (الرائد العربي) الفصلية الصادرة عن شركة الاتحاد العربي لإعادة التأمين - دمشق .

محتويات هذا العدد هي :

- الكتابة ، بين الإقدام والإحجام !!! / عداللطيف عبود .

- التأمين الزراعي / عبداللطيف عبود .
- تأمين الحياة الجماعي / جميل شفيق حمرا .
- وسيط التأمين العربي / مصباح كمال .
- القطاع العام والقطاع الخاص / كاظم حبيب .
- الدفاع عن حقوق الإنسان / خير الدين عبدالصمد .

- **الشرطة :**

صدرت الأعداد ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ ذو الحجة - محرم - صفر ١٤١١هـ الموافق تموز - آب - أيلول ١٩٩٠م (السنة الخامسة والعشرون) من مجلة (الشرطة) وهي مجلة تصدر عن إدارة التوجيه المعنوي في وزارة الداخلية بدمشق ، ويرأس تحريرها العميد ناصر الخوري ..

تنوعت أبحاث هذا العدد .. نختار منها :

- دور الجمهور ومساهمته في الحد من حوادث المرور / خلدون زريق .
- سمات القيادة الناجحة / مروان جوني .
- الانتروبولوجيا في العالم الرأسمالي / علي جباوي .
- المخدرات خطر كبير / إبراهيم سلوم .
- الآثار السورية القديمة / مأمون حربا .
- أخبار الظراف لابن الجوزي / محمد علي دقة .
- تحول الجنس بين الشريعة والقانون / فاروق الفحل .
- من مستجدات الفكر والعصر / معن نقري .

- **الطاقة والتنمية :**

صدر العددان ٦٢ - ٦٣ من مجلة (الطاقة والتنمية) وهي مجلة شهرية تصدر عن المجلس الإنتاجي للشركة السورية للنفط ، ويشارك في الإشراف والتحرير وزارة النفط والثروة المعدنية ووزارة الري ونقابة المهندسين فرع مدينة دمشق وهيئة الاستشعار عن بعد والجمعية الجيولوجية السورية وكلية الهندسة الكيميائية والبترولية في جامعة دمشق ، وهي تعنى بدراسة مصادر الطاقة التقليدية والمتجددة وشؤون التنمية والبيئة والري .

من محتويات هذا العدد :

- أخبار الطاقة والتنمية .
- السوفيات في الفضاء / كمال شاكر .
- أثر الكلف الشمسية على مناخ الكرة الأرضية / مفيد صالح باشا .
- الزلازل في سورية مع فهرس عن أهم الهزات الأرضية منذ عام ١٣٥٦هـ ق. م حتى ١٩٨٩م / إعداد إبراهيم خوجة .
- الزلازل ... هل يمكن التنبؤ بها ؟ / أحمد بويس .
- الغازات الصلبة وآفاق استثمارها / ترجمة وإعداد أمين سلوم .
- نحو مستقبل أقل تلوثاً / إعداد وترجمة نور الدين شريف .

- **عالم الذرة :**

صدر العدد العاشر - السنة الخامسة - كانون الثاني ١٩٩٠ من مجلة (عالم الذرة) وهي مجلة دورية تصدر ثلاث مرات في السنة عن هيئة الطاقة الذرية في الجمهورية العربية السورية ، وتهدف إلى الإسهام في نشر المعرفة العلمية باللغة العربية في الميدانين الذري والنووي ، وفي كل ما يتعلق بهما من تطبيقات . المدير المسؤول إبراهيم حداد المدير العام لهيئة الطاقة الذرية .

نجد في هذا العدد الأبواب التالية :

* ورقات البحوث (أعمال باحثي الهيئة المنشورة في المجلات العالمية)
* المقالات (ترجمة أو تأليف المختصين العرب) .
  - محاكات التأثيرات المناخية للحرب النووية / ترجمة زغيد النحاس .
  - تأثر وإفناء البروتونات المضادة والنوى / ترجمة محمد قعقع .
  - إحداث الطفرات لتحسين المحاصيل - نظرة عامة / ترجمة نزار الميرعلي .
  - البحث المختبري عن المادة الخفية / ترجمة مصطفى حمو ليلا .
* أخبار متفرقة
* التقارير العلمية (أعمال باحثي الهيئة غير المنشورة)
  - الضوء اللاخطي للذرات والجزيئات الحرة / محمد خير صبرة .
* معجم المصطلحات العلمية والتقنية في الطاقة الذرية (تعريب هيئة الطاقة الذرية في سورية وينشر هنا في أجزاء (الجزء التاسع من المعجم ويشمل الأحرف «L.M» ويقتصر على ثلاث لغات هي :(الإنكليزية - الفرنسية - العربية) .
* ملخصات باللغة الأجنبية عن الموضوعات المنشورة في هذا العدد .

- **العمران العربي :**

صدر العدد ١٩٩٠/٢/١٠٦ من مجلة (العمران العربي) وهي مجلة فصلية ذات صفة علمية تخصصية ..

من محتويات هذا العدد :

- دراسات في الطحن والطواحين / إعداد كامل الخطيب .
- الاختناقات في خزانات خليط الجمر الكلسي والحجر الغضاري (المخلوطة) في مصنع الإسمنت / إعداد عدنان عبيدات .
- مفاهيم اقتصادية أساسية في إجراءات حسابات التكاليف/ مصطفى جاموس .
- مصطلحات اقتصادية .

- **الفكر العسكري :**

صدر العدد الخامس أيلول تشرين أول ١٩٩٠ . السنة الثالثة عشرة من مجلة (الفكر العسكري) .

وُزعت أبحاث هذا العدد على الأبواب التالية : (استراتيجية - عمليات وتكتيك - عتاد وسلاح)

من هذه الأبحاث نختار :

- المذهب العسكري السوفيتي / بسام العسلي .
- المذهب العسكري لحلف الشمال الأطلسي (الناتو)/أحمد فرقش .
- الميزان العسكري في الولايات المتحدة الأمريكية/ عمر كربوج .
- الإنزالات الجوية في الدفاع / سليم حداد .
- أجهزة غائصة مضادة للألغام البحرية/ عبداللطيف جبور .
- الصاروخ الجوال الفرنسي «أباش»/ محمد الدنيا .

- **الكاتب الفلسطيني** :

صدر العدد ١٨ شتاء ١٩٩٠ من مجلة (الكاتب الفلسطيني) وهي مجلة فصلية تصدر عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين (لجنة العمل النقابية) بدمشق .

أبواب المجلة (كلمة الكاتب - مقالات ودراسات - تاريخ وتراث - أدب ونقد - قصة - شعر - حوار - شخصيات فلسطينية - وثائق وتقارير) .

من العناوين الواردة في هذه الأبواب نختار :

- الإرهاب الدولي والقانون الدولي / إبراهيم أبراش .
- الخلفية التاريخية للدعوة الوهابية من منظورالاستشراق السوفيتي : خطوة إلى الأمام ..أم خطوة إلى الوراء / تركي علي الربيعو .
- الحدود الآمنة في نظرية الأمن الإسرائيلي / حمزة برقاوي .
- إشكالية العلاقة بين المثقف العربي والسلطة والمجتمع/ غالب عامر .
- الجذور الأسطورية في أغنية «الطير الأخضر»/محمود مفلح البكر .
- الراية في نماذج من القصة الفلسطينية القصيرة /صادق عبدالرحيم .
- حوار مع الكاتب المسرحي اللبناني عصام محفوظ/ أكرم اليوسف .
- حوار مع الأديبة اللبنانية ليلى عسيران/ عماد بني حسن .
- ذكرياتي مع فايز علي الغول / نصري الجوزي .

- **الكلمة** :

صدرت الأعداد ١و٢و٣ كانون الثاني ، شباط وآذار ١٩٩٠ السنة الخامسة والستين من مجلة (الكلمة) مجلة الإحسان والأدب والاجتماع لسان حال مشاريع الكلمة الخيرية بحلب ، صاحبها ورئيس تحريرها المسؤول المحامي فتح الله صقال . وهي مجلة شهرية تصدر بحلب .

مواد هذه المجلة متنوعة ومتشعبة ومختصرة أي موجزة ، ولكن جل اهتماماتها تنصبُّ على اللغة العربية وآدابها ولهجاتها الحديثة والتراث .

من مواد هذا العدد :

- الكلمة في عامها الخامس والستين/ عبدالله يوركي حلاق .
- الجمال عند العرب / عبدالله يوركي حلاق .
- إحسان الوجود / شعر ميشيل مغزي .
- أوراق خاصة / هناء كرم .
- الميراث / عبدالسلام العجيلي .
- جولة في أسواق حلب القديمة / وضاح مصطفى سواس .
- صراع الوفاء / قصة أحمد عمرايا .
- العسل إكسير الحياة / أحمد جبارة .

- **المجلة الطبية العربية** :

صدر العدد ١٠٧ حزيران ١٩٩٠ من المجلة الطبية العربية التي تصدرها نقابة الأطباء في سورية ويرأس تحريرها عدنان تكريتي .

من محتويات هذا العدد :

- المجلات الطبية العربية في القرن التاسع عشر / عدنان تكريتي .
- جراحة القرص الفقري القطني في سورية / هشام بكداش .
- اختلاطات الداء السكري / عبدالغني الدباس .
- التهاب الأوعية الصفراوية المصلب / مروان جبان .
- تصنيف مضادات اللانظمية/ ترجمة مصباح العلوان .

- **المعرفة** :

صدر العدد المزدوج ٣٢٢ - ٣٢٣ تموز وآب ١٩٩٠م من المجلة الثقافية الشهرية ، مجلة (المعرفة) .

من أبحاث هذا العدد :

- التصور الحديث للعلم بين حكمة كريشنا مورتي وفيزياء دافيدبوهم/ ندرة اليازجي .
- رسائل إخوان الصفاء : هويتها ومحتواها/ سيد حسين نصر ترجمة سيف الدين القصير .
- الأدب وتمذجة الواقع / ميخائيل خرابجينكو ، ترجمة عادل العامل .
- مصطلح النقد العربي الحديث والمؤثرات الأجنبية فيه/ عبدالنبي اصطيف .
- الذاكرة .. / عيسى بعجانو .
- خصائص القصة القصيرة عند حسين عيد / حسين سيد لبيب .

- **المعلم العربي** :

صدر العدد الثاني لعام ١٩٩٠م من مجلة (المعلم العربي) وهي مجلة تربوية ثقافية قومية .

نختار من أبحاث هذا العدد العناوين التالية :

- التربية العلمية ودورها في بناء جيل الشباب / سليمان الخطيب .
- اللسانيات في ميادين التربية والوسائل السمعية والبصرية / شارل

بوتيه ، ترجمة قاسم مقداد .
- أضواء على التربية والتعليم في المنطقة العربية قبل الإسلام / جرجس ناصيف .
- حول أساليب التعليم / رتيادان ترجمة أديب يوسف شيش .
- الليل عند الشعراء / محمد ياسر علايا .
- الشام في ديوان شاعر الشام «شفيق جبري» / شوقي المعري .
- الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين الخطيب / نافع نومان .
- تكنولوجيا التربية في تطوير المنهج / تأليف دونتر ، عرض وتحليل نهى الدباغ .

- **الموقف الأدبي** :

صدر العدد المزدوج الممتاز ٢٢٧ و ٢٢٨ آذار ونيسان ١٩٩٠م من مجلة (الموقف الأدبي) الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق .. تعددت أبواب هذا العدد حيث نجد (قضايا الترجمة - مقالات في الأدب النسائي - أبحاث جديدة في المسرح العربي - القصص - الشعر - مراجعات - مناقشات - فهارس «الموقف الأدبي للسنة ١٩» ..) .

ومن العناوين التي وردت في هذه الأبواب نختار :

- الاحتفال والتراث وإشكالية الهوية / عبدالكريم برشيد
- تجربة نعمان عاشور وتجاوز المغلق والوثوقي/ عبدالرحمن بن زيدان .
- الترجمة في مضمار الحضارة بين الاستعراب والاستعجام/ حنفي بن عيسى .
- الترجمة والمصطلح / شحادة الخوري .
- مشكلات التعريب عن الألمانية / عبده عبود .
- الترجمة قديماً وحديثاً / نزار عيون السود .
- التجربة في شعر هند هارون / سعيد قنذقجي .
- تطور الإنتاج الروائي النسائي في سورية / هيام ضويحي .
- دمشق من خلال الأدبية السورية / سحر السيوفي .

- **نهج الإسلام** :

صدر العدد الواحد والأربعون - السنة الحادية عشرة - ربيع الأول ١٤١١هـ تشرين الأول ١٩٩٠م من مجلة (نهج الإسلام) وهي مجلة إسلامية فكرية فصلية جامعة تصدر عن وزارة الأوقاف في الجمهورية العربية السورية . تتضمن المجلة الأبواب التالية : (إسلام وعروبة - دراسات إسلامية - تراث وأعلام - مسائل للمناقشة - أدب وثقافة - دوحة الشعر - من وحي المنبر - طب وعلوم - خواطر وأفكار - استطلاعات - الحصاد الطيب - زوايا نهج الإسلام) .

ومن الأبحاث التي احتوى عليها هذا العدد نختار :

- نهج الإسلام في العام الهجري الجديد - أخطاء علمية وعملية لايجوز أن يقع بها الدعاة إلى الله / عبدالمجيد الطرابلسي .
- مرونة سياسية التشريع الإسلامي/ فتحي الدريني .
- لم ينته زمن الاستشراق / شوقي أبو خليل .
- هذا ما قلته في مهرجان الإمام علي (بلندن) / محمد سعيد رمضان البوطي .
- الشريعة ووحدة التشريع في البلاد العربية / وهبة الزحيلي .
- حالات مشروعية الحرب في الإسلام / إحسان هندي .
- أضواء على عمل المرأة المسلمة / محمد الزحيلي .
- الإسلام في أذربيجان في عهد المغول/ واقف ضياء الدين بيريبف .
- في أعتاب رسول الله / شعر نذير حسامي .
- خطبة الجمعة المختارة : العلم والإيمان ليسا ضدين ولاندين / مروان شيخو .
- الإسلام بين الأديان كالشمس بين الكواكب / عبدالكريم اليافي .
- قراءة في كتاب شذرات من كتب مفقودة في التاريخ لإحسان عباس / عز الدين النجار .

المراجعات والنقد

رحلة ابن فضلان إلى بلاد الصقالبة وإسكندينافية

محمد علي حسين الحويري

الرحالة ابن فضلان

هو أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد . كان مولى الخليفة العباسي المقتدر ، ومولى للقائد محمد بن سليمان الذي هزم الدولة الطولونية وأعاد مصر إلى حظيرة الخلافة العباسية ٢٩٢هـ/٩٠٥م
لم تذكر كتب التراجم الشيء الكثير عن حياته ، ولكن تحليل رسالته التي نحن بصددها تدل على أنه كان متميزاً بثقافة دينية وأدب رفيع وأسلوب جميل وورع وخلق وحب لنشر الإسلام وصدق في الحديث وعفة في الحال ، وتغلب عليه سذاجة لعلها ترجع إلى كبر سنه أو إلى حالته الخاصة .

لقد طلب « بلغار الفولغا » من الخليفة العباسي إرسال وفد من الوعاظ والمفتين والمرشدين لنشر الدين الإسلامي في تلك المناطق ، وتم هذا الطلب عبر وفد بلغاري يرأسه (عبدالله بن باشتو الخزري) الذي حمل رسالة من ملكهم (ألمش بن يلطوار) تطلب من الخليفة إرسال هذه البعثة في مهمة الدعوة إلى الإسلام لتفقه الناس بالإسلام وتبني لهم مسجداً ومنبراً يدعى عليه للخليفة وليبنوا حصناً يمتنع به المسلمون هناك من هجمات جوارهم من ملوك الخزر اليهود الذين كانوا يعتدون على المسلمين الصقالبة ، حيث يفرضون على كل بيت (جلد سمور) وكان ابن ملك الخزر يطلب من بنات الصقالبة من يريد ويأخذها غصباً وهو يهودي وهي مسلمة !

وقد رأى ابن فضلان في رحلته سعة أرض الصقالبة ووفرة خراجها ، فسأل ملكهم عن استنجاده بخليفة المسلمين ، فأجاب بأنه يتبرك بأموال المسلمين ويعتز بدولتهم .

وهذا يدل على سمعة بغداد ومكانتها العالمية ، حيث تسعى ملوك الأرض ليعقدوا معها الصلات والمحالفات ، حتى إن الصقالبة في شمال أوروبا وعلى أطراف (نهر الفولغا) - (نهر أثل عند العرب) يطلبون ود بغداد والتقرب إليها (١) .

كانت عاصمة الصقالبة على مقربة من (قازان) اليوم ، ومايزال بعض أطلالها قائمة على نحو ستة كيلومترات من شاطىء الفولغا الأيسر - عرض ٥٥ شمالاً وطول ٦٦ شرقاً .

ولئن لم يحدد التاريخ بوجه دقيق متى اعتنق البلغار الإسلام ، فإن ابن رستة في الأعلاق النفسية (٢٩١هـ/٩٠٣م) ذكر فيه أن أكثر مناطق البلغار قد دخلت في الإسلام ، وفي مناطقهم مساجد ومكاتب دائمة ومؤذنون ، وملابسهم تشبه ملابس المسلمين ، ولهم مقابر مثل مقابر المسلمين (٢) .

الرحلة

أمر الخليفة المقتدر الذي ولي الخلافة ٢٩٥ هـ - وقتل عام ٣٢٠هـ - بتشكيل وفد وسفارة إلى بلاد الصقالبة على النحو التالي :
أ) سوسن الرسي - رئيس الرحلة ، وهو من رقيق بلاد الروس ، تعلم العربية وحسن إسلامه ، وكان مولى - تذير الحرمي .
ب) تكين التركي الذي يجيد لغة الأتراك الذين سيمر الوفد عبر أراضيهم في طريقه إلى الفولغا .
ج) بارس الصقلابي ، وتدل كنيته على أصله .
د) أحمد بن فضلان ، فقيه الرحلة ومفتيها وقاضيها ، ويصحبه رسول الصقالبة عبدالله باشتو الخزري . وكان في الرحلة ثلاثة آلاف شخص عالم وعامل وطبيب ومهندس .

وقد كتب ابن فضلان موجزاً عن الرحلة بشكل تقرير رفعه إلى الخليفة المقتدر ، وعرف فيما بعد بـ (رسالة ابن فضلان في الروس) وقد نقل عنها الاصطخري والمسعودي في المسالك والممالك ، كما أخذ منها المسعودي في مروج الذهب ، وهي إحدى المصادر الرئيسية لياقوت في معجم البلدان .

لقد كانت الرحلة - البعثة أشبه بالبعثات والمساعدات التي يقدمها العالم المتحضر للدول النامية ، ولكن على نطاق أوسع بكثير كما يدل عليه عدد أفراد البعثة . وقد مضى على الرحلة أكثر من ألف عام ، ولايزال فيها كثير من المعلومات التاريخية والجغرافية الهامة لأبناء تلك البلاد .

فقد صعد الوفد شرقاً وشمالاً ماراً بإقليم الجبال - همدان - الري - نيسابور - مرو ، ثم ساروا مع نهر جيحون إلى بخارى ، حيث التقى ابن فضلان بوزير الساماييين العالم الجغرافي - الجيهاني - في أيلول٩٢١م- ثم تابعت البعثة طريقها إلى خوارزم عند بحر (آرال) وعبرت هضبة (أوست أورت)ثم نهر(يايق)(إيمبا) حيث وصلت بعده إلى حوض الفولغا .

الاهتمام بالمخطوطة

ونظراً لأهمية الموضوع لتاريخ اسكندينافيا فقد كلفت جامعة أوسلو-

النرويجية أحد أساطينها الكبار وهو "بير فراوس دولوس" بجمع أشتات رسالة ابن فضلان من بطون الكتب العربية والأجنبية وفي عدد كبير من اللغات . وأمضى "دولوس" سبع سنوات في جمع الرسالة [١٩٥٢ - ١٩٥٧م] وهي السنوات نفسها التي قضاها سامي الدهان في المهمة الشاقة نفسها بتكليف من محمد كرد علي ومجمع اللغة العربية بدمشق .

وقد جاء بعدهما الكاتب الروائي الأمريكي «مايكل كريشون» فصاغ رحلة ابن فضلان بأسلوب روائي عصري مثير دون تحريف لحرفية الأحداث وصدرت روايته "أكلة الأموات" عام ١٩٧٦م Eaters of the dead واكتسحت الأسواق حتى قالت « الديلي تلغراف » بأن الكتاب من أروع روايات السنة .

ويقول كريشون في مقدمته للكتاب : يعد مخطوط ابن فضلان أقدم تسجيل معروف كتبه شاهد عيان عن حياة الفايكنغ السكاندينافيين ومجتمعهم . فهو وثيقة فريدة من نوعها تصف بدقة متناهية أحداثاً وقعت قبل أكثر من ألف عام . ووصفت بتجرد العالم ودقة ملاحظته وبعده عن المبالغة والتهويل مجتمعاً أمياً جاهلاً قذر المظهر والعادات وثني المعتقدات يعيش على الحرب والعنف ، في وقت كانت فيه بغداد نقطة الإشراق والإشعاع الروحي والعلمي والاجتماعي والصناعي والتجاري . فكانت أزهى مدن الأرض قاطبة ، يقيم داخل أسوارها أكثر من مليون نسمة ينعمون برياضها الخضراء ورياحينها وورودها البسام وظلالها وأفيائها الوارفة .

لقد كان العرب في ذلك العصر سادة الدنيا وأكثر شعوب الكون انفتاحاً على الأمم الأخرى وأقلهم إقليمية وتعصباً ، مما جعلهم ملاحظين بشكل دقيق للثقافات الأجنبية .

لقد أثار مخطوط ابن فضلان جدالاً حاداً بين علماء الأنثروبولوجيا في الجامعة الغربية وخصوصاً وصفه الدقيق (للفيندال) - سكان الكهوف البحرية الذين كانوا يهاجمون مملكة الملك (روثغار) الذي ذهب ابن فضلان مرغماً مع جماعة من الاسكندينافيين للدفاع عنها . ولن ندخل في هذا الجدل الذي قام بعصبية المستشرقين وتنكرهم لماضي أجدادهم الوحشي المتخلف الذين احتفظ ابن فضلان بصورتهم الرهيبة وهم يرتدون خوذات لها قرون .

قدم ابن فضلان في رسالته صورة حية للظروف السياسية في العالم الإسلامي والعلاقات مع الدول المتاخمة في آسيا الوسطى أو الأصقاع النائية التي كانت تمثل العالم المتمدن في ذلك العصر مثل حوض الفولجا. وقد تحدث في رسالته عن القبائل التركية البدوية في آسيا الوسطى وبعض الشعوب المقيمة في أوروبا الشرقية كالبلغار والروس والخزر ، وكل ذلك بأسلوب قصصي أدبي ولغة حية لاتخلو من دعابة خفيفة غير مقصودة .

وقد أرسل الخليفة العباسي "السفارة" برئاسة (سوسن الرسي) وكان ابن فضلان فقيه الوفد ومستشاره الكبير ، وكانت بداية الرحلة من بغداد في ١١ صفر ٣٠٩هـ - ٢١ يونيو حزيران ٩٢١م . ووصلت بلاد البلغار في ١٨ محرم ٣١٠هـ - ١٢ مايو ٩٢٢م بعد أن مرت بهمدان والري ونيسابور ومرو وبخارى ، حيث التقى ابن فضلان في سبتمبر ٩٢١ بوزير السامانيين العالم الجغرافي الشهير "الجيهاني" ثم ساروا بالرحلة مع نهر جيحون إلى خوارزم عند بحر أورال وعبروا صحراء (أوست أورت) فنهر (بايق) حتى وصلوا حوض الفولجا . ولم يحفظ التاريخ خط سير الرجعة لأن خاتمة رسالته تناولها الضياع .

وقد ظل ياقوت المصدر الأساسي لرحلة ابن فضلان فيما نقل عنها حتى اهتمت بها الدوائر العلمية الروسية والسويدية والدانماركية . ومن معجم البلدان أخذ (فرين) مقتطفات منها ، فقد أفرد لها المستشرق الروسي "فرين" بحثاً رائعاً كان بدايته الموفقة لرحلة علمية استمرت ثمانين سنة في مجال الاستشراق . ثم اكتشفت المخطوطة الأصلية في العشرينيات من هذا القرن في (مشهد) الإيرانية ١٩٢٤م فاتسعت الدراسة عن ابن فضلان وتزايدت أهميتها بعد تطابق ترجمة (فراين) مع المخطوطة . ثم قام الباحث الروسي "كوفاليفسكي" ١٩٣٩م بدراسة علمية وافية للرسالة ، وبدأ التاريخ الجغرافي يتلافى الأخطاء التي وقع فيها الباحثون من قبل عن موضوع رسالة ابن فضلان (٣) .

كما قام التركي "زكي وليدي طوغان" بترجمتها إلى الألمانية مع أصلها العربي ، ولكن أفضل طبعاتها هي طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق التي قام بها سامي الدهان عام ١٩٦٠م .

تحدث ابن فضلان عن قساوة الطقس أثناء اجتياز - التركستان - فقال : "أقمنا بالجرجانية أياماً ، وجمد نهر جيحون من أوله إلى آخره ، وكان سمك الجمد سبعة عشر شبراً - وأنكر ياقوت ذلك في المعجم - وكانت الخيل والبغال والحمير تجتاز عليه كما تجتاز على الطرق وهو ثابت لايتخلخل ، فأقام على ذلك ثلاثة أشهر ، فرأينا بلداً ماظننا إلا أن باباً من الزمهرير قد فتح علينا ... وكان أتحف مايقدم للزائر الدفء والنار ... إلا أن الله سبحانه لطف بهم في الحطب وأرخصه عليهم (حمل عجلة من حطب الطاغ "الغض") بدرهمين من دراهمهم والحمل زهاء ثلاثة آلاف رطل . أقمنا بالجرجانية رجب وشعبان ورمضان وشوال بسبب البرد ، ولقد بلغني أن رجلين ساقا اثني عشر جملاً ليحملا عليها حطباً من بعض الغياض ، فنسيا أن يأخذا معهم قداحة وحراقة ، وأنهما باتا بغير نار ، فأصبحا والجمال موتى لشدة البرد . وقد كنت أنام في جوف بيت وفيه قبة

لبود تركية وأنا مدثر بالأكسية والفرى فربما التصق رأسي على المخدة .

ولقد رأيت (الجباب) - أوعية الماء - تكسى بـ "البوستينات" من جلود الغنم حتى لا تتشقق وتنكسر . وفي نصف شوال انحل نهر جيحون وتأهبنا للسفر ....

وتنقسم رسالته في وصف الرحلة إلى ثلاثة أقسام :

١- خصائص وعجائب بلاد البلغار .

٢- الكلام على عادات الخزر .

٣- ماجرى بعد اختطافه إلى مملكة روثغار ، عند نهر الفولغا .

بلاد البلغار

سارت الرحلة من الجرجانية سبعين يوماً إلى ديار ملك الصقالبة فوصلت في ١٢ محرم عام ٣١٠هـ وقد استقبلهم قبل فرسخين الملك وأولاده ، وخر ساجداً لله عز وجل ، ونثر عليهم الدراهم ، وأكرم الوفد ، وبعد خمسة أيام نشر الوفد المطارد ، ووقف الجميع لقراءة كتاب الخليفة، فردوا عليه السلام ، وكبر الناس تكبيرة ارتجت لها الأرض . ثم وصف الطعام والموائد وعجائب تلك البلاد ، ومنها أنه رأى رجلاً عظيم الخلقة قدم إليهم من أهل (ويسو) - سكان الشمال يعتقد البلغار أنه من قوم يأجوج ومأجوج - طوله (١٣ ذراعاً) ورأسه كأكبر القدور ، وأنفه أكبر من شبر وأصابعه كل واحدة شبر ... ثم وصف الطقس والغيم والضباب وأصواتاً غريبة يعتقد الناس أنها من الجن (٤) .

بلاد الخزر

قال : وأما ملك الخزر فاسمه خاقـــان ، لايظهر إلا كل أربعة أشهر متنزهاً ، ويقال له خاقان الكبير ، ويقال لخليفته (خاقان به) يدخل كل يوم على خاقان الكبير متذللاً خاضعاً حافياً وبيده حطب يوقده ويجلس على يمين الملك . وهذا النائب يتولى كل أمور الناس ، ولايباشر الخاقان الأكبر شيئاً من تدبير المملكة .

وإذا مات هذا الكبير تبنى له دار كبيرة فيها عشرون بيتاً ، يحفر له في كل منها قبر تفرش بالحجارة الناعمة والنورة ، ويجرون تحته نهرا حتى لايصل إليه إنسان ولا جان ولا دود ولا هوام ، وإذا دفن ضربت أعناق الذين يدفنونه كيلا يعلم قبره الذي يسمونه الجنة ، وتفرش البيوت كلها بالديباج المنسوج بالذهب .

وعادة ملك الخزر أن يكون له خمس وعشرون امرأة ، كلهن ابنة ملك من الملوك المجاورين ، يأخذها طوعاً أو كرهاً ، وله ستون من السراري ، لكل واحدة قصر مستقل ، له قبة مغشاة بالساج (خشب ثمين في الهند) ولكل منها خادم يحجبها . ومدة ملكهم أربعين سنة ، فإذا جاوزها قتلوه قائلين : (نقص عقله واضطرب رأيه) ولايسمح لجيشه بالهزيمة ولو قتل عن آخره ، فمن ولى الأدبار منهم قتل .

أما القواد وخليفته فيحضرهم عند الهزيمة ويحضر نساءهم وأموالهم وأولادهم فيهبهم لمن أراد بحضرتهم ، وصلب المنهزمين أو قطعهم نصفين وعلقهم بالشجر .

وللرحلة تفاصيل طويلة في تلك البلاد ، ولكن العنصر الهام في رسالة ابن فضلان هو اختطافه إلى منطقة الإسكندينافية .

فيتحدث عن تلك الرحلة بتفصيل واسع دفع المؤرخين في السويد والنرويج لترجمة الرسالة والاهتمام بها .

الرحلة إلى بلاد الشمال :

ما إن وصلت الرحلة إلى نهر الفولجا وهي تستعد لقطع الرحلة في شوطها الأخير حتى التقى ابن فضلان فجأة بأهل بلاد الشمال الذين وصلوا لتوهم إلى شواطيء نهر الفولجا ، ويتحدث ابن فضلان عن انطباعه الأول عنهم قائلاً : "لم أر في حياتي قط أناساً مردة كهؤلاء ، فهم طـوال كالنخيل ، محمرو الوجنات ، لايرتدون الجلاليب ولا القفطان ، يرتدي رجالهم ثوباً من القماش الخشن مردوداً إلى أحد جانبيه ، وخنجراً وسيفاً وسيوفهم عريضة ذات خطـوط متموجـة ، أما أجسادهم فمغطاة كلها بوشم من صور الأشجار والحيوانات وأشياء أخرى ... أما نساؤهم فيحملن على صدورهن صندوقاً صغيراً من الحديد أو النحاس أو الفضة أو الذهب وخاتماً مثبتاً على هذه الصناديق ، وفوق الخاتم خنجراً ، ويرتدين الأطواق الذهبية والفضية حول أعناقهن ... إنهم من أقذر خلق الله ، فهم لاينظفون أنفسهم بعد الذهاب إلى المرحاض ، ولايغتسلون بعد جنابة ، مثلهم مثل الحمر البرية" . وهم يأتون من بلادهم ويرسون سفنهم في الفولغا ، حيث يبنون بيوتاً خشبية يعيش في كل منها عشرة أو عشرون منهم ، ولكل رجل منهم مصطبة عالية يجلس عليها ويرفقه الفتيات الجميلات اللاتي أتى بهن لبيعهن .

بعد حلول الفايكنغ على نهر الفولجا مرض زعيمهم (غلف) فعزلوه في خيمة انتظاراً لموته ، واختاروا زعيماً جديداً اسمه (بيولف) وكان قوياً فارع الطول ذا جلد وشعر ولحية ناصعة البيـاض ، ومات الزعيم المريض ...... مددوه في قبره على مدى عشرة أيام حتى أتموا خياطة ثيابه ، ثم قسموا متاعه الشخصي ثلاثة أقسام ، ثلث لعائلته ، وثلث ثمناً للثياب التي كفن بها ، وثلث لمراسيم الدفن وولائمه ، وهو اليوم الذي تسلم فيه إحدى الفتيات نفسها لتموت مع سيدها .

وجاء يوم الدفن الذي ستلتهم فيـه ألسنة اللهب جثة (غولف) والفتاة ، فقربت سفينته من شاطيء النهر ، وأقيمت حولها أكوام الحطب، وبدأ الناس يمشون جيئة وذهاباً يرددون كلمات لم أفهمها ، فلغة أهل الشمال ثقيلة يصعب فهمها . ثم أتوا بسرير وضعوه في السفينة

وغطوه بالقماش اليوناني المذهب والوسائد المزركشة . ثم جاءت عجوز حيزبون شمطاء يسمونها - ملاك الموت - وكانت غليظة البنية لها ملامح تدخل الهلع إلى القلب ، وهي التي ستشرف على قتل الفتاة وتلبس الميت ثيابه الأنيقة وتنقله إلى السفينة ، وهناك تقتل الفتاة في السفينة مع مايقتل من الأحصنة والكلاب والثيران .... ثم يقترب أحد أقارب الميت وفي يده قطعة من الخشب الملتهب ويمشي عارياً إلى الخلف ويشعل النار في السفينة لتتحول إلى كتلة عاصفة من النيران الملتهبة .

لاحظ المترجم حزن ابن فضلان على مراسم الموت ووحشيتها فقال لابن فضلان : أنتم العرب قوم عجيبون ، تأخذون أحب رجالكم إليكم وأكثرهم احتراماً وتلقوم بهم تحت الأرض لتأكلهم الزواحف والديدان ، بينما نحرقهم في رمشة عين فلا يكادون يموتون حتى يدخلوا الجنة مباشرة !!

عرف ابن فضلان أن الزعيم المنافس لـ (بيولف) وهو (توركل) يعد العدة لقتله ، فيقرر الهرب على مبدأ "تهمة الجبن أفضل من الموت" ولكنه آثر البقاء حتى يسمحوا له بالرحيل من تلقاء أنفسهم .

اكتشف ابن فضلان أن أكثر مايثير الهلع والرعب في قلوبهم هو الصقيع والضباب ، ولم يستطع إيجاد تفسير لهذا الخوف في حياتهم ... وفي يوم كثيف الضباب وصل قارب من الشمال عليه شخص رفيع المقام كان شاباً في مقتبل العمر ، ولم يكن يرافقه في رحلته سوى عدد قليل من الخدم والعبيد ، ولم يكن بينهم نساء ، فاستنتج ابن فضلان أنه ليس تاجراً ، فلا نساء معه يبيعها كما هي عادة أهل الشمال .

أرسى الشاب سفينته بنفسه ، وبقي واقفاً فيها ، حتى جاء الليل ولم يقترب أحد لتحيته ، مع أنه كان قريباً منهم على مرأى الجميع ، وحين سأل ابن فضلان المترجم عن هذا التصرف الغريب قال له : إنه أحد أقرباء (بيولف) وسيكون ضيفه هذه الليلة في وليمة المساء .. وسأل ابن فضلان : ولماذا يبقى في سفينته واقفاً على مرمى البصر ؟ ويأتيه الجواب : حتى ينقشع الضباب ويوقن الجميع أنه ليس عدواً .

وفي المساء عرف ابن فضلان أن الضيف (وولف غار) ابن (روثغار) ملك الشمال وقد جاء يطلب عودة (بيولف) لحاجة بطولية ، حيث تعاني بلاد الشمال من رعب لايعرفون اسمه ، وقد عجز الناس عن مقاومته . واكتشف ابن فضلان أنهم لايذكرون اسم ذلك الرعب حتى لايستعدي الشياطين ، وكان هلع المترجم واضحاً على قسماته .

وفي حفلة المساء دخلت العجوز الشمطاء - قرب بيولف - وأخرجت عظمات من حقيبتها ورمتها على الأرض ثلاث مرات ، وتقرر بعدها أن يذهب بيولف لتلك المهمة في صحبة ثلاثة عشر بطلاً بينهم ابن فضلان ، لأن العجوز قررت بعظماتها أن يكون بينهم واحد من غير أهل الشمال . وحاول ابن فضلان التخلص لانشغاله بمهمته التي أرسله فيها الخليفة ولكنهم أصروا على اصطحابه ، فاعتبر ابن فضلان نفسه في عداد الأموات .

وبعد ثلاثة أيام من السفر وصلت السفينة إلى عاصمة ملك الصقالبة، فطلب ابن فضلان من المترجم واسمه (هرغر) أن يطلب من بيولف السماح لابن فضلان بالنزول إلى ملك الصقالبة لأداء الأمانة ، ولكن هيهات .. هيهات ..

وصلت السفينة بعد ثمانية أيام إلى بلدة شمالية تسمى (ماسهورنج) يقول عنها ابن فضلان إنها ليست مدينة ، بل هي معسكر صغير من بيوت خشبية بنيت على طريقة أهل الشمال تعيش على بيع الأغذية لمن يقصدها من التجار .

وترك بيولف وعناصره السفينة ، وركبوا الخيل في رحلة استمرت (١٨) يوماً ، وكانت المنطقة جبلية شديدة البرد ، وكانوا لايمشون في الليل ، بل ينتظرون بزوغ الفجر قبل الرحيل . ويقول ابن فضلان : (لقد تلاشت مدة الليل حتى لم تعد تكفي لطبخ وجبة لحم ، فما كنت أنام حتى يوقظني الشماليون قائلين : طلع النهار لنستأنف الرحلة) .

وأوضح هرغر - أن النهار في الشمال يطول في الصيف ويقصر في الشتاء ، ونادراً مايتساويان . ثم ذكر ابن فضلان أنه نصح بمراقبة السماء ليلاً ليراها كالستائر المتراقصة شاحبة الألوان : الأخضر والأزرق والأصفر.

وفي ليلة قدم الطعام ، فذكر ابن فضلان التسمية ، ودهش (بيولف) لذلك ، فسأله : أتعرف رسم الأصوات ؟ فكتب له على الأرض "الحمد لله". فسألوه أي إله هذا الذي تحمده ؟ فقال : هو الله الذي لاإله إلا هو. فقال هرغر : "إله واحد لايكفي" !!

وبدأت العلاقات تتوثق بين (بيولف وابن فضلان) فصار القوم يهتمون بحمايته من الأخطار بمزيد من القرابين .. وتابع ابن فضلان رحلته ووصفه لتلك البلاد وعاداتها الإباحية وكرم ضيافتهم ، كما وصف منازلهم ذات الأبواب المنخفضة بالرغم من طول أجسامهم ، وذكر إيمانهم بالخرافات دون الرجوع إلى منطق أو عقل (وربما يبدون لي كأنهم أطفال متوحشون) ثم وصلوا إلى مملكة (روثغار) وهناك بدت لهم آثار أقدام ضخمة وسمعتهم يرددون (وندول) (وندلسون) فقد كان الوندال يهاجمون مملكة (روثغار) ومملكة (تلم) التي يحكمها والد بيولف وجرت معركة خطيرة مع الوندال- قتل فيها بيولف - ومات ثمانية من رجاله ، ونجا منهم أربعة ، ومنهم ابن فضلان الذي استأذن بالعودة إلى ملك الصقالبة ، وهناك جرى الوداع الحزين بين هرغر وابن فضلان الذي بقي محتفظاً بفخامة بلاط (روث غار) وتنتهي المخطوطة عند هذه النقطة .

وقبل أن نختم الحديث عن ابن فضلان علينا أن نشير إلى معرض النقود الإسلامية في السويد الذي عقد في الرياض في الشهر الأول من

عام ١٩٨٩م باشراف مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وبالتعاون مع سفارة السويد ، حيث ألقى المعرض الضوء على فترة هامة من تاريخ العلاقات التجارية بين العباسيين والفايكنغ ، وقد عثر في السويد على عدد كبير من القطع النقدية الإسلامية والدراهم الفضية ، ويرجع تاريخها للفترة (٨٠ - ٣٩٠ هـ) حيث وصلت النقود الإسلامية إلى هناك بالتجارة النهرية عبر نهر الفولغا كما تؤيد ذلك رسالة ابن فضلان . والله أعلم .

الهوامش

(١) أعلام الجغرافيين العرب . عبدالرحمن حميدة - ص ١٩٩ .

(٢) الأعلاق النفسية - ابن رستة ، طبعة ليدن ص ١٤٥ .

(٣) تاريخ الأدب الجغرافي - أغناطيوس كراتشكوفسكي - ط جامعة الدول العربية ج ١/١٨٦ .

(٤) انظر وصفاً مفصلاً في كتاب عبدالرحمن حميدة ص ٢٠٦ - أعلام الجغرافيين العرب .



مخطط المناطق التي ورد ذكرها في رحلة ابن فضلان كما رسمها مار... كانار في الترجمة «من بخارى الى بلغار» «من الدكتور...»

كتابان منسوبان لأبي العلاء المعري

محمد عبدالمجيد الطويل

عندما بدأت أبحث في آثار أبي العلاء لكتابة بعض الدراسات عنه(١) شرعت أبحث عن آثاره مخطوطة أم مطبوعة ، وكنت قد قرأت أن له تعليقات على حماسة أبي تمام وتطلق عليها بعض الكتب الرياشي المصطنعي ، لأن هذه التعليقات كانت على شرح أبي رياشي لحماسة أبي تمام.

يقول ياقوت وابن العديم عن هذا الكتاب : .. في شرح مواضع من الحماسة الرياشية عمله لرجل من الأمراء يلقب مصطنع الدولة ، وهو أبو غالب كليب بن علي ، فسر فيه مالم يفسره أبو رياش ، وكان قد أنفذ إليه نسخة من الحماسة ، وسأله أن يخرج في حواشيها مالم يفسره أبو رياش ، فجعله كتاباً مفرداً لخوفه من أن تضيق الحواشي عنه . مقداره أربعون كراسة (٢) .

وأصبح يحفظ الكتاب بهذا الاسم ، أو بشرح الحماسة لأبي العلاء ، لأنه كما قيل : تجاوز نطاق التعليقات فصار شرحاً .

وقد نقل التبريزي - في شرحه لحماسة أبي تمام - الكثير من هذا الكتاب ، كما هي عادته في النقل من كتب شيخه أبي العلاء .

وعلمت - مما نقله الدارسون المحدثون - أن هذا الشرح مخطوط بدار الكتب المصرية ، ذكر هذا مصطفى صالح في كشاف مصادر دراسة أبي العلاء .

وأشار إليه بروكلمان في كتابه : تاريخ الأدب العربي ٧٩/١ ، وأشار إليه فؤاد سزكين في كتابه : تاريخ التراث العربي ١١٣/١ ، وهو يتعرض لشروح حماسة أبي تمام ، وهو الشرح رقم ١٥ في قائمته ، كما ذكره المحقق عبدالعزيز الميمني في كتابه (أبو العلاء وما إليه ص ٢٦٦).

وفي الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب المصرية ٢٦٩/٤ هذا النص : شرح ديوان الحماسة لأبي العلاء المعري ، رواية أبي زكريا يحيى ابن علي الخطيب التبريزي عنه في رجب ٤٤٥ هـ نسخة في مجلد تمت كتابتها في ١٧ صفر ٦٥٤ هـ .

وقد أشار إلى هذه النسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية كل الذين أشرت إليهم سابقاً وذكروها برقمها ، ولم يذكروا لها نسخة أخرى في أي مكتبة من مكتبات العالم .

هذا عن الذين ذكروها فقط ولم ينقلوا عنها .

أما الذين رجعوا إليها فقد اختلفت كلمتهم ، فبعضهم ينسبها لأبي العلاء . ومن ثم ينقل عنها ، وآخرون رفضوا نسبتها إليه .

أما الذين نقلوا عنها فأذكر منهم عالمين فاضلين ، أولهما أحمد مختار عمر في مقالته (أبو العلاء المعري والنحو) (٣) وقد رجع "مختار" في دراسته تلك لبعض كتب أبي العلاء ومنها شرح ديوان الحماسة نسخة دار الكتب المصرية ، ونقل عنه أكثر من عشر مرات ، وعلى التحديد نقل من الصفحات ١٠ - ٦٣ - ٦٦ - ٨٧ - ١١٨ - ١٢٩ - ١٤٢ - ١٦٠ - ١٩١ . أما الثاني فهو إبراهيم السامرائي في كتابه (مع المعري اللغوي) (٤) فقد رجع إلى هذا الكتاب وقال إنه قرأه عند أحد أصدقائه وهو يعد رسالة للدكتوراه عن أبي العلاء الناقد الأدبي . وكان هذا الأخير قد حصل على صورة من مخطوطة القاهرة .

وقد نقل منه مايقرب من ثلاثين مرة ، وبالتحديد نقل عنه من الصفحات ٨ - ١٠ - ١٧ - ٢٤ - ٤٠ - ٤٦ - ٦٣ - ٦٦ - ٦٨ - ٧٥ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ١٠٥ - ١١٠ - ١١٦ - ١٢٥ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٤٢ - ١٥٥ - ١٥٧ - ١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٤ - ١٧٥ .

هذا عن الذين نقلوا عنه ولم يشكوا في نسبته لأبي العلاء ، أما الذين رفضوا نسبته لأبي العلاء فنذكر منهم اثنين : أولهما محمد أبو المكارم قنديل في رسالته عن النحو في آثار أبي العلاء (٥) .

والآخر السعيد عبادة في كتابه (أبو العلاء الناقد الأدبي) (٦) . وأشارا إلى المخطوطة التي رجعا إليها وهي من مخطوطات دار الكتب المصرية برقم (١٥٦٩٥ ز) . لكني عثرت على مخطوطة أخرى أشار إليها مصطفى صالح في كتابه (كشاف مصادر دراسة أبي العلاء) تحت رقم ٣٠٨ أدب ، وهي التي رجع إليها السامرائي . فقلت : لعل هذه غير تلك ، فقمت بالاطلاع عليهما فوجدتهما نسخة واحدة عن أصل واحد ، وصورت الأخيرة التي لم يطلع عليها عبادة وأبو المكارم ، وقلت : لعل فيها خلافاً بين الصفحات أو ما إلى ذلك . فلا يعقل أن يرجع عالمان جليلان مثل مختار والسامرائي إلى كتاب ليس لأبي العلاء .... فوجدت على الغلاف كتاب الحماسة لملك الشعراء أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وشرحهما لأبي العلاء أحمد بن سليمان التنوخي المعري سامحهما الله تعالى . والرقم وهو ٣٠٨ أدب .

وفي الورقة الأولى وجدت السند التالي :

قال العبد الفقير إلى رحمة الله ورضوانه محمد بن الفقيه الحسين بن أبي الحسن علي بن نصر بن منصور بن مرقد أخبرني الشيخ الأجل العالم مهذب الدين أبو نصر محمد بن يحيى بن كرم في سنة أربع وأربعين وستمائة سماعاً عليه . قال : أخبرني الأجل العالم رضي الدين عميد الرؤساء أبو منصور هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب قال : أخبرني الشيخ أبو الحسن علي بن عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالملك بن إبراهيم بن عبدالملك السلمي اللغوي قراءة عليه في منزله بمدينة السلام في بعض شهور سنة خمس وخمسمائة وهو ينظر في أصل سماعي ويعارضني به فأقر به قال أخبرني الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي اللغوي البغدادي قراءة عليه وأنا حاضر أسمع في سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة فأقر به قال : قرأت على الشيخ أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي اللغوي وأصله ينظر فيه في سنة تسع وثمانين وأربع مائة .

قال: قرأت على الشيخ أبي العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي المعري بمعرة النعمان كتاب الحماسة أجمع في رجب سنة خمس وأربعين وأربع مائة ، وكان أبو العلاء أعلم أهل عصره به ....

... وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن الحسن بن علي ابن عمر ويعرف بابن أبي الصقر الواسطي ببغداد قراءة عليه ومعارضته بأصله بخط أبيه في صفر من سنة إحدى وتسعين وأربعمائة قال : قرأت على شيخنا أبي الحسن محمد بن محمد ابن عيس الحيشي النحوي في المحرم سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة قال : قرأت كتاب الحماسة على أبي عبدالله النمري ورواه لي عن أبي رياشي فيما قرأته أنا بخط عبدالسلام البصري أنشدنا أبو المطرف الأنطاكي قال أنشدنا أبو تمام كتاب الحماسة كله ... وأخبرني به إذناً الشيخ أبو إبراهيم بن إسحق البحراني في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة عن السيد أبي الرضا فضل الدين علي بن عبدالله العلوي الحسيني الراوندي رحمه الله عن أبي القاسم بن بشر الأموي الكاتب عن أبي المطرف قال السيد أبو الرضا وأخبرني أبو عبدالله الحسين بن علي بن الوليد النحوي من أصحاب أبي علي الفارسي عن أبي رياشي عن أبي المطرف ..

هكذا ورد في مقدمة الكتاب ، فالسند الأول يبدأ بمحمد بن الفقيه الحسين .... بن مرقد وينتهي بأبي العلاء ، فظننت أنه مجرد ناسخ للمخطوط أو متلقي النص من المتأخرين ، لكن ذكر السندين التاليين يضعف من نسبته إلى أبي العلاء (٧) فالسند الثاني ينتهي إلى النمري فأبي رياشي فأبي تمام ....

في حين ينتهي السند الثالث إلى أبي عبدالله الحسين من أصحاب الفارسي إلى أبي رياشي إلى أبي المطرف .

فالسند الأول غير السند الثاني وغير السند الثالث ، وفي بعض هذه السلسلة من السند أناس بعد أبي العلاء متأخرون عنه ، كالجواليقي . أما ابن مرقد الرجل الأول في السند الأول والذي يظهر أنه صاحب هذا الشرح فلا ذكر له في كل مارجعت إليه من كتب الطبقات والتراجم(٨) .

ومع ذلك عددت هذا غير قاطع في نسبته لأبي العلاء ، فلعل هناك زيادة في بعض صفحات المقدمة اختلطت بالمخطوطة نتيجة تسرع المفهرس أو جهله .

وشرعت في قراءة الكتاب ، فلما وصلت إلى الورقة ١٦٥ ، وجدت نصاً يستحيل معه أن يكون الكتاب لأبي العلاء المعري ، ففي حماسية زياد بن حمل بن منقذ التي مطلعها :

لاحبذا أنت ياصنعاء من بلد ولاشعوب هوى مني ولا نقم

جاء البيت الثالث يقول :

وحبذا حين تسبى الريح باردة وادي أشي وفتيان به هضم

جاء في شرح هذا البيت قوله : أشيٌ هضبته ، فلذلك لاتجري ، ومن أجراها فهو مكان أو جبل . هضم أي : خماص ، الواحد هضيم ، وقالوا جمع هضوم ، وهو الذي يهضم أمواله في الحقوق ، أي يعطيها . وحدث الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي قال : حدثني الشيخ أبو زكريا الخطيب قال : قرأت على أبي القاسم عبدالله الرقي وسألته عن معنى هضم في هذا البيت فقال : جمع أهضم ، وهو الضامر البطن ، وقرأت على أبي العلاء المعري فسألته فقال : جمع هضوم ، وهو الذي يهضم أمواله في الحق أي يكسرها ويعطيها . ثم لقيت الرقي بعد ذلك فأخبرته بما قال المعري فقال :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ماقالت حذام

هذا النص الذي آثرت أن أنقله على طوله ، يستحيل معه أن يكون الكتاب لأبي العلاء ؛ لقد توفي أبو العلاء عام ٤٤٩ هـ في حين ولد الجواليقي عام ٤٦٦ هـ ، أي ولد بعد موت أبي العلاء مما يستحيل معه نسبة النص لأبي العلاء .

ولاسبيل إلى الشك في هذا النص ، لأني وجدت التبريزي يذكره في موضع آخر . جاء في شروح سقط الزند ٥١١/٢ ومابعدها عند شرح قول أبي العلاء :

إذا ضحكت عجبا به كل بلدة بكى ماله من ظلمه واهتضامه

يقال : هضمه واهتضمه إذا ظلمه . ومنه قول الشاعر :

وحبذا حين تمسي الريح باردة وادي أشيٍّ وفتيان به هضم

هضم : جمع هضوم أي ظلوم ، يعني أنهم يظلمون المال ، أي يكسبونه وينفقونه ، هكذا ذكر لي أبو العلاء وقت القراءة عليه . وسمعت

أبا القاسم الرقي يذكر في تفسير هذا البيت لما قرأت عليه أن قوله هضم جمع أهضم ، وهو الضامر البطن ، فلما ذكرت له ماسمعته من أبي العلاء أنشد :

إذا قالت حذام فصدقوها   فإن القول ماقالت حذام

وفي ص ١٦٨ جاءت حماسية مرداس بن همام الطائي وفيها يقول :

هويتك حتى كاد يقتلني الهوى   وزرتك حتى لامني كل صاحب

وحتى رأى مني أدانيك رقـــة   إليك ولولا أنت مالان جانـــبي

ألا حبذا لوما الحياء وربمـــا   منحت الهوى من ليس بالمتقارب

وجاء في شرح البيت الأخير : لوما ولولا أختان في المعنى .

لكن في الهامش تعليق يقول المعري : لوما : فعلى من اللوم ، والمعنى : حبذا اللوم فمعنى ذلك أن الذي كتب هذا التعليق ، يعرف أن النسخة ليست للمعري وإلا ماذكر هذا الرأي منسوباً إليه .

وحين وصلت في القراءة إلى الورقة ١٧٦ وجدت نصاً آخر فيه نقل عن المعري مباشرة في هذه الورقة نص لمنصور بن حجاج الضبي مطلعه :

ثارت ركاب العير منهم بهجمة   صفايا ولابقيا لمن هو ثائر

قال في شرحه : عنى بالعير هنا السيد ، والهجمة القطيع من الإبل . يقول : طالب الثأر لايبقى على ثأره إذا وجد الصعب من الإبل ، وهن البيض تعلوها حمرة . قال أبو العلاء : يعني إبلاً كانوا أخذوها من الصهب .. وكلام مطموس بعدها .

إذا كان هذا الشرح لأبي العلاء فهل يقول بعد شرح البيت : قال أبو العلاء ، ويذكر شرحاً آخر ..؟

وفضلاً عن ذلك كله فإن التبريزي في شرح الحماسة ، قد نقل الكثير من كلام أبي العلاء . ولكنا لانجد مطابقة بين مانقله التبريزي عن أبي العلاء وبين هذا الشرح .

وإليك نقولاً من هذا وذاك :

(١) في شرح الحماسة للتبريزي ١٧٠/١ مقطوعة لجميل بن معمر العذري يقول التبريزي في مقدمتها : قال أبو العلاء : العذري منسوب إلى عذرة بن مسعد هذيم بن زيد بن ليث ... وإنما سمي بالعذرة من الشعر ، وهي الخصلة منه ، وجمعها عذر قال القريعي :

قصير يدا للريال أغيد للصبا   أدرى على المتنين ذا عذر جعد

وفي الشرح المنسوب لأبي العلاء نجد في ورقة ٣٩

وقال جميل بن عبالله بن معمر العذري :

فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي   وهموا بقتلي يابثين لقوني

كذا دون أي تعليق :

(٢) وفي شرح الحماسة للتبريزي ١٨٩/١ مقطوعة لموسى بن جابر الحنفي :

يقول التبريزي في مقدمتها : قال أبو العلاء : موسى منقول من العبرانية ، ولم أعلم أن في العرب من سمي موسى زمان الجاهلية ، وإنما حدث هذا في الإسلام لما نزل القرآن ، وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء على سبيل التبرك ، فوجب إذا كان الأمر كذلك أن يصرف موسى في الفكرة لأنه جار مجرى الأعجمية ، فأما موسى الحديد فقد حكي تذكيرها وتأنيثها ، فإن كانت مذكرة وسمي بها إنسان صرف ، لأنها حينئذ تكون على مفعل ، مثل معطى ومسقى ، وقد حكوا أوسيت رأسه إذا حلقته وإن حملت على التأنيث وسمي بها الرجل لم تصرف في المعرفة وصرفت في النكرة . وقد ذهب قوم إلى أن ألفها للتأنيث ، فإن أخذ بهذا القول لم تصرف في المعرفة ولا في النكرة . وادعوا أنه ماسى يميس إذا قطع ، وأن الياء قلبت واوا للضمة ..

فإذا ذهبنا إلى شرح الحماسة المنسوب لأبي العلاء وجدنا النص (ورقة ٤٤) ولا تعليق فيه .

مع أن هذا الشـرح الذي نسبه التبريزي للمعري موجود في مكان آخر ، فقد قال أبو العلاء في رسالة الملائكة كلاماً كأنه هو .

يقول أبو العلاء سائلاً الملكين : ماتريان في وزن موسى .. ؟ .. فإن قالا موسى اسم أعجمي إلا أنه يوافق من العربية وزن مفعل وفعلى، فإذا كان من ذوات الواو مثل أوسيت فإنك تقول : موسى ومورى ... وإذا قيل إن موسى فعلى فإن جعل أصله الهمز وافق فعلى من ماس بين القوم إذا أفسد بينهم ... ويجوز أن يكون فعلى من ماس يميس فقلبت الياء واواً للضمة ..

(٣) وفي شرح الحماسة للبريزي ١٩٤/١ ورد قوله : "وقال حريث بـــن جابر ... بن لجيم بن صعب

قال أبو العلاء : لجيم يجوز أن يكون تصغير ترخيم للجم أو لجام أو تصغير لجم . واللجـم دويبة يتشاءم بها وتوصف بالعطاس ، قال الراجز :

أغدو فلا أحاذر الشكيسا   ولا أخاف اللجم العاطوسا

فإذا ماذهبنا إلى شرح الحماسة المنسوب لأبي العلاء وجدنا النص في ورقة ٤٥ ولا تعليق فيه أيضاً .

(٤) وفي شرح حماسة أبي تمام للتبريزي ٢٠٨/١ نجد نصاً لأرطاة بن سهية يقول في مطلعه :

ونحن بنوعم على ذات بيننا   زرابي فيها بغضة وتنافس

قال أبو العلاء : إذا صح أن الزرابي يراد بها العدوات والقوارص فهي من قولهم زريت إليهم في الزربية إذا أدخلته فيها ، ومعروف من كلامهم أن يقال بيني وبينه دسيس عداوة قال الشاعر :

لاتسأما لي من دسيس عداوة   أبداً فليس بمستمي أن تسأما

وقيل إنها في ديوان أرطاة زرائب على مثال غرائب ، فكأنه جمع

عطف الوصل والصد على الضمير في يجتمعن من غير التوكيد بالفصل ، وهذا جائز في ضرورة الشعر .

كذا قال وهو بهذا يوافق الكوفيين .

٥- يقول المتنبي :

عمرك الله هل رأيت بدوراً قبلها في براقع وعقود

يقول ابن الشجري (٣٣) عن إعراب أبي العلاء لهذا الأسلوب (عمرك الله) ذهب أبو العلاء المعري في قولهم (عمرك الله) إلى خلاف ما أجمع عليه أئمة النحويين الخليل وسيبويه وأبو الخطاب الأخفش الكبير وأبو الحسن الأخفش الصغير وأبو عثمان المازني وأبو عمر الجرمي وأبو العباس محمد بن يزيد وأبو إسحاق الزجاج وأبو بكر بن السراج وأبو علي الفارسي وأبو سعيد السرافي وغير هؤلاء من المتقدمين والمتأخرين . فرغم أن العمر مأخوذ من قولهم : عمرت البيت الحرام إذا زرته ، قال : ومنه اشتقاق الاعتمار والعمرة ، ونصب عمرك من قولهم عمرك الله بتقدير : أذكرك عمرك الله ، كأنه قال : أذكرك خدمتك الله : قال : ويحتمل أن يكون قولهم : عمرك مأخوذاً من عمرت الديار من العمارة ، أي بعمرك المنازل المشرقة بذكر الله وبعبادته ذكر هذا في تفسيره لقول المتنبي :

عمرك الله هل رأيت بدوراً قبلها في براقع وعقود

وأورده عنه أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي في تفسيره لشعر أبي الطيب ، وبالجملة فاته تصيد اشتقاق قولهم عمرك الله تارة من الاعتمار وتارة من العمارة فخالف قول فحول النحويين المتقدمين والمتأخرين .

هذا مانقله ابن الشجري عن اجتهاد أبي العلاء في إعراب هذا الأسلوب ، وقد رأيت كيف شنع عليه وأنه خالف فحول النحاة المتقدمين والمتأخرين وذكر أسماء أحد عشر كبيرا منهم إرهاباً للسامع وتشنيعاً على أبي العلاء كيف خالف أمثال هؤلاء ، فهو رأي انفرد به أبو العلاء دون النحاة أجمعين .

لكن انظر إلى إعراب الشارح الذي معنا .

ورد هذا البيت في الجزء الأول ص ٧ :

عمرك الله هل رأيت بدوراً قبلها في براقع وعقود

أصله : تعميرك الله ، وهو مصدر من عمرك الله تعميراً إلا أنه حذف ما كان زائداً ورده إلى تركيب الكلمة فقال : عمرك الله ، فكأنه قال : سألت الله تعميرك .

هذا هو الذي ورد فهل هذا هو ما قاله أبو العلاء وحمل عليه ابن الشجري ؟؟

٦- ويقول أبو العلاء : إن الحروف النافية إذا دخلت عليها ألف الاستفهام نقلت الكلام إلى حال التقرير والإيجاب . يقول القائل : ألم أعطك درهماً أي : قد أعطيتك .... وكذلك قول الحطيئة :

ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء

أي : قد كنت جاركم

وقد ادعى قوم أن (لم) وإن دخلت عليها ألف الاستفهام تكون على الحال الأولى ، وعلى ذلك يحملون قول الأعشى :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

وإلى هذا الوجه يذهب في قول أبي الطيب :

قالوا ألم تكنه فقلت لهم ذلك عي إذا وصفناه

لأنهم إنما أرادوا استفهامه عن ترك الكنية ، ولم يريدوا أنه قد كناه ، وهذا وجه أجازه الكوفيون (٣٤) .

هذا ماقاله أبو العلاء ، وأعترف أنني لم أقرأ هذا الرأي لأحد ، فليس في همع الهوامع والأشموني والتصريح شيء من ذلك ، كما لم يذكر عباس حسن في النحو الوافي ٤١٣/٤ أي شيء عنه .

لكن انظر إلى مافي (المعجز) الذي معنا .

ورد بيت المتنبي في الجزء الثاني ص ٥٣٤ وفيه يقول الشارح : أي قالوا : لم لاتذكر كنيته ؟ فقلت لهم : إذا وصفته فذكر الكنية عي لأن أوصافه تغني عن ذكرها .

فهل هذا الكلام له أي علاقة بالتحليل الرائع السابق ، لقد شنع النحاة على المتنبي بسببه ، لأن الناس قالوا لممدوح المتنبي إنه ماكناك وأنت لاتعرف إلا بكنيتك ، فلا محمل لاستفهام المتنبي هنا لأنه به قررهم على ماقالوه .

حتى ابن جني – وهو صديق المتنبي – عاب عليه هذا البيت وقال إنه خطأ ، قال : (٣٥) في لفظ هذا البيت اختلال في صناعة الإعراب ، وذلك أنهم قد عرفوا أنه لم يكنه فحكايته عنهم (قالوا ألم تكنه) إنما هو على مذهب التقرير ، لأنهم لم يشكوا في أنه لم يكنه فيستفهموه ، فصار كما تقول : ألم تأت فأعطيك ؟... لايريد استفهامه فإنما تريد أنه قد أتاك فأعطيته . وإذا كان تقريراً ففيه نقص واختلال ، وذلك أن التقرير إذا دخل في لفظ النفي رده إلى الإيجاب في المعنى ، وإذا دخل على لفظ الإيجاب رده إلى النفي في المعنى ...

فقوله : ألم تكنه ينبغي أن يعود في المعنى إلى أنهم قد قالوا كنيتـه ، وهذا محال ، لأنهم قد أنكروا عليه ترك كنيته فلم يضع الكلام موضعه .

هذه هي جملة الملاحظات التي عنت لنا بعد قراءة هذا الشرح (المنسوب) لأبي العلاء المعري ، وهي لاتتحدث عن الشرح في ذاته وقيمته ، ولكن رفضنا ينصب على نسبته لأبي العلاء بعد ما قدمنـاه من مبررات كثيرة .

بقيت ملاحظة صغيرة أختم بها بحثي ، وهي أنه ورد في الجزء الأول ص ٣٢٥ من هذا الكتاب عند تعليق الشارح على قول المتنبي :

وهبك سمحت حتى لا جواد فكيف علوت حتى لا رفيعا

يقول الشارح الألف في رفيعا ألف الإطلاق ، لأن النكرة المنفية بلا تنصب بلا تنوين ، وقال البخاري (كذا) يجوز أن يكون بدلاً من التنوين لأن (لا)إذا تكررت يجوز فيها هذا الوجه نحو : لاحول ولاقوة .

السؤال الذي يتبادر إلى الذهن : من (البخاري) هذا الذي ينقل عنه أبو العلاء ؟ ... ليس في ثبت شيوخه أحد تسمى بهذ الإسم ، ولا أعلم في شراح المتنبي - قبل أبي العلاء - حتى يمكنه النقل عنه - أحداً تسمى بهذا الاسم . ومع ذلك لم يكلف المحقق نفسه مئونة التعليق عليه أو الإشارة إليه ، بل لم يذكره في فهارس الأعلام !

المراجع

١- الأمالي لابن الشجري : مصورة عن الطبعة الأولى . دار المعرفة ، بيروت .

٢- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين ، لابن الأنباري . تحقيق محمد محيي الدين ، دار الفكر . بيروت .

٣- أوزان المتنبي وقوافيه ، دراسة وتحقيق ، للسعيد عبادة ، مقال بمجلة كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ١٤٠١هـ .

٤- بديع القرآن لابن أبي الأصبع ، تحقيق حفني محمد شرف . القاهرة ١٩٥٧ .

٥- تاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان ، الجزء الأول ، ترجمة عبدالحليم النجار .

٦- تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ، الجزء الرابع من المجلد الثاني ، ترجمة عرفة مصطفى .

٧- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر لابن أبي الأصبع ، تحقيق حفني محمد شرف ، القاهرة ١٩٦٣ .

٨- تعريف القدماء بأبي العلاء المعري ، بعناية طه حسين ولجنة من العلماء .

٩- تفسير أبيات المعاني في شعر أبي الطيب لأبي المرشد المعري ، تحقيق مجاهد الصواف وآخر . دار المأمون للتراث ، دمشق ١٩٧٩ .

١٠- حماسة أبي تمام وشروحها ، حسين محمد نقشة ، القاهرة ٩٨٨ هيئة الكتاب .

١١- ديوان عبيد بن الأبرص . تحقيق حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٧ .

١٢- رسالة الملائكة ، لأبي العلاء المعري . تحقيق محمد سليم الجندي ١٩٧٩ ط٣ .

١٣- شرح حماسة أبي تمام للخطيب التبريزي ، مصورة عن الطبعة الأولى

١٤ - شرح حماسة أبي تمام المنسوب لأبي العلاء المعري مخطوط ٣٠٨ أدب بدار الكتب المصرية .

١٥ - شرح حماسة أبي تمام المنسوب لأبي العلاء المعري ، دراسة وتحقيق ، لحسين محمد نقشة رسالة دكتوراه مقدمة لقسم اللغة العربية بآداب الإسكندرية ١٩٨٨ .

١٦ - شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ، دار الكتاب العربي ٠ د ٠ ت .

١٧ - شروح السقط ، تحقيق لجنة من العلماء .

١٨ - عبث الوليد لأبي العلاء المعري ، تحقيق ناديا علي الدولة ، دمشق ١٩٧٩

١٩- أبو العلاء الناقد الأدبي ، للسعيد عبادة . القاهرة ، دار المعارف ١٩٨٨ .

٢٠- أبو العلاء وما إليه للميمني . مصورة عن الطبعة الأولى .

٢١- الفتح على أبي الفتح لابن فورجه . تحقيق عبدالكريم الدجيلي ، بغداد ١٩٨٧ ط ٢ .

٢٢- الفصول والغايات للمعري ، تحقيق محمود حسن زناتي .

٢٣- معجز أحمد المنسوب للمعري ، تحقيق عبدالمجيد دياب . دكتوراه بدار العلوم .

٢٤- معجز أحمد المنسوب للمعري ، تحقيق عبدالمجيد دياب ، دار المعارف .

٢٥ - مع المعري اللغوي ، لإبراهيم السامرائي .

٢٦ - من قضايا اللغة والنحو ، لأحمد مختار عمر ، القاهرة ١٩٧٤ .

٢٧- النحو في آثار أبي العلاء لمحمد أبي المكارم قنديل ، دكتوراه بكلية اللغة العربية بالقاهرة ١٩٨٤ .

٢٨- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني ، تحقيق هاشم الشاذلي ، القاهرة ١٩٨٥ الحلبي .

الهوامش

(١) لنا كتاب عن العروض والقوافي عند أبي العلاء المعري ، صدر عن دار الثقافة العربية بالقاهرة ١٩٧٨ ، ولنا دراسة - قيد النشر - عن أبي العلاء المعري والنحاة ، فيها ندرس فقرة للنحاة ومناقشته لهم ..

(٢) تعريف القدماء بأبي العلاء ١٠٨ ، ٥٤١

(٣) نشرت بمجلة كلية التربية بالجامعة الليبية ١٩٧٢ ، وأعاد نشرها

في كتابه من قضايا اللغة والنحو ص ٨٤ - ١٢٠ . ط أولى القاهرة ١٩٧٤ عالم الكتب .

(٤) دراسة لبعض كتب أبي العلاء وتعليق على طبعاتها ومحققيها وإن كانت مطبوعة .

(٥) دكتوراه من كلية اللغة العربية القاهرة ١٩٨٢ .

(٦) ص ١٠٧ ومابعدها .

(٧) أشار إلى هذا حسين نقشة في كتابه حماسة أبي تمام وشروحها ص ٢٨٤ وأشار إليه كذلك في رسالته للدكتوراه عن تحقيق هذا الشرح المنسوب للمعري فقال : إن اسم أبي العلاء كتب على الغلاف بمداد مخالف لباقي الغلاف . راجع رسالته ص ٣ .

(٨) لقد رجعت إلى إنباه الرواة ومعجم الأدباء لياقوت ، ووفيات الأعيان لابن خلكان وفوات الوفيات للكتبي ، وبغية الوعاة للسيوطي وكشف الظنون وذيل الكشف ، ومعجم كحالة الأعلام ..

(٩) رسالة دكتوراه قدمها حسين نقشة إلى قسم اللغة العربية بآداب الإسكندرية عام ١٩٨٨ بإشراف محمد مصطفى هدارة ، راجع مقدمة الرسالة ص ٣٦ .

(١٠) تعريف القدماء بأبي العلاء ١٨٣ .

(١١) معجز أحمد المنسوب للمعري ٤٣٤/٣ وشروح السقط ٦٠٩/٢

(١٢) معجز أحمد ٣٨٢/٣ وشروح السقط ٤٠٥/١

(١٣) المعجز ٥٤٨/٣ .

(١٤) السابق ٤٨/١ ومابعدها هذا عن نقول المعري عن المعري .

(١٥) السابق ١٣/١ .

(١٦) وللأسف لا نجد شيئاً من هذا في الكتاب المحقق .

(١٧) راجع رسالته إلى أهل معرة النعمان عند مقدمه من بغداد ...

(١٨) الفتح على أبي الفتح ٢٩٣ .

(١٩) راجع أبو العلاء الناقد الأدبي ١٢٠ .

(٢٠) إحدى النسخ التي اعتمد عليها في التحقيق

(٢١) معجز أحمد النسخة المحققة المطبوعة ٣٦٤/١

(٢٢) ولم يذكر مرجعاً لكلامه ، وشرح الخطيب ليس من بين مرجعه لأنه مخطوط في باريس .

(٢٣) تعريف القدماء ٣٣٢ .

(٢٤) الفتح على أبي الفتح : ١٤٠ و ٢٢٩ و ٢٤٨ على الترتيب .

(٢٥) بديع القرآن ١١٠ وأشار إليه أيضاً في تحرير التحبير ٢٩٠ ، وراجع أبو العلاء الناقد الأدبي ١١٧ .

(٢٦) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب ١٤٣ .

(٢٧) الوساطة بين المتنبي وخصومه ٤٢٣

(٢٨) راجع شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ٢٦١/١ .

(٢٩) أوزان المتنبي وقوافيه تحقيق السعيد عبادة ٣٠٧ وما بعدها .

(٣٠) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب ٢٥٨ وديوان عبيد ١١٥

(٣١) راجع الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ٤٧٤/٢ .

(٣٢) تفسير أبيات المعاني ٩٦ .

(٣٣) الأمالي ١/ ٣٥١ وما بعدها .

(٣٤) عبث الوليد ٢٨٣ .

(٣٥) الفتح على أبي الفتح ٣٤٤ وراجع شرح البرقوقي ٤٠١/٤ فقد أشار إلى نقد ابن جني والواحدي لهذا البيت .

الكشاف الإسلامي :
«ملاحظات أولية»

عبد الرحمن فراج
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المكتبة المركزية

الكشاف الإسلامي :مجلة فصلية ببليوغرافية تعني بالموضوعات الإسلامية في المطبوعات العرب NICOSIA ، دلمون للنشر ، ١٩٨٩م .

١٠ تمهيد

ربما كان من الأسى بمكان أن يجد الباحث العربي بين يديه الإنتاج الفكري الإسلامي المكتوب باللغات الأجنبية مكشفاً ميسراً بأيدي المستشرقين ، بينما الإنتاج ذاته المكتوب بالعربية يعد مجهولاً من المجاهيل ، فهل نحن في حاجة إلى تذكر أن اللغة العربية هي لغة الوحي المنزل ، أو أن القدماء كانوا يعدون العربية علماً من العلوم الشرعية ، لاتستقيم تلك الأخيرة ولاتفهم حق الفهم ولاتدرس كما ينبغي أن يكون الدرس إلا بها ؟!

وهكذا كان الكشاف الإسلامي الذي يغطي الإنتاج الفكري المكتوب بالعربية أملاً تواقاً يصبو إليه كل من له صلة بالإسلام والعربية . ولايقتصر ذلك على الباحثين الإسلاميين ، الذين يعملون في قطاع علوم الدين ، وإنما غدا يرنو إليه غير واحد من التخصصات الموضوعية الأخرى، وذلك في ظل الصحوة الإسلامية التي باتت تعم أرجاء العالم العربي والإسلامي اليوم ، والتي كما أخذت تنتقل من بلد إلى بلد ، فإنها أخذت أيضاً تقفز من نشاط إلى نشاط ، حتى أصبحت تتخلل تقريباً كل ماله صلة بمناشط الحياة .

وهكذا أيضاً ، أصبح الباحثون الذين يعملون في قطاعات البحث المتصلة بالمجتمع والإنسان ، يعملون بجد ونشاط في البحث عن الصيغة الإسلامية التي يمكنها بلورة هذا القطاع من العلم في إطار تعاليم الكتاب والسنة الشريفة ، واستلهاماً لأعمال الصحابة والتابعين ، واسترشاداً بمقولات قدمائنا العباقرة صناع حضارتنا الزاهية الغابرة .

وهؤلاء الباحثون المحدثون ، لايفوتهم أيضاً أن يتتبعوا آثار العلم المعاصر فيما يتصل بالموضوع الذي يبحثون ، ونصب أعينهم دائماً جوهرالشخصية الإسلامية وسماتها المتعاضدة المتوافقة .

وأخذت البحوث بذلك تترى - في السنوات الأخيرة - عن التربية الإسلامية ، والإعلام الإسلامي ، والاقتصاد الإسلامي ، وعلم النفس الإسلامي ، وعلم الاجتماع الإسلامي ، ... إلخ . وأخذت هذه العلوم، أو المباحث ، تحتل مكانها شيئاً فشيئاً إلى جانب التاريخ الإسلامي والفلسفة الإسلامية والفن الإسلامي، فضلاً عن علوم الدين الأصلية ذاتها .

وبالرغم من أن ثمة جهوداً عربية متفرقة فيما يتصل بالضبط الوراقي للإنتاج الفكري الإسلامي ، إلا أن هذه الجهود اليوم فردية في أحيان كثيرة ينقصها روح الفريق ، كما يبدو واضحاً أن بعضها يفتقر - في الأساس - إلى المنهج المحكم في الضبط الوراقي ، أو إلى النظرة الرحبة المتسعة للحدود الإطارية للفكر الإسلامي .

وعلى ذلك فإنه على الرغم من وجود عدة وراقيات إسلامية بيننا اليوم تغطي إنتاجنا الفكري العربي اللغة ، منها العامة ومنها المتخصصة في فروع الإسلام ، منها الجارية ومنها الراجعة ، منها النوعية التي تحصر نفسها في إطار وعاء ما من أوعية المعلومات ، ومنها الجامعة لبعض هذه الأوعية ، منها الذي ينشر مستقلاً أو ينشر كباب من أبواب الدوريات ، إلا أن ذلك كله - نفسه - دلالة حقيقية على مدى مايتتاب الضبط الوراقي الإسلامي لدينا من تفرق وتشتت .

وبحق ، فلا زالت أكثر المقولات صحة على الإنتاج الفكري الإسلامي هي أنه قطاع غير منظم ، ويستشف الباحث من هذه النتيجة مدى تعاظم هذا الموضوع وتعقده وتشابك كثير من العلاقات المتباينة فيه ، والتي يأتي على رأسها تشتت هذا القطاع من الإنتاج الفكري ، موضوعياً وجغرافياً ونوعياً ولغوياً .

ويأتي الكشاف الإسلامي اليوم ، كما جيء في مقدمة العدد الثالث الذي أتيح لنا الاطلاع عليه ، للمساهمة في "الجهود المبذولة في وضع أسس تصميم وبناء وتشغيل نظام إسلامي عالمي للمعلومات" .

هدف كبير ولاشك ، لنر معا كيف عمل القائمون على الكشاف على تحقيقه .

٢- مجال تغطية "الكشاف الإسلامي"

١/٢ التغطية الزمنية

يغطي كشافنا الإسلامي الكتب والأطروحات الجامعية والمخطوطات المحققة منذ "العام ١٩٨٧" ، ومنذ "العام ١٩٨٨" بالنسبة لأوعية المعلومات من الدوريات . وقد استقر الكشاف على أن يكون فصلياً ، يصدر على أربعة أعداد في العام . ولكن لأننا لم نطلع على العدد الأول، ولأننا نقوم بهذا الغرض من العدد الثالث من المجلد الأول (صدر في يناير ١٩٩٠م) ، فإننا لانعلم على وجه التحديد متى يبدأ المجلد السنوي ومتى ينتهي ، وأغلب الظن - بناء على استقراء المعلومات

السابقة - أن المجلد السنوي يبدأ من يوليو من كل عام ميلادي ، وكان الأحرى بالقائمين على الكشاف إزالة اللبس الحادث بهذا الأمر في موضع ما من مقدمة الكشاف ، خاصة في مراحل البداية هذه .

أما الاستقرار على أن يكون الكشاف فصلياً ، فقد وفق القائمون عليه في ذلك إلى حد بعيد . ذلك أن الإسلاميات ليست من التطور ، والإسلاميين ليسوا من العجلة لكي يلاحقوا هذا التطور ، بحيث تتقارب فترات صدور الكشاف إلى أضيق من ذلك . ومن المعلوم أن ثمة ثوابت في الإسلاميات وثمة متغيرات ، ولكن حتى هذه المتغيرات تدور حول الإنسانيات والاجتماعيات ، ولاترقى إلى تطور الطبيعيات .

ونحن لاتعلم بعد ما إذا كانت الأعداد الفصلية الأربعة تجمع معاً في كل عام في مجلد تركيمي CUMULATIVE أم لا . وإننا لنرجو أن تكون الأولى ، ذلك أنه من اليسير بالطبيعة على الباحث الإسلامي أن يتفقد مجلداً واحداً يضم حصاد العام بدلاً من البحث في أعداد متفرقة على فصول العام الأربعة .

٢/٢ التغطية الجغرافية

لس ثمة إشارة واضحة إلى التغطية الجغرافية في كشافنا الإسلامي . والمرجح ، مادام الكشاف يركز على المطبوعات العربية ، أن الأساس هنا هو عامل اللسان لا عامل المكان . يعضد ذلك الترجيح الجدول التالي والمشتق من "لائحة الدوريات" التي تتصدر مقدمة الكشاف :

المدينة	عدد الدوريات	المدينة	عدد الدوريات
القاهرة	١٤	تونس	١
بيروت	٦	دمشق	١
الرياض	٣	الرباط	١
الصفاة(الكويت)	٢	الشارقة	١
طهران	٢	عمان	١
مكة المكرمة	٢	ليماسول (قبرص)	١
نيقوسيا (قبرص)	٢	مانشستر(المملكة المتحدة)	١
أبوظبي	١	مسقط	١
بتاولا (مالطا)	١	المنامة	١
بغداد	١	قم (إيران)	١
		مجهول	١
المجمـــــوع			٤٥

والواضح من هذا الجدول أنه من بين ٤٥ دورية - هي كل عتاد الكشاف الإسلامي - توجد ٣٦ دورية تصدر بمدن العالم العربي . بينما التسع المتبقيات تتوزع على إيران (٣ دوريات) ، وقبرص (٣ دوريات) ومالطا (دورية واحدة) والمملكة المتحدة (دورية واحدة) ، وتتبقى واحدة مجهولة النسب المكاني .ومعنى ذلك أن ثمة دوريات تصدر بالعربية في الإطارين الإسلامي والعالمي ، وأن ثمة تحد أمام القائمين على الكشاف في تتبع تلك الدوريات وتكشيفها .

ومن الملاحظات الأخرى التي ينبغي إثارتها إصدار ثلاث مدن عربية فحسب (القاهرة ،وبيروت ، والرياض) لأكثر من نصف مجموع الدوريات المكشفة (٢٥ دورية ، أي ٥ر٥٥٪) . ودولة واحدة منها فقط (القاهرة) تصدر حوالي ٣٠٪ من الرصيد العام للكشاف .

كما أن المدن العربية الممثلة هنا بالفعل تمثل حوالي نصف العالم العربي (١٢ دولة) ، فأين بقية الدول العربية من الدوريات الإسلامية ؟! وأخيراً أين دول المؤتمر الإسلامي من الدوريات الإسلامية الصادرة بالعربية ، والتي لم تقع منها في هذا الكشاف إلا على إيران ؟!

٣/٢ التغطية اللغوية

يعالج الكشاف الإسلامي - كما جاء في مقدمته - أوعية المعلومات الناطقة باللغة العربية . وربما كانت هذه أولى الخاصيات الأساسية لكشافنا الإسلامي - وذلك بعد طول معاشرة لكشاف بيرسون PERSONالذي يعالج أوعية المعلومات الناطقة باللغات الأجنبية .

بيد أننا نقف هنا أمام المقالات والمطبوعات الإسلامية المنشورة في عالمنا العربي الإسلامي بلغة أجنبية . إن هذه المطبوعات غير مكشفة - بالطبيعة - في "الكشاف الإسلامي" لبيرسون . وهي في كشافنا الإسلامي هذا قد احتجبت أو أسقطت من سياسة الكشاف ذاتها . والسؤال الآن : أين يعثر الباحث الإسلامي على المقالات والمطبوعات الإسلامية القيمة الصادرة في عالمنا العربي بلغة أجنبية ؟ إن بعض هذه المطبوعات ماهو صادر عن الأزهر الميمون لصالح البلاد والجاليات الإسلامية التي لاتتقن العربية . وبعضها ماهو صادر عن الجامعات العربية والإسلامية كقناة رئيسية من قنوات الدعوة والاتصال والإعلام . وبعضها ماهو صادر عن مراكز الدراسات السياسية والاقتصادية في سياق المناظرة الحالية ، بين حضارتنا وحضارتهم ، حول هبات الإسلام وحلوله لمشكلات العالم المعاصر. فكيف يمكننا العثور على المفاتيح الوراقية (الببليوجرافية) لمثل هذه المقالات والمطبوعات ؟!

٤/٢ التغطية الموضوعية

يركز الكشاف الإسلامي على المقالات والمطبوعات التي تحمل بين ثناياها سمات العلمية والبحثية ، ويهمل تلك التي يشتم منها رائحة الإعلامية والإخبارية . وهذا شيء يحمد عليه القائمون على الكشاف . ذلك أنه

ليس كالحقل الإسلامي أرض خصبة للتكرار والاجترار ، ومزيد من التكرار والاجترار . وربما كان "الحرث في أرض محروثة" أقرب نسباً للمطبوعات الإسلامية منه إلى مطبوعات أي مجال آخر . وربما كان هذا سبباً - أونتيجة ، فالتداخل بينهما هنا قريب - لدخول الأدعياء ليتقول كل منهم مايريد . وربما كانت البحوث الإسلامية الأصيلة الحقة تعد بعدد أعلام الاجتهاد المعاصرين ، المقلين بطبعهم .

إن تقديرنا لكشافنا الإسلامي على هذا الملمح الذكي ، لايقل عن تقديرنا له على تغطيته الشاملة لموضوعات الإسلام .

إن التغطية الموضوعية للكشاف الإسلامي تكشف لنا عن كثير من آراء ومعتقدات واجتهادات القائمين على تحريره . فنظرة متفحصة على "كشاف الموضوعات" - المدخل الإضافي الوحيد للكشاف الإسلامي - تكشف لنا كيف أمكن لهؤلاء اختيار الموضوعات التي ترتبط أو يرتبط بها الإسلام . هذه الموضوعات من مثل : العلوم والفنون العسكرية عند عمر بن الخطاب ، الطب العربي عند ابن سينا ، التربية الإسلامية عند ابن جماعة ، الحالة الاقتصادية في عصر إبراهيم باشا ، صلة الإخوان المسلمين بالانتفاضة الفلسطينية ، ... إلخ . هذه الموضوعات ومثلها تشير - ببساطة - إلى التغطية الشاملة والكاملة للإسلام كدين جاء لإصلاح حياتنا الأولى والآخرة معاً ، دين يسير على قدمين : عبادة الله وعمارة الأرض .

أما الملاحظة الأخرى التي تكشف عن مدى اجتهادات القائمين على تحرير الكشاف ، فهي تلك التي تتصل بالتاريخ الإسلامي . إذ يرد في "كشاف الموضوعات" هذا تحت المصطلح الأساسي "تاريخ" ، مايرتبط به من مصطلحات إضافية مثل : الأحزاب الإسلامية المعاصرة ، ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ... الخ . وذلك جنباً إلى جنب تاريخ الدولة الأموية ، والدولة العباسية ، والدولة البويهية ، ... إلخ .

إن هذا إن دل على شيء فإنما يدل على نظرة ثاقبة إلى التاريخ الإسلامي كتاريخ متعاقب متتال على حلقات ، تؤدي الواحدة منها إلى الأخرى ، ومايومنا هذا الذي نعيش إلا حلقة لايمكن تفسيرها حق التفسير إلا على ضوء ماسبقها من حلقات وأحداث .

٥/٢ التغطية النوعية

أشرنا إلى تغطية الكشاف الإسلامي لأوعية المعلومات من الدوريات والكتب والمخطوطات المحققة والرسائل الجامعية . والكم الأعظم هنا هو من مقالات الدوريات ، يليها الكتب والمخطوطات المحققة ، فيما لانجد أثراً للرسائل الجامعية في العدد الذي بين أيدينا .

وتثار أولى التساؤلات هنا حول الكتب والمخطوطات المحققة (التي نعدها أيضاً من قبيل الكتب مادامت قد حققت وطبعت) ، والتي لاتتناسب وطوفان المطبوعات الإسلامية الذي تخرجه المطابع العربية ؛ حتى لقد أشار البعض (١) إلى أنه من بين الكتب الصادرة في العالم العربي يحظى قطاع الأديان بأكبر عدد من الكتب ، حيث بلغ عدد المفردات في هذا القطاع في السنوات الثلاث التي انصبت عليها الدراسة ٨٤ ، ٨٥ ، ١٩٨٦ (٢٥١٦ كتاباً ، بنسبة ٢٤٫٨٪) .

أما التساؤل الآخر فهو خاص بالأطروحات . وكلنا يعلم أن ثمة جامعات دينية في عالمنا العربي والإسلامي ، مهمتها الأولى إجراء البحوث والرسائل الأكاديمية لحل مشكلات الأمة الإسلامية . هذا ناهيك عن الجامعات المدنية التي تهتم كلياتها وأقسام كلياتها بالبحث في الظاهرة الإسلامية المعاصرة . وإن حصر هذه الرسائل - فيما نرى - لو تم كما ينبغي أن يكون الحصر لاحتاج إلى كشاف مستقل بذاته ، أو لاستوعب - على الأقل - نصف الكشاف الحالي .

ولعله من المفيد أن يدور التساؤل أيضاً على كم الدوريات الحالية محط التكشيف والعدد الذي بين أيدينا من الكشاف الإسلامي العربي اللغة يغطي ، على الإجمال ، (٤٥) دورية ، لو قسمناها بحسب قربها من تخصص الإسلاميات لخرجنا بهذه الأرقام :

القطاع	العدد
دوريات إسلامية متخصصة	٣٣
دوريات متخصصة في علوم أخرى	٨
دوريات عامة	٤
المجمـــــوع	٤٥

ولقد لاحظنا في التغطية الجغرافية كيف أن هذه الدوريات لاتمثل العالمين العربي والإسلامي خير تمثيل ، فمن بين دول المؤتمر الإسلامي - باستثناء الدول العربية - لايوجد سوى إيران ، والعالم العربي نفسه ليس ممثلاً إلا نصفه تقريباً .

وفي دراسة مبدئية (٢) حول الدوريات الإسلامية لصاحب هذا العرض ، تم اكتشاف أن الدوريات الإسلامية المتخصصة الجارية والمنشورة بالعربية تزيد وحدها على (١٠٠) دورية ، يقع أغلبها - بالطبيعة - في نطاق العالم العربي ، فيما نجد على الخارطة دولاً أخرى إسلامية (الباكستان الهند ، ...) وغير إسلامية (حيث الجاليات العربية الإسلامية في أمريكا ، والبرازيل ، ... إلخ) .

أما الدوريات المتخصصة في الموضوعات العلمية الأخرى التي تحرص على أن يكون بها مكان للمقال الإسلامي بين كل حين وآخر ، فهي تقرب وحدها من (٥٠) دورية . وتقع هذه الدوريات في تخصصات الاقتصاد ،

القانون ، السياسة ، التربية ، اللغة ، علم النفس ، علم الاجتماع ، العمارة ، العلوم العسكرية ، الطب ، والإدارة .

أما الدوريات العامة التي تهتم بالموضوع الإسلامي بين اهتماماتها "العامة" الكثيرة ، فقد كشفت الدراسة الهدنية عن أنها تشبه الأفق الذي يبدو وكأنه لانهاية له . ولم لا ، والإسلام "موضوعٌ للحياة" بله قلب هذه الحياة . فمن المتوقع إذن أن يكون له مكانٌ دائم أو شبه دائم بأي دورية عربية عامة .

وتكشف لنا هذه الأرقام عن حجم العمل الذي يقوم به الكشاف الإسلامي الآن ، والعمل الذي ينبغي أن يقوم به . والواضح لنا أن الكشاف الإسلامي العربي اللغة لايزال يتحسس طريقه في غابة الدوريات ، وأن ثمة شوطاً طويلاً ينبغي قطعه حتى يمكن القول إن تغطيته كاملة أو شبه كاملة للدوريات الناطقة بالعربية .

٣ التنظيم

ثمة مقولة شهيرة في مجال المكتبات والمعلومات تفيد بأن التنظيم هو مخ العمل المرجعي . وربما أفادت كلمة "مخ" هنا بأن ذلك الجزء من العمل هو مناط الترتيب والتحكم والسيطرة .

وعادة مايدور الحديث في تنظيم العمل المرجعي حول التنظيم الأساسي في "الجسم الرئيسي" للعمل ، ثم الكشافات الإضافية المكملة لهذا التنظيم الأساسي .

١/٣ ينقسم الجسم الرئيسي للكشاف الإسلامي إلي قسمين مستقلين ، وإن كانا يكملان بعضهما البعض :

- قسم "الإرشادات البيليوغرافية" : وهذا القسم يشتمل على البيانات الوراقية .
- قسم "الكتب" : ويشتمل على البيانات الوراقية الأساسية للكتب والمخطوطات المحققة .

وكل من القسمين مرتب ترتيباً هجائياً بحسب "اسم عائلة المؤلف أو كنيته أو ما اشتهر به" .

ويميز القسم الأول وجود أرقام مسلسلة تسم بطاقات المقالات المكشفة من بدايتها إلى نهايتها . والواضح أن مهمة هذه الأرقام هي تيسير الوصول إلى البطاقات الحاملة لها من "كشاف الموضوعات" إلى قسم مقالات الدوريات ، أما قسم الكتب فيبدو أنه غير وارد في اعتبار من قام على "كشاف الموضوعات" ، إذ ليس ثمة طريقة للإحالة من الكشاف إلى هذا القسم ، فضلاً عن أنه ليس ثمة إشارة موضوعية ألبتة في أية بطاقة في قسم الكتب . ولانعلم لماذا ؟ ولانعلم كيف يمكننا العثور على موضوع ما في هذا القسم ؟!

٢/٣ ولعلنا سنقف طويلاً عند "كشاف الموضوعات" هذا . إن كشاف الموضوعات هو المدخل الإضافي الوحيد الوارد بالكشاف الإسلامي ، واللاحق للجسم الرئيسي مباشرة .

وأول ملاحظة تستلفت نظرنا بصدد هذا الكشاف هي حجمه الكبير الهائل بالمقارنة بالجسم الرئيسي ، وذلك على غير المعتاد بالنسبة للمداخل الإضافية التي هي بمثابة مفاتيح للمداخل الأساسية .

وعلى سبيل المثال ، فإن "كشاف الموضوعات" في العدد الذي بين أيدينا (ع ٣ ، مج ١) يبلغ ٧٦ صفحة من مجموع ١٢٣ صفحة هي عدد صفحات هذا العدد من الكشاف الإسلامي (أي حوالي ٦٢٪) . ونحن لم نعتد - في الحقيقة - على أن يكون المدخل الإضافي أكبر حجماً من المدخل الأساسي .

٣/٣ على أن ثانية الملاحظات التي تستلفت نظرنا في "كشاف الموضوعات" هذا ، ربما تفسر لنا سبب هذه النتيجة الأخيرة . ذلك أن هذا الكشاف يعتمد صفة التبادلية Permutation في عرض المصطلحات الدالة فيه . ويعني ذلك اشتقاق ما أمكن من الكلمات الدالة على موضوع المقال ، بحيث ترد كل كلمة دالة منها في هذا الكشاف مرة كمصطلح أساسي وتحتها كل الكلمات المشتركة معها في الدلالة على الموضوع كمصطلحات إضافية ، في الوقت ذاته الذي ترد فيه هذه الكلمة نفسها كمصطلح إضافي تحت المصطلحات المشتركة معها والتي يأخذ كل منها دوره كمصطلح أساسي .

ومعنى ذلك - طبقاً لمبدأ التوافيق والتباديل - أن المقال الذي يعبر عنه بخمس كلمات دالة سوف يشار إليه في هذا الكشاف خمساً وعشرين مرة.

٤/٣ ربما كان الكشاف الإسلامي - في حدود علمنا - أول كشاف عربي يعتمد صفة التبادلية في عرض المصطلحات الدالة فيه . ولعل المثال الأشهر الذي يمكن أن يقاس عليه هنا هو "كشاف التباديل الموضوعي Permuterm Subject Index ، أحد الأجزاء الأساسية لكشاف الاستشهاد المرجعي التي يقوم عليها معهد المعلومات العلمية بفيلادلفيا بالولايات المتحدة .

والمعلوم أن مادة هذا الكشاف الموضوعي هي المصطلحات الدالة في "عناوين" البحوث والمقالات . ولما كان البحث لايعرف دائماً من عنوانه ، فإن مكشفي الاستشهادات في كشاف الفنون والإنسانيات (A & HCI) يتحايلون على ذلك بوسم عناوين الوثائق الغامضة بمايرونه دالاً عليها من مصطلحات .

٥/٣ ولقد أشرنا من قبل (٣) إلى مدى خطورة الاعتماد على "العناوين" العربية في استقاء الكلمات الدالة ، خاصة في مجالي الإنسانيات والاجتماعيات . وذلك بسبب الغموض الغالب على عناوين مطبوعات هذه المجالات ، أو عدم تمثيل هذه العناوين لمحتوى المادة الفكرية تمثيلاً يتفق

فيه المضمون مع العنوان الذي يحمله .

ولعل "كشاف الموضوعات" في كشافنا الإسلامي العربي اللغة يعد تطبيقاً واقعياً لما نزعم ، ذلك أن القائمين على كشاف الموضوعات لم يكن أمامهم على طريق الدلالة على موضوعات المقالات إلا تنحية عناوينها جانباً ، ومحاولة تفحص المقالات ذاتها للخروج بأقوى الكلمات الدالة على موضوع المقال .

لنأخذ مثلاً المقال الآتي بيانه من قسم "الإشارات البيليوغرافية" ، ونرى بعد كيف عولج موضوعياً في كشاف الموضوعات :

(٢٣١) الجوهري ، حامد ، "أجهزة المخابرات في عصور الإسلام الأولى -٢" . الهداية م ١١ ع ١٢٩ (٨٨/٧) ص ٥٨ - ٦٣ .

إن هذا المقال نجده في "كشاف الموضوعات" مكشفاً على النحو التالي في خمسة مداخل أساسية ، لكل منها مصطلحاتها الإضافية التي تأخذ دورها بعد كمصطلحات أساسية وفقاً للطريقة التبادلية :

المدخل الأول : ابن الخطاب ، عمر
استخبارات ٢٣١
تجسس
العلوم والفنون العسكرية (الرقم
الفتوحات الإسلامية المسلسل للمقال)

المدخل الثاني : استخبارات
ابن الخطاب ، عمر ٢٣١
تجسس
العلوم والفنون العسكرية
الفتوحات الإسلامية

المدخل الثالث : تجسس
ابن الخطاب ، عمر ٢٣١
استخبارات
العلوم والفنون العسكرية
الفتوحات الإسلامية

المدخل الرابع : العلوم والفنون العسكرية
ابن الخطاب ، عمر ٢٣١
استخبارات
تجسس
الفتوحات الإسلامية

المدخل الخامس : الفتوحات الإسلامية
ابن الخطاب ، عمر ٢٣١
استخبارات
تجسس
العلوم العسكرية

٦/٣ وأخيراً ، فقد كان من الواجب على القائمين على كشافنا الإسلامي أن يقوموا بإرشاد القارىء إلى الكيفية التي يستخدم بها "كشاف الموضوعات" هذا ، على الأقل بنبذة عنه في المقدمة ، خاصة وأن كشاف الموضوعات - بتبادليته هذه - وافد جديد على عقل القارئ العربي .

٤-الإمكانات المرجعية

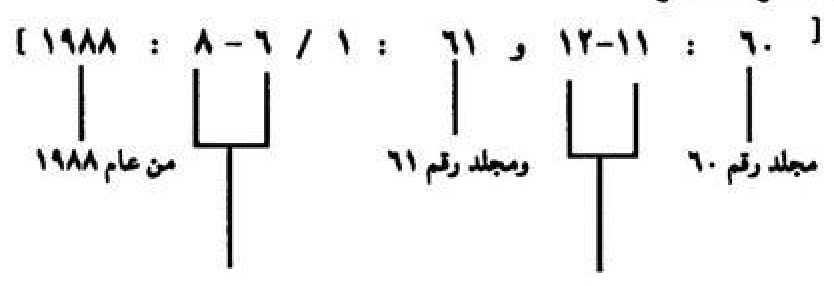
يقصد بالإمكانات المرجعية البيانات الأساسية التي يقدمها الكشاف عن كل بطاقة وراقية أو كل وحدة معلومات ممثلة بالكشاف .

١/٤ والجدير بالذكر أن ثمة لائحة بالدوريات محط التكشيف في مدخل الكشاف الإسلامي ، يرد بها بيانات عن جميع الدوريات المكشفة في العدد الذي بين يدي القارىء ، وتشمل هذه البيانات :

عنوان الدورية ، طريقة صدورها ، اسم الناشر وعنوانه ، مكان النشر ، أرقام المجلدات والأعداد التي كشفت من الدورية محط الوصف في العدد الجاري من الكشـاف ، وتتبع أرقام المجلدات والأعداد هذه بالشهر / أو الشهور والعام الذي صدرت فيه .

مثال :

الأزهر : شهرية ، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، إدارة الأزهر ، القاهرة - مصر



٢/٤ أما القسم الأول من الجسم الرئيسي للكشاف الذي يشتمل على مقالات الدوريات ، تحت عنوان "الإشارات البيليوغرافية" ، فإنه يشتمل على البيانات التالية عن كل مقال :

إسم المؤلف مقلوباً ، أي مبتدئاً باسم العائلة . عنوان المقال بين علامتي تنصيص ، عنوان الدورية بنط ثقيل ، رقم المجلد والعدد الذي نشر فيه المقال ، تاريخ النشر بالشهر والعام ، وأخيراً الصفحات التي يشغلها المقال.

مثال :

أبو العزائم ، محمد ماضي . "تفسير سورة البقرة" الإسلام وطني م٢ ع١٥ (٨٨/٧) ص ٦ - ٩ .

ومن الملاحظ أنه إذا كان المقال عرضاً لكتاب ، فإن الأولوية في المدخل الأساسي تعطى للكتاب وصاحبه ، فيما يأتي اسم صاحب العرض في نهاية البيانات بين قوسين :

ابن رشد . «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» . مجلة المسلم المعاصر م ١٣ ع ٥١ (٨٨/٣) ص ٣٤١ - ٣٤٦ (عاطف العراقي) .

ولاينبغي أن ننسى أيضاً أن ثمة رقماً مميزاً لكل إشارة من إشارات المقالات .

٤ / ٣ أما قسم الكتب ، فإنه يشتمل على البيانات الوراقية التالية :

اسم المؤلف مبتدئاً باسم العائلة أو اسم الشهرة ، عنوان الكتاب ، بيان الطبعة إذا وجد ، بيانات النشر ، عدد صفحات الكتاب ، وأخيراً تبصرة بالوراقية التي يشتمل عليها الكتاب إذا وجدت .

مثال :

الجبري ، عبدالمتعال محمد . السيرة النبوية وأوهام المستشرقين . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٨ ، ١٧٨ ص . ببليوغرافية .

٥ . كانت هذه بعض ملاحظات أولية ، تتفق والمراحل الأولية التي تمر بها اليوم من عمر كشافنا الإسلامي الناطق بالعربية .

وكانت هذه بعض ملاحظات أولية عن كشافنا الإسلامي الذي كان أملاً تواقاً يصبو إليه كل من له صلة بالإسلام والعربية ، وغدا اليوم حقيقة واقعة بين أيدينا . وهي حقيقة جميلة بكل المقاييس . حقيقة نرجو أن تهزم بعضاً من روح الانقسام والتفرق والتردد التي تشيع في بعض أجواء العمل الإسلامي .

المراجع

(١) نبيلة خليفة جمعة (١٩٨٩) الكتب الصادرة في العالم العربي : دراسة ببليومترية . مجلة المكتبات والمعلومات العربية . س ٩ ، ع ٣ (يوليو ١٩٨٩) . ص ص ٥ - ٤٨ .

(٢) عبدالرحمن فراج (١٩٩٠) تكشيف الاستشهادات المرجعية . مجلة المكتبات والمعلومات العربية . س ١٠ ، ع ١ ، ١٩٩٠ .

رسائل جامعية

منهج القاضي عياض في كتابه «إكمال المسلم بفوائد مسلم»

للحسين شواط

شواط ، الحسين بن محمد/منهج القاضي عياض في كتابه «إكمال المسلم بفوائد مسلم» مع تحقيقه من أوله إلى نهاية كتاب الإيمان .- رسالة دكتوراه .- إشراف عبدالفتاح أبو غدة .- الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين ، قسم الحديث وعلومه ، ١٤١١هـ .

يعتبر فقهُ نص الحديث وشرحُه واستنباطُ المعاني منه من أهمّ مشمولات علم دراية الحديث ، فقد قال الإمام النووي (ت ٦٧٦) : " إن المرادَ من علم الحديث تحقيقُ معاني المتون وتحقيقُ علم الإسناد والمعلل ...والبحث عن خفي معاني المتون ..." (المنهاج ٤٧/١) ، وجاء في كشف الظنون " العلم بدراية الحديث ، وهو علم باحث عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث ، وعن المراد منها مبنياً على قواعد العربية وضوابط الشريعة ، ومطابقاً لأحوال النبي صلى الله عليه وسلم " (٦٣٥/١) ، وعدَّه الإمام أبو عبدالله الحاكم (ت٤٠٥) من أنواع هذا العلم (معرفة علوم الحديث ٦٣) .

ومن أوّل ما اهتم العلماء بشرحه صحيح البخاري وصحيح مسلم لصحة أحاديثهما وتلقي الأمة لهما بالقبول ، وحرص العلماء على تبيين ما فيهما من العقائد والأحكام والفوائد .

وقد بدأت التصانيف حول شرح صحيح مسلم تظهر من زمن القاضي عياض رحمه الله ، في بداية القرن السادس الهجري ، غير أن تلك الجهود على قلّتها لم تكتمل منها ولم يصلنا إلا كتاب " إكمال المعلم بفوائد مسلم " للقاضي عياض .

أهميةُ الموضوع وقيمته العلمية ، وذلك في غاية الجلاء :

١ - لأنه قد اشتمل على تحقيق تُراثٍ علميّ متقدّم وإخراجه إلى النور وتقريبه من طُلّابه لتعمّ الاستفادة منه ، وذلك من أهمّ أغراض البحث .

٢ - ولأهميّة متعلّقة ، فإنّه يشرح ثاني الصحيحين اللّذين عليهما المُعوَّل بعد كتاب الله تعالى في بيان أصول الدين وفروعه .

٣ - ثم لأهمية الكتاب نفسه ؛ فهو أقدم كتاب مُوَسّع ومتكامل في شرح مسلم ، وهو الأساس الذي بنى عليه من جاء بعده من الشرّاح ، والحاجة إليه ماسة لقلّة ما طبع من شروح هذا الصحيح واختصارها ، ويُرجى لهذا الكتاب بحق أن يَسُدّ فراغاً كبيراً في المكتبة الإسلامية في هذا المجال إن شاء الله تعالى .

٤ - وإمامة مؤلفه في الدين ، وعلوّ كعبه في العلم ، وضبطه ، وتحقيقه ، ممّا شهد له به أهل المشرق والمغرب على السواء .

الخطة الإجمالية للبحث :

بحث هذا الموضوع من خلال الخطة التالية المتكونة من مقدّمة وتمهيد ودراسة وخاتمة ، وتحقيق ، وفهارس، وذلك على النحو الآتي ذكره :

- المقدمة : وفيها بيان سبب اختيار الموضوع وقيمته العلمية وأهميته ، ومنهج إعداده ، وخطة البحث فيه ، وأهمّ الصعوبات .
- التمهيد: وقد اشتمل على أربعة فصول يتفرّع كلّ منها إلى أقسام ومباحث ومطالب :

الفصل الأول : التعريف بالإمام مسلم (ت٢٦١) وصحيحه .

الفصل الثاني : التعريف بالإمام المازَري (ت ٥٣٦)، وكتابه " المعلم بفوائد مسلم " (مع بيان صور اهتمام المغاربة بصحيح مسلم) .

الفصل الثالث : التعريف بالقاضي عياض (ت٥٤٤) ، وكتابه " إكمال المعلم بفوائد مسلم " .

الفصل الرابع : مقارنة بين كتابَي " المعلم " و " إكمال المعلم " .

* **القسم الأول** : الدراسة وتشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : منهج القاضي عياض في كتابه " إكمال المعلم " ، فيه سبعة مباحث ، يتفرع كل منها إلى عدة مطالب ونقاط :

المبحث الأول : الجانب المنهجي المتعلق بصناعة التأليف .

المبحث الثاني : منهجه في الشرح .

المبحث الثالث : عناصر الشرح والفوائد المثارة .

المبحث الرابع : الصناعة الحديثية في " إكمال المعلم " رواية ودراية .

المبحث الخامس : فقه الحديث في " إكمال المعلم " .

المبحث السادس : مصادره وطريقته في الإفادة منها .

المبحث السابع : أثر " إكمال المعلم " في غيره من المصنّفات .

الفصل الثاني : أثر القاضي عياض في علوم الحديث من خلال "إكمال المعلم" وفيه خمسة أقسام يتفرع كل منها إلى عدة مباحث :

القسم الأول : منهج القاضي عياض في سياق مسائل مصطلح الحديث.

القسم الثاني : مسائل المصطلح التي تناولها في "الإكمال" .

القسم الثالث : مدى استفادة القاضي ممّن سبقه من علماء هذا الفن .

القسم الرابع : إضافاته في هذا المجال .

القسم الخامس : مدى تأثر اللاحقين بما قرّره القاضي في هذا الباب .

الفصل الثالث : عقيدة القاضي عياض من خلال " إكمال المعلم " وقد اشتمل على قسمين ، تفرع كل منهما إلى عدة نقاط :

القسم الأول : الإيمان ، وبعض متعلقاته .

القسم الثاني : الأسماء والصفات .

- الخاتمة : وفيها تقويم الكتاب ، وإبراز أهم نتائج البحث .

- القسم الثاني : تحقيق النص وضبطه والتعليق عليه ، وقد اشتمل على مقدمة التحقيق ، ونص إكمال المعلم (المقدمة وكتاب الإيمان) .

- الفهارس ، وعددها ثلاثة عشر فهرساً هي :

١ - فهرس الآيات القرآنية الكريمة مرتبة بحسب سورها .

٢ - فهرس أطراف الأحاديث النبوية الشريفة .

٣ - الآثار .

٤ - فهرس الرواة المترجم لهم .

٥ - فهرس الأعلام .

٦ - فهرس الأشعار .

٧ - فهرس المواد اللغوية .

٨ - فهرس الكتب الواردة في النص .

٩ - فهرس الأماكن والبلدان .

١٠ - فهرس المذاهب والجماعات العلمية .

١١ - فهرس الفرق والطوائف والقبائل والأديان .

١٢ - فهرس المصادر .

١٣ - فهرس تفصيلي للمحتويات .

تقويم الكتاب :

أ - المميّزات :

امتاز كتاب " إكمال المعلم " بعدة أمور أهمّها :

١ - ميزة السبق مع الشمول والتّوسع ، فهو أولُ شرح موسع ومتكامل لصحيح الإمام مسلم .

٢ - تعلقه بشرح ثاني أصح كتابين بعد كتاب الله عز وجل ، ولا يخفى عظم مكانة هذا الصحيح في نفوس المسلمين ، وحرصهم على فهم معاني أحاديثه والوقوف على ما فيها من مسائل العقيدة والأحكام الفقهية ، وبشرح هذا الصحيح يكون القاضي عياض رحمه الله قد خدم السنة المطهرة ، وأفاد المسلمين إفادة كبرى .

٣ - اعتماد مؤلفه على الشرح بالمأثورات والنقل دون إهمال طريقة الشرح بالمعقول والنظر .

٤ - عنايتهُ بتقرير وبيان مسائل العقيدة على منهج أهل السنة والجماعة من حيثُ الجملة ، وردّه على أهل البِدع والفلاسفة وأهل الملل الأخرى .

٥ - اشتماله على مادّة وافرة متعلّقة بالتفسير وعلوم القرآن ، مع التوسع في ذلك أحياناً بشكل لا يكاد يُوجدُ في الكتب المتخصصة ، ويمكن اعتباره رافداً لمصادر هذا الفن .

٦ - توسّعُه في شرح مقدّمة صحيح مسلم ، وبسطُه لما فيها من مسائل علوم الحديث رواية ودراية ، وبظهور هذا الكتاب يمكنُ وضع يد الباحثين على الحَلْقَة المفقودة بين الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) ، وابن الملاح (٦٤٣) بخصوص التصنيف في مصطلح الحديث .

٧ - اهتمامُه بتفسير غريب الحديث وبيان معاني الألفاظ، وقد اشتمل على مادة وفيرة يمكن اعتباره لأجلها مصدراً أساسياً في هذا الباب .

٨ - العنايةُ التامة بإيراد مختلف روايات الصحيح ، مع الترجيح بالأدلة ومقارنة روايات مسلم بغيرها ممّا في المصنفات الأخرى .

٩ - توجيهُ عناية خاصة لضبط الألفاظ وأسماء الرواة وكناهم وألقابهم وأنسابهم وأسماء الأماكن والبلدان ، مع بيان المُبهَم وتقييد المُهْمَل وتمييز المُشْكِل في كلّ ذلك .

١٠ - قيامُه في الغالب بتخريج الأحاديث ، وقد يُضيف الحكم على الحديث أيضاً نقلاً عن غيره غالباً ، أو من عنده .

١١ - الحكمُ على بعض الرّواة جرحاً وتعديلاً نقلاً عن أئمة هذا الفن في الغالب ، والعناية بالترجمة لبعض الأعلام .

١٢ - العنايةُ التامّة بالجمع بين ما ظاهِرُه التّعارض من الأحاديث ، وتفسير الأحاديث المشكلة .

١٣ - التنبيهُ على العِلَلِ ، وتصحيفاتِ المحدّثين ، وأوهام الرّواة في المتون والأسانيد .

١٤ - تأسيسُه الفقهَ على الحديث ، وعنايتُه بالتوسع في إيراد فقه المذاهب الأربعة وغيرها ، واهتمامُه بالمسائل الخلافية ، مع البسط والبيان والترجيح ، بحيث اشتمل على ثروة فقهية مُحَرَّرة لا تجدُها عند غيره ، وهو بحقٍّ مصدر مهم لهذا العلم .

١٥ - تناولُه بالبحث كثيراً من أهم مسائل أصول الفقه ، عرض فيها المذاهب المختلفة ، مع الترجيح غالباً ، وقد سردت رؤوس موضوعاتها في موضعها من البحث ، ولو جُمعت كلُّ مادتها في كُتَيِّب لأضحى مصدراً مُهمّاً في هذا الباب ، ولأسهم ذلك في توضيح حركة التصنيف في أصول الفقه وتطوّرها بين المتقدمين والمتأخرين ممّن صنف في هذا الفن .

١٦ - العنايةُ بعلوم اللّغة العربيّة بشرح المفردات وضبطها وبيان الوجوه المختلفة في ذلك ، والتنبيه على ضروب البلاغة ، وأنواع الأدب ، وبعض قواعد اللغة مع التوسّع في النقل عن اللغويين وهو يُعتبر بلا تردّد مصدراً أساسياً في هذا الباب .

١٧ - الاهتمامُ بالتواريخ والمغازي والسير .

١٨ - الإضافاتُ والاختيارات في مُعْظَم ما تقدم ذكره من العلوم .

١٩ - الأمانةُ العلميّة بعزو النقول إلى مصادرها .

٢٠ - الإنصافُ وعدمُ التعصب والأدب الرفيع مع المخالفين، والاعتراف بالفضل لأهله .

٢١ - النقد والتمحيص والتحقيق وعدم التقليد ، مع الموضوعية في ذلك والحرص على تحري الصواب .

٢٢ - التيَقظُ التامّ وحضور الشخصية ، بحيث كان ينتبه للسَّقْط والتصحيف والاختلال ، والخطأ والمخطىء بالاستدراك والتكميل والتصويب .

٢٣ - بذلُ الفائدة لأدنى ملابسة ، واستشعاره أنّ التأليف مسئولية وأمانة ينبغي أداؤها على الوجه الأكمل .

٢٤ - حسنُ التأليف ، وسلاسةُ الأسلوب ، وسهولةُ العبارة ، ووضعُ يد القارىء على المواضع المختلفة لأطراف المبحث الواحد ، وإرشاده إلى مواضع بسط بعض المباحث المُهمّة في مصنفاته الأخرى .

٢٥ - طولُ النفس والصبر والمداومةُ على الشرح بنفس الأسلوب من أوّل الكتاب إلى آخره .

٢٦ - الاحتفاظُ بمادة وفيرة استقاها من كثير من الكتب التي لا تزال مفقودة .

٢٧ - إضافة أسماء مصادر جديدة لم يقف عليها الباحث ، مثل أصول العبارة لابن قُتيبة ، الكنى لابن الجارود .

٢٨ - استقاؤه مادةً بعض ما تعلق بالمبتدعة من مصادرهم .

ب - المآخذ :

من المآخذ التي لاحظها الباحث على هذا الكتاب :

١ - تأويلُه للصفات الخبرية ، كالغضب والرضا والمحبة ، ونحوها ، وتفويض المعنى في بعضها الآخر ، والصحيح في هذا الإثبات على الحقيقة بمعنى معلوم ، وكيف مجهول .

٢ - ترجيحُه القول بالصِّرفَة في إعجاز القرآن ، وهذا مُخالف لما عليه جماهير علماء الأمة من أنّ إعجاز القرآن في بلاغته وبيانه وأسلوبه ونظمه ، وأن العرب قد عجزوا عن الإتيان بمثله لأن ذلك لم يكن بإمكانهم ، لاأنّه كان بإمكانهم وصرفهم الله عنه ، وقد بسط القاضي حُجّته وبيّن وجهة مصيره إلى ذلك .

٣ - عدمُ تخريج كثير من الأحاديث والقصور في تخريج كثير منها .

٤ - الاستدلالُ ببعض الأحاديث الضعيفة التي لم يحكم عليها ، ومنها ما كان في مسائل العقيدة .

٥ - الاختصار في الأحكام على الرّواة .

٦ - الاكتفاء عند العزو إلى المصادر بذكر اسم المؤلف فقط في الغالب ، وكثيراً ما يذكر طرفاً من الاسم يصعُب معه تحديد اسم الشخص .

٧ - عدم إيراد تبويب لأحاديث صحيح مسلم ، مع أنه قد اطلع على نُسخ مُبوّبَة ، مع أنّ تبويبَ الشروح كان معروفاً قبل عصره ، وممّن فعله أبو الحسن علي بن خَلَف بن بطّال القُرطُبيّ (ت٤٤٤) في شرحه على صحيح البخاري ، بل قد نقل السيوطي (ت ٩١١) في " البحر الذي زخر" عن بعض الأندلسيّين أنّ عياضاً نفسَه قد ترجم لأبواب مسلم ، ولكنه لم يُتْحِفْنا بذلك .

أهم نتائج البحث :

لقد أسفر هذا البحث عن جُملة من النتائج ، تقدم بعضُها في ذكر مميزات الكتاب ، وأهمُّها ما يلي :

١ - يأتي في مقدمة نتائج هذا البحث إتحاف الباحثين والمُهتمّين بالسُّنة وعلومها بإخراج جزء من هذا الكتاب البديع الذي طال انتظارُهم له.

٢ - إن كتاب " إكمال المعلم " هو الأساس الذي بنى عليه من تأخر عن القاضي من شُرّاح صحيح مسلم كتبَهم ، وقد مثّل محْوَراً دارت حوله تلك المصنفات اقتباساً واختصاراً وبسطاً .

٣ - إن مقدّمة هذا الكتاب مصدرٌ أساسي في مجال علوم الحديث رواية ودراية ، وينبغي على أهل الاختصاص عدمُ إهماله ، ويكفي ما وقع حتى الآن من إهماله والتفريط به .

٤ - وهو مصدر مهم لجملة من العلوم الأخرى كالفقه وأصوله واللغة وعلومها ، ومصدر ثانوي لجملة أخرى من العلوم كالتفسير ، والعقيدة ، والتاريخ ، والمغازي ، والسير .

٥ - يُعتبر هذا الكتاب ديواناً معرفياً مهماً حوى بتوسّع وبسط وتقرير قسطاً وافراً من علوم المقاصد وعلوم الوسائل .

٦ - لقد أفادَ من هذا الكتاب كثير من المصنفين في مجالات مختلفة واعتمدوا عليه .

٧ - يعتبر هذا البحث - دراسة وتحقيقاً - بُرهاناً على ما شاع وتقرر من إمامة القاضي عياض في مختلف فنون العلم الشرعي وما يلحق بها ، فهو يتكلّم في كلّ علم من العلوم كلامَ كبار أئمته حتى كأنّه مُتَخَصِّصٌ فيه وحده ، وقد أقرّ له بذلك المشارقةُ قبل المغاربة ، والموافق والمخالف على السواء ، ولا عجب أن تشيع لدى المغاربة مقولة ضاربة القدم في التاريخ ، لا يُعلم قائلُها على وجه التحديد ، جعلت من عياض العالم الفَذّ عَلَماً على بلاد المغرب كلّها ، وسبباً في شيوع ذكرها في مجال العلوم، ذلكم هو قولهم : " لولا عياض ما ذُكِر المغرب " .

٨ - لقد كان عياض في الفروع مالكياً غير متعصّب ، وبلغ درجة الاجتهاد في المذهب ، وهو أهل للاجتهاد المطلق ولكنه لم يدع ذلك لتواضعه .

أما في أصول الدّين فهو على مذهب أهل السنة والجماعة ، وقد وافق منهج السلف في أبواب الإيمان ومسائل توحيد الإلهية والربوبية ،

ووافق الأشاعرة في تأويل بعض الصفّات الخَبَريّة والتفويض في بعض .

٩ - لقد احتوت مقدّمة كتاب " إكمال المُعلم " على فوائد جمة ونُكت مُهمّة تتعلق بكتاب مسلم وشرطه فيه ومذهبه في المعنعن ، وتوضيح مقالته في المقدمة بما لم يُسبق القاضي إليه .

١٠ - أثبت هذا البحث أنّ العلل التي أشار إليها مسلم في صدر كتابه والتي ذكر عياض ومن تابعه أنه ساقها ، هي علل غير قادحة في صحة الأحاديث وأنّ معظمَها متعلق بالصناعة الحديثيّة دون أن يؤثّر ذلك على صحة المتن .

١١ - إنّ الصّوابَ إلى جانب الإمام مسلم فيما تعقّبه عليه أبو الحسن الدارقطني (ت ٣٨٥) وأبو مسعود الدمشقي (ت ٤٠١) ، أمّا ما أضافه أبو علي الجَيّانيّ (ت ٤٩٨) والقاضي عياض (ت ٥٤٤) فجلُّه من رواة الصحيح. وقد انتصر لمسلم رحمه الله جماعةٌ من كبار أئمة هذا الفن.

١٢ - الذي ترجع للباحث بخصوص الطبقات الثلاث التي ذكرها مسلم في صحيحه أنه قد أخرج منها لأهل الطبقة الأولى احتجاجاً في الأصول .

وأخرج لأهل الطبقة الثانية في الشواهدِ والمُتابعات ، ويندُر أن يُخرج لها في الأصول ، ويكون ذلك عند توافر طرق كثيرة منها يُعَضِّد بعضُها بعضاً ، مع عدم وجود شيء في الباب لأهل الطبقة الأولى ، ولا ينزل هذا القسم عنده عن الدرجة الدنيا للحديث الصحيح ، الذي هو الحديث الحسن عند بعض أهل العلم .

أما أهلُ الطبقة الثالثة التي ذكرها مسلم وحددها فلم يخرج لهم شيئاً ، وهي تتكون من قسمين :

- من كانوا عند أهل الحديث أو أكثرهم مُتّهمين .
- من غلب على حديثهم المنكر والغلط .

١٣ - ليس في صحيح مسلم حديث ينزل عن المرتبة الدنيا للحديث الصحيح ، مع أنّه قد أخرج لبعض من نُسب إلى الضعف دون أن ينزل حديثه عن درجة الصحيح ، وذلك لوجوه ذكرها العلماء ، وقد أوردها الباحث في موضعها من البحث .

١٤ - إنّ ما نُسب إلى صحيح مسلم من المعلّقات قد ثبت وصلُها من جهات أخرى ، وليس شيء منها مُخرج لما وجد فيه من حيز الصحيح ، كما جزم به الحافظ بن الصلاح (ت ٦٤٣) وغيره .

١٥ - اشتمل كتاب مسلم على كثير من الأحاديث الموقوفة والمقطوعة أوصلها الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢) إلى ١٩٢ ، وهذا ما اشتهر من أنه لا يوجد فيه إلا الواحد والاثنين بخلاف صحيح البخاري .

١٦ - اشتمل صحيح مسلم على عدد لا بأس به من الأحاديث التي عَلّت أسانيدُهُ فيها ، وقد أوصلها الحافظ ابن حجر إلى أربعين حديثاً .

١٧ - لقد دخل صحيح مسلم إلى بلاد المغرب عن طريق جماعة من الرّواة من أهلها في النصف الثاني من القرن الرابع ، وهناك احتمال كبير أن يكون دخلَها قبل ذلك على يد مسلمة بن قاسم (ت ٣٥٣) .

١٨ - لا يصحّ ما اشتهر من أنّ المغاربةَ قد فضّلوا صحيح مسلم على صحيح البخاري ، إذ لم يثبت ذلك على وجه التحديد إلا عن اثنين منهم، ثم إنّ تفضيل من فضّل صحيح مسلم لا يرجع إلى الأصحية نفسها ، وإنما الصناعة الحديثية من حيث حسن التصنيف .

١٩ - لقد تعدّدت صور عناية المغاربة بصحيح مسلم وتنوّعت ، حيث شرحه - فيما وقفت عليه - ٢١ منهم ، وعلق عليه خمسة ، وألف في تفسير غريبه ثلاثة ، وصنّف حول رجاله استقلالاً ثلاثة ، ومع رجال صحيح البخاري أربعة ، واختصره ستة ، وألف في زوائده على البخاري اثنان ، وصنف في الجمع بينه وبين غيره اثنا عشر .

٢٠ - لقد كانت الصلات العلمية وثيقة ومتينة بين المشارقة والمغاربة في عصر القاضي عياض رحمه الله ، يظهر ذلك من خلال تبادل الإجازات ، وارتحال عدد كبير من علماء كلّ من الصقعين إلى الصقع الآخر ، وإن كانت رحلة المغاربة نحو المشرق أكثر بروزاً ، كما يظهر ذلك من خلال اطلاع القاضي على بعض كتب معاصريه من المشارقة مثل إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥) .

٢١ - لقد كان موقع سبتة الجغرافي سبباً في النبوغ العلمي لعياض، لأنها كانت مجاز أهل الأندلس إلى المغرب وإفريقية والمشرق ، وبالعكس ، فما من عالم ارتحل من إحدى الجهتين إلى الأخرى إلاّ ومرَّ بها ، ولم يكن عياض الطالب النبيه ثم عياض الشيخ المتواضع الحريص على الطلب ليُضيع تلك الفرص النادرة دون اغتنام .

٢٢ - لقد عاصر عياض رحمه الله دولتين هما دولة المرابطين ، ودولة الموحدين ، وقد كان للأولى موالياً مُطيعاً ؛ لوقوفها عند حدود الشرع وعدم تجاوزها لما يُشير به أهلُ العلم ، وكان للثانية معارضاً مجاهداً ، لمخالفاتها العقدية والسلوكية ، وما سلّطته على الرعية من الظلم .

إشارات سريعة عن الرسائل الجديدة

أولا : الماجستير

• أسس تاريخ الأدب العربي في العصر الحديث / ريم عبدالرحيم ؛ إشراف عبدالنبي اصطيف .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٩٩٠م .

• **البحر في الشعر الأندلسي** / أحمد عبدالقادر صلاحية ، إشراف علي دياب .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٩٩٠م .

• **تحقيق أشكال صلبة مطولة التأثير** / بشار عمر نوس ؛ إشراف زياد منصور .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية الصيدلة (مجال الصناعة الصيدلانية) ، ١٩٩٠م .

• **تقويم تحصيل المفاهيم التاريخية لدى طلاب الصف الأول الإعدادي في مدينة دمشق**/ لطوف حمد العبدالله ؛ إشراف حورية الخياط .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية التربية (قسم المناهج) ، ١٩٩٠م .

• **الحياة الاجتماعية في الحجاز قبيل ظهور الإسلام ، القرن السادس الميلادي** / شكران خربوطلي ؛ إشراف سهيل زكار .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، ١٩٩٠م .

• **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الشام في القرن الرابع الهجري**/ أحمد الأوتاني ؛ إشراف أمينة بيطار .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم التاريخ ، ١٩٩٠م.

• **الشذور العلمية في شعر شيلي** / إبراهيم عزارة ؛ إشراف بثينة شعبان .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم اللغة الإنكليزية ، ١٩٩٠م .

• **الشيخ نديم الجسر:حياته ..آراؤه ..قصته مع الايمان**/ محمود سليمان ؛ إشراف محمد محمد أكرم الخطيب .- بيروت : الجامعة اللبنانية ، قسم اللغة العربية ، ١٩٩٠م .

• **طيف الخيال في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**/ أحمد علي محمد ؛ إشراف أسعد علي .- دمشق : جامعة دمشق ، قسم اللغة العربية ، ١٩٩٠م .

• **عبدالقادر البغدادي ومنهجه في شرح الشاهد النحوي**/ محمد عبدو فلفل ؛ إشراف شاكر الفحام .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٩٩٠م .

• **فاعلية استخدام الخرائط والرسوم البيانية في تدريس الجغرافية للصف الثاني الإعدادي:دراسة تجريبية في منطقة الزبداني**/ محمد وفا شفيق الشماط ؛ إشراف فخر الدين القلا وعبدالمرشد العزاوي .- دمشق :جامعة دمشق ، كلية التربية، ١٩٩٠م.

• **كتب الحماسة وأثرها في النقد الأدبي بين القرنين الثالث والسابع الهجريين :دراسة أدبية مكتبية نقدية**/ سامة حبّاس؛ إشراف مسعود بوبو .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٩٩٠م .

• **المادية بين فويرباخ وماركس**/ عادل الذياب العلي ؛ إشراف غانم هنا .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية (شعبة علم الاجتماع) ، ١٩٩٠م .

• **مفهوم الحرية عند ابن رشد**/ عمار عامر ؛ إشراف طيب تيزيني .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية (شعبة الفلسفة) ، ١٩٩٠م .

• **نظرية المعرفة عند ديفيد هيوم**/ إنصاف حمد ؛ إشراف حامد خليل .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم الدرسات الفلسفية والاجتماعية ، ١٩٩٠م .

ثانيا : الدكتوراه

• **ابن يعيش النحوي** / عبدالإله النبهان ؛ إشراف عبدالحفيظ السطلي.- دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٩٩٠م

• **تطوير مقايسة مناعية لمعايرة FSH المصل ودراسة هرمونية للعقم وتأخر البلوغ عند الذكور**/ سميرة عصفورا حبيب ؛ إشراف محيي الدين جمعة .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية العلوم ، قسم الكيمياء الحيوية ، نوقشت في مشفى الأسد الجامعي ، ١٩٩٠م .

• **الحركة النقدية في المهجر**/ رياض العوايدة ؛ إشراف فؤاد المرعي .- حلب : جامعة حلب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية، ١٩٩٠م .

• **الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي/** إبراهيم زعرور ؛ إشراف سهيل زكار .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم التاريخ ، ١٩٩٠م .

• **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في نابلس ١٨٥٠ - ١٨٧٥ من خلال وثائق المحاكم الشرعية /** عبدالله محمود حسين ؛ إشراف عبدالكريم رافق .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم التاريخ ، ١٩٩٠م .

• **دراسة في بعض الاتجاهات الإسلامية في الفكر العربي المعاصر /** المختار بنعبدلاوي ؛ إشراف طيب تيزيني .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية (شعبة الفلسفة) ، ١٩٩٠م .

• **القضاء والقضاة في الدولة العربية الإسلامية منذ نشأتها وحتى العصر الأموي /** محمد سعود الزعبي ؛ إشراف سهيل زكّار .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم التاريخ ، ١٩٩٠م .

• **القيم التربوية السائدة في شعر الأطفال - دراسة تحليلية ميدانية في القطر العربي السوري /** أحمد كنعان ؛ إشراف أسعد لطفي .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية التربية ، ١٩٩٠م.

• **محمد بن قاسم الأنباري (٣٢٨هـ) وجهوده في النحو والصرف واللغة /** محمد عطا موعد ؛ إشراف منى إلياس .- دمشق : جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، ١٩٩٠م .